الوعد الصادق أم الوهم الكاذب؟

حرب لبنان

حقيقة ما جرى بين حزب الله وإسرائيل
رؤية شرعية وسياسية

جمع وإعداد
وليد نور

الناشر
مركز النور للدراسات الإنسانية

فهرس الكتاب

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران:١٠٢].

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء:١].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

طوال ٣٤ يومًا هي عمر الحرب الأخيرة بين حزب الله وإسرائيل، والطيبون من بني أمتنا يهللون لحسن نصر الله حتى رفعوه إلى مصاف الأبطال البواسل والفاتحين العظام.

طوال ٣٤ يومًا يرفض الطيبون من بني أمتنا الاستماع لنصائح العلماء والالتفات لوقائع التاريخ التي تؤكد أن ما يجرى في لبنان ليس إلا إعادة لمسلسل تكرر قبل ذلك منذ عشرات الأعوام، كان بطل المسلسل القديم "كمال أتاتورك"، وبطل المسلسل الجديد "حسن نصر الله".

غير أن الطيبين من أبناء أمتنا رفضوا إلا أن ينخدعوا كما خُدع أمير الشعراء أحمد شوقي الذي قال لأتاتورك: يا خالد الروم جدد خالد العرب، وما لبث شوقي حتى بكى الخلافة التي سقطت بأيدي "خالد الروم" ذاته.

طوال ٣٤ يومًا والمصلحون من أبناء أمتنا يجاهدون لتبيان الحقيقة وبذل النصيحة، ولا يلاقون إلا تهم الخيانة والعمالة وهم على ذلك صابرون، صابرون حتى لا يكونوا من بني إسرائيل الذين قال عنهم الله عز وجل: **" وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ" [آل عمران:**

١٨٧]، فعلى أهل العلم أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئا، وعليهم تبيان الحق للناس خاصة إذا ما التبست الأمور وضاع الحق وراء الغيوم، وعليهم أن يثبتوا على الحق ولا يأخذهم في الحق لومة لائم.

طوال ٣٤ يومًا والأحداث تتسارع في لبنان، حتى تلعثمت الأقلام في وصف ما جرى، فمن لم يفرح بما يصيب الصهاينة، ومن لا يحزن بما أصاب لبنان، ولكن من لا يتشكك في مواقف "حزب الله" وقد خبرت الأمة أمر الشيعة في العراق، فمن كان يصدق أن مقتدى الصدر الذي كان يقارع الاحتلال الأمريكي بالأمس ينقلب خنجرًا موجهًا إلى صدور السنة، وإذا كان حزب الله يقارع الصهاينة فمن لا يضمن أن ينقلب غدًا كما انقلب الصدر، بل من لا يضمن أن تكون مواقف حزب الله هي موجهة في الأصل إلى صدور السنة دون أن ندرى.

أسئلة كثيرة وأجوبة قليلة، ومواقف ملتبسة يكتفي البعض بمدح ما جرى لأنه نال من دماء الصهاينة، ويكتفي البعض بذم حزب الله لأن الشيعة كالباطنية يبطنون ما لا يظهرون.

ولا نزعم أن هذا مخطئ وذلك مصيب، ولكن من يريد أن يفهم ما يجرى فلا يصلح أن يكتفي بظواهر الأحداث بل عليه أن يغوص في بواطن الأمور ويستدعى أحداث التاريخ ويستنطقها فإنه إن فعل ذلك بصدق عله يصل إلى الحق إن شاء الله.

لقد اجتهدنا في تلك الرسالة في بيان الحق ودراسة ما جرى في لبنان بين حزب الله وإسرائيل، دراسة تجمع بين العقيدة والتاريخ والسياسة حتى نخرج برؤية منضبط وموقف سليم لما جرى.

وأصل هذه الرسالة مقالات نشرناها على شبكة الإنترنت أثناء سير الأحداث، غير أننا رأينا جمعها في كتاب وإضافة ما تحتاجه من مقدمات وتعليق وشهادات حتى تكون الصورة واضحة أمام القارئ، وحتى نكون أدينا ما علينا من حق في تبيان الحق للناس، فما كان من صواب فمن الله عز وجل، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان.

والله المستعان وعليه التكلان.

وليد نور

Noor1425@hotmail.com

قبل أن نبدأ

قبل أن ندلف إلى ما نريد بيانه في هذا الكتاب من حقيقة الحرب التي شهدها لبنان بين حزب الله وإسرائيل، نجد أنفسنا مضطرين أن نقدم بمقدمة نبين فيها موقفنا من الشيعة، وموقفنا من حزب الله، لأن الشيعة دأبوا على اتهام السنة بتكفيرهم وادعوا البراءة من أقوال الكفر، والبهتان، فإلى أي جانب يقف الحق؟.

هل نكفر الشيعة؟:

إذا ما حاول أحد من أهل السنة الحديث عن الشيعة وبيان مواقفهم المناهضة للإسلام، سارع الشيعة باتهام أهل السنة بالإقدام على تكفيرهم، فهل نكفر الشيعة؟.

للإجابة على هذا السؤال، لا بد أن نوضح أن أهل السنة لا يسعون ولا يرغبون في تكفير الناس، بل إنهم وضعوا من الضوابط والقيود والموانع التي تحول من القول بتكفير الناس ما لم تضعه أية فرقة أخرى، ولا يزال أهل السنة يعلمون أبنائهم وتلاميذهم بأن التكفير لا يقع إلا على الإنسان إذا قامت عليه الحجة بذلك وانتفت عنه الموانع من جهل وإكراه وتأويل، لذلك نقول إن من قال بالأقوال الكفرية الباطلة المنسوبة للشيعة والواردة في كتبهم من القول بتحريف القرآن أو تكفير الصحابة الكرام أو غير تلك الأقوال الكفرية التي يخرج قائلها بها من الإسلام فهو كافر إن ثبت عنه هذا القول، أما إذا كان الشيعة ينفون مثل تلك الأقوال ويتبرءون منها فهذا ما نحبه ونرجوه ولكن لا تكفينا منهم دعوى اللسان بل لا بد وأن يوضحوا موقفهم من الأقوال التي وردت بذلك في كتبهم، ولا بد أن يوضحوا موقفهم ممن قال ذلك ونقل عنه من أئمتهم وشيوخهم، فهذا أقل ما يجب عليهم لإثبات براءتهم من ذلك الكفر والبهتان[1].

وإذا كنا لا نقول بكفر إلا من ثبت عنه انتحال مذاهب وأقوال باطلة، فإن لنا أن نسأل ماذا يقول الشيعة عنا، وما موقفهم من أهل السنة، يجيبنا عن ذلك آية الله الشيخ عبد الله المامقاني الملقب عند الشيعة بالعلامة الثاني في تنقيح المقال (١/٢٠٨ باب الفوائد): "وغاية ما يستفاد من الأخبار جريان حكم الكافر والمشرك في الآخرة على كل من لم يكن اثني عشري".

١- وسوف يتضح في آخر هذا الكتاب بيان مخالفة الشيعة لدين الإسلام.

فهذا نص صريح من إمام من كبار شيوخهم بتكفير كافة المسلمين من غير الشيعة الإمامية، فأين المتشدقون بدعوى التقريب بين المذاهب، وأين المتباكون على الشيعة، وأين الزاعمون بأن الخلاف بين الشيعة والسنة هو خلاف في الفروع وهذا شيخهم وعلامتهم المفيد يقول كما جاء في بحار الأنوار للمجلسي (٣٩١/٢٣):"اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار"، والقول بإمامة الأئمة الاثني عشر قول اخترعه الشيعة و لم يأتوا عليه ببرهان من كتاب أو سنة صحيحة، بل واتهموا الصحابة وكفروهم بسبب هذا القول الباطل، ويخبرنا الشيخ موسى جار الله التركستاني في كتابه الوشيعة في نقد عقائد الشيعة (٢٢٢٧): "وكنت أتعجب وأتأسف إذ كنت أرى في كتب الشيعة أن أعدى أعداء الشيعة وأقواهم هم أهل السنة والجماعة ورأيت رأي العين أن روح العداء قد استولت على قلوب جميع طبقات الشيعة".

هذا رأي الشيخ موسى جار الله الذي قرأ كتبهم وعايشهم.

وتؤكد كتب الشيعة هذا الموقف الأثيم من أهل السنة عند حديثهم عن ما يعرف بالناصب، فيقول شيخهم حسين بن الشيخ محمد آل عصفور الدرازي البحراني الشيعي في كتابه (المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخرسانية): "على أنك قد عرفت سابقاً أنه ليس الناصب إلا عبارة عن التقديم على علي غيره".

ويقول نعمة الله الجزائري في (الأنوار النعمانية ٣٠٧/٢): ويؤيد هذا المعنى أن الأئمة عليهم السلام وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله مع أن ابا حنيفة لم يكن ممن نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام بل كان له انقطاع إليهم وكان يظهر لهم التودد".

وأبو حنيفة رحمه الله يقدم أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم على علي لذا وصفوه بالنصب والعياذ بالله.

ولأن أهل السنة يقدمون الثلاثة على علي، فهم نواصب أيضاً عند الشيعة حيث يقول حسين بن الشيخ آل عصفور الدرازي البحراني في كتابه السابق: "بل أخبارهم عليهم السلام تنادي بأن الناصب هو ما يقال له عندهم سنيا"، ويقول هذا الدرازي في الموضع المذكور: "ولا كلام في أن المراد بالناصبة هم أهل التسنن".

ويقول الشيخ الشيعي علي آل محسن في كتابه كشف الحقائق: "وأما النواصب من علماء أهل السنة فكثيرون أيضاً منهم ابن تيمية وابن كثير الدمشقي وابن الجوزي وشمس الدين الذهبي وابن حزم الأندلسي .. وغيرهم".

وذكر الشيعي محسن المعلم في كتابه (النصب والنواصب): تحت عنوان: (النواصب في العباد) أكثر من مائتي ناصب على حد زعمه.

وذكر منهم: عمر بن الخطاب، أبو بكر الصديق، عثمان بن عفان، أم المؤمنين عائشة، أنس بن مالك، حسان بن ثابت، الزبير بن العوام، سعيد بن المسيب، سعد بن أبي وقاص، طلحة بن عبيد الله، الإمام الأوزاعي، الإمام مالك، أبو موسى الأشعري، عروة بن الزبير، ابن حزم، ابن تيمية، الامام الذهبي، الإمام البخاري، الزهري، المغيرة بن ؟عبة، أبو بكر الباقلاني، الشيخ حامد الفقي رئيس أنصار السنة المحمدية في مصر، محمد رشيد رضا، محب الدين الخطيب، محمود شكري الآلوسي ... وغيرهم كثير.

إذن النواصب هم كل أهل السنة حيث يقول آية الله العظمى محمد الحسيني الشيرازي في موسوعته الضخمة الفقه: "الثالث مصادمة الخبرين المذكورين بالضرورة بعد أن فسر الناصب بمطلق العامة كخبر ابن سنان عن أبي عبد الله ..".

ويا ليت توقف الأمر عند وصف أهل السنة بالنواصب لكان الشأن هينًا، ولكن ترتب على ذلك الوصف أحكام قررها الشيعة من بينها إباحة أموال أهل السنة وإباحة دمائهم، فالشيعة يستبيحون دماء أهل السنة، ويعتبرونهم في حكم الكفار، روى شيخهم محمد بن علي بن بابوية القمي والملقب عندهم بالصدوق وبرئيس المحدثين في كتابه علل الشرايع (ص٦٠١ طبع النجف) عن داود بن فرقد قال: "قلت لأبي عبد الله : ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم ولكني أتقى عليك فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل، قلت: فما ترى في ماله؟ قال: تَوَّه ما قدرت عليه" وذكر هذه الرواية الخبيثة شيخهم الحر العاملي في وسائل الشيعة (٤٦٣/١٨) ونعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية (٣٠٧/٢) إذ قال: "جواز قتلهم (أي النواصب) واستباحة أموالهم".

ويقول علامتهم المتتبع كما وصفوه الميرزا محمد باقر الموسوي الخونسري الأصبهاني في روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات (٣٠٠/١ – ٣٠١ منشورات مكتبة إسماعيليان قم

إيران) في ترجمة نصير الدين الطوسي الذي شجع هولاكو على قتل أهل السنة بعد اقتحامه لبغداد: " هو المحقق المتكلم الحكيم المتبحر الجليل ... ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزار للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاكو خان بن تولي جنكيز خان من عظماء سلاطين التتارية وأتراك المغول ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد وقطع دابر سلسلة البغي والفساد وإخماد دائرة الجور والإلباس بإبداد دائرة ملك بني العباس وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغاة إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار فانهار بها في ماء دجلة ومنها إلى نار جهنم دار البوار ومحل الأشقياء والأشرار".

والخميني أيضاً يبارك عمل الطوسي ويعتبره نصراً للإسلام، فيقول في كتابه المعروف بالحكومة الإسلامية (ص: ١٤٢ ط٤): "وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحدا منا بالدخول في ركب السلاطين فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين مثل دخول علي بن يقطين ونصير الدين الطوسي رحمهما الله".

وهؤلاء الذين يدخلون في سلك سلاطين أهل السنة لا يتورعون عن قتل أهل السنة إن سنحت لهم الفرصة كما فعل علي بن يقطين هذا عندما هدم السجن على خمسمائة من السنيين فقتلهم. نقل لنا هذه الحادثة العالم الشيعي الذي وصفوه بالكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء نعمة الله الجزائري في كتابه المعروف الأنوار النعمانية (٣٠٨/٢ طبع تبريز إيران) وإليك القصة بنصها قال: "وفي الروايات أن علي بن يقطين وهو وزير الرشيد فد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين وكان من خواص الشيعة فأمر غلمانه وهدوا سقف الحبس على المحبوسين فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريبا فأراد الخلاص من تبعات دمائهم فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم فكتب عليه اسلام إليه جواب كتابه بأنك لو كنت تقدمت إلي قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم وحيث أنك لم تتقدم إلي فكفر عن كل رجل قتلته منهم بتيس والتيس خير منه فانظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم الأصغر وهو كلب الصيد فإن ديته عشرون درهما ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي أو المجوسي فإنها ثمانمائة درهم وحالهم في الآخرة أخس وابخس"، ونقل هذه الرواية أيضاً محسن المعلم في كتابه (النصب والنواصب)

ص٦٢٢ط. دار الهادي – بيروت ليستدل هذا المجرم على جواز قتل أهل السنة أي النواصب في نظره.

ويقول الدكتور الهندي المسلم محمد يوسف النجرامي في كتابه الشيعة في الميـــزان (ص٧ طبع مصر): "إن الحروب الصليبية التي قام بها الصليبيون ضد الأمة الإسلامية ليست إلا حلقة من الحلقات المدبرة التي دبرها الشيعة ضد الإسلام والمسلمين كما يذكر ابن الأثـــير وغـــيره مـــن المؤرخين وإقامة الدولة الفاطمية في مصر ومحاولاتها تشويه صور السنيين وإنزالها العقاب على كل شخص ينكر معتقدات الشيعة وقتل الملك النادر في دلهي من قبل الحاكم الشيعي آصـــف خـــان على رؤوس الأشهاد وإراقة دماء السنيين في ملتان من قبل الوالي أبي الفتح داود الشيعي ومذبحـــة جماعية للسنيين في مدينة لكناؤ الهند وضواحيها من قبل أمراء الشيعة على أساس عدم تمســـكهم بمعتقدات الشيعة بشأن سب الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم وارتكاب المير صادق جريمة الخيانـــة والغدر في حق السلطان تيبو وطعن المير جعفر وراء ظهر الأمير سراج الدولة..".

ويضيف النجرامي: "إن الإجراءات الصارمة التي اتخذتها حكومة الإمام الخميني ضد أمة السنة والجماعة فإنها ليست غريبة عليهم حيث إن التاريخ يشهد بأن الشيعة كـــانوا وراء تلـــك النكسات والنكبات التي تعرضت لها الأمة الإسلامية على مر التاريخ".

وأما إباحة أموال أهل السنة فإضافة إلى ما قرأت نذكر لك ما رووه عن أبي عبد الله أنه قال: "خذ مال الناصب حيث ما وجدته وادفع إلينا الخمس" أخرج هذه الرواية شيخ طائفتـــهم أبو جعفر الطوسي في تهذيب الأحكام (١٢٢/٤) والفيض الكاشاني في الوافي (٤٣/٦)، ونقـــل هذا الخبر شيخهم الدرازي البحراني في المحاسن النفسانية (ص١٦٧) ووصفه بأنه مستفيض.

وبمضمون هذا الخبر أفتى مرجعهم الكبير روح الله الخميني في تحرير الوســـيلة (٣٥٢/١) بقوله: "والأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم وتعلق الخمس به بل الظاهر جواز أخذ ماله أين وجد وبأي نحو كان ووجوب إخراج خمسه"، ونقل هذه الرواية أيضاً محسن المعلم في كتابه (النصب والنواصب) ص٦١٥ ليستدل بها على جواز أخذ مال أهل السنة لأنهـــم نواصب في نظره.

ويقول نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانيـــة جـــ ٣٠٧/٢: "يجـــوز قتلـــهم (أي النواصب) واستباحة أموالهم"، ويقول يوسف البحراني في الحدائق الناضـــرة (٣٦٠/١٠: "وإلى

هذا القول ذهب أبو الصلاح، وابن إدريس، وسلار، وهو الحق الظاهر بل الصريح من الأخبار لاستفاضتها وتكاثرها بكفر المخالف ونصبه وشركه وحل ماله ودمه كما بسطنا عليه الكلام بما لا يحوم حوله شبهة النقض والإبرام في كتاب الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب وما يترتب عليه من المطالب".

وبعد هذه النقول عن أئمة الشيعة في القديم والحديث يتضح لنا بما لا مجال للشك فيه من يكفر الآخر، ومن يستبيح دمائه وأمواله دون مراعاة لأي حق أو لأي ذمة.

لبنان في ظل الإسلام

دولة لبنان بحدودها الجغرافية المتعارف عليها الآن؛ لم تكن موجودة في التاريخ الإسلامي الأول، حيث لم تكون سوى إقليماً طبيعياً من بلاد الشام، تابعاً للسلطة المركزية في دمشق تارةً (الخلافة الأموية) وللسلطة المركزية في بغداد تارةً (الخلافة العباسية)، وللسلطة المركزية في الفُسطاط، والقطائع، ثم القاهرة (العهد الطولوني، العهد الأخشيدي، ثم العهد الفاطمي).

ويبدأ تاريخ الاحتكاك الحربيّ بين العرب المسلمين وأهل المدن اللبنانية في وقت مبكر، سبق فتح المسلمين لدمشق، وكان ذلك الاحتكاك مع أهل مدينة بَعْلَبَك، وبالتحديد عند حضور خالد بن الوليد من العراق إلى الشام لنجدة المسلمين في فلسطين سنة ١٣ للهجرة الموافق للسنة ٦٣٣ لميلاد، وبعد خروج سرايا المسلمين الثلاث، بقيادة:

١. عمرو بن العاص: إلى فلسطين ومصر.
٢. يزيد بن أبي سفيان: إلى بلاد الشام (سوريا ولبنان حالياً).
٣. شُرَحْبيل بن حَسَنَة: إلى الأردن.

وبعد فتح بَعْلَبَك كان خالد بن الوليد يصطحب معه ابنه عبدَ الرحمن عند حصار بَعْلَبَك.

ويرتبط تاريخ الفتح الإسلامي لبيروت بتاريخ فتح كلٍّ من : صيدا وعِرْقة وجُبَيْل، حيث جرى فتح هذه المدن كّلها في وقت واحد، حسب رواية (البلاذُري)، وذلك نحو سنة ١٣ للهجرة النبويّة على الأرجح، ويظهر أنها كانت صغيرةً وغير محصّنة بما يكفي، ولهذا كان فتحها فتحاً يسيراً، على يد يزيد بن أبي سفيان، وكان في مقدّمة جُنْده أخوه معاوية.

ومنذ أن فُتحت، أصبحت بيروت تابعة لولاية (يزيد بن أبي سفيان)، وبعد وفاته في سنة ١٨ للهجرة أصبحت تابعة لمعاوية والي الشام، وصارت تُعرف بساحل دمشق، ونظراً لموقعها الجغرافي فقد أصبحت الميناء الطبيعيّ لدمشق، ولهذا فإنّ معاوية أهتّم بها وراح يُرسل إليها الناس لسُكناها وأعمارها والدفاع عنها، خصوصاً بعد أن تمكّن البيزنطيّون من الاستيلاء على سواحل الشام لمدّة سنتين بعد فتحه، فكان أكثر أهلها من الفُرس الذين نقلهم معاوية إليها.

ولقد أسهمت بيروت مثل غيرها من المدن الساحلية في الغزوات البحرية التي قام بها المسلمون إلى جزر المتوسّط، كما أسهمت في الدفاع عن سواحل الشام، فرابط فيها جماعة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

ومنذ فتح المسلمون سواحل الشام (لبنان حاليا) في عهد الخلفاء الراشدين تحولت المدن الثغرية إلى رباطٍ للصحابة (رضوان الله عليهم) وللمجاهدين في سبيل الله، وكان الصحابة يفضلون الرباط على الجهاد لأنّ في الجهاد شروطاً كثيرة ليست في الرباط، وكان ساحل الشام كلّه يُعتبر رباطاً بعد الفتح، إذ عنده تنتهي الدولة العربيّة الإسلاميّة على الطرف الشرقي للبحر المتوسّط، وفي الطرف الآخر، حدود دولة الروم البيزنطيّة بأسطولها البحري الذي يهدّد سواحل الشام في كل وقت.

ويؤيد ذلك ما ذكره الحافظ ابن عساكر الدمشقي مرفوعاُ عن أبي الدرداء الأنصاريّ: "أهل الشام وأزواجهم وذرياهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة – جزيرة الفرات – مرابطون في سبيل الله، فمن احتلّ[١] منها مدينة من المدائن فهو في رباط، ومن احتلّ منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد"[٢].

ويُعتبر أبو الدرداء أول من قدِم للرباط في ساحل لبنان من الصحابة، حيث نزل بيروت بعد فتحها مباشرة، وهذا ما تفيدنا به رواية (محمد بن المبارك الصوريّ) المتوفّى سنة ٢١٥ للهجرة، والتي تقول إنّ سلمان الفارسيّ قدِم دمشق، فلم يبق فيها شريف إلاّ عرض عليه المترل، فقال: فقال إني قد عزمت أن أنزل على بشير بن سعد مرّتي هذه، فسأل سلمان الفارسي الدمشقيّين عن أبي الدرداء، فقالوا له: إنه مرابط، فقال: وأين مرابطكم يا أهل دمشق؟ قالوا: بيروت. فخرج للرباط معه هناك[٣].

فهذه الرواية تؤكّد لنا أنّ مرابطة أبي الدرداء وسلمان الفارسيّ كانت في وقت مبكرٍ بعد فتح المسلمين لبيروت مباشرة.

١- المقصود بالاحتلال السكنى بها والإقامة فيها.

٢- تاريخ دمشق (٢٨٢/١) دار الفكر.

٣- تاريخ دمشق (٢٩٤/١٠).

ولقد ظلت لبنان في العهود الإسلامية التالية تابعة لولاية بلاد الشام، غير أن النصارى الذين أخرجوا في القديم من الشام ورحلوا عنها في القرن الأول الهجري، لم يزالوا يتحينون الفرصة للعودة مرة أخرى إلى تلك البلاد، حتى سنحت لهم تلك الفرصة في القرن الخامس الهجري في وقت ضعفت فيه الخلافة الإسلامية ونشطت فيه الفرق المخالفة ومن بينها الشيعة بكافة مذاهبها.

"وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالا، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله، حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد طرابلس وإنطاكية وجميع ما والى ذلك، إلى بلاد إياس وسيس، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين وبلاد شتى غير ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقا وأمما لا يحصيهم إلا الله، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ولكن الله سلم"[١].

ويرى الدكتور جمال عبد الهادي: ".. أن اغتصاب أوروبا لبلاد الشام في بداية القرن الخامس الهجري، والانفراد بالمسلمين، ومحاولة القضاء عليهم سبقه عدة أمور[٢]:

الأولى: زرع دولة شيعية – الدولة الفاطمية- مؤسسها يهودي أو مجوسي (عبيد المهدي)ترفع شعار الإسلام، بادعاء انتسابها إلى فاطمة بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

٤- البداية والنهاية (٣٣٢/١٢)، ونرى في تلك الفقرة كيف ربط ابن كثير رحمه الله بين سقوط الشام في أيدي الصليبيين وصعود الدولة الفاطمية العبيدية (الشيعية) في مصر.

٥- يستطيع المتتبع للواقع السياسي الحالي والقارئ لهذا الكتاب اكتشاف أن هذه الأمور التي ذكرها الدكتور عبد الهادي تكاد تتكرر في وقتنا الحالي، ويقود الشيعة الإمامية الدور الذي كانت تلعبه الدولة الفاطمية قديمًا.

تهدف إلى عزل دول الشمال الإفريقي، وخاصة مصر عن بقية بلاد الشام إثناء تعرضه للغزو الصليبي[١].

الثانية: هذه الدولة كانت لها مراسلات وسفارات مع الأوربيين الصليبين الدين عادوا لاغتصاب أرض الشام ومصر بل ومن الثابت أنها طلبت منهم المعاونة ضد نور الدين زنكي وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي[٢].

الثالثة: إن حكام هذه الدولة حرصوا على هدم الخلافة العباسية، والتي كانت تحتاج إلى من يدعمها ويساندها ويأخذ بيدها بدل من الحرص على هدمها، لأن الخلافة هي السياج الحامي بعد الله لبلاد المسلمين من كيد أعدائها[٣].

الرابعة:ظهور الباطنية القرامطة الذين يدعون انتسابهم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذين عملوا على هدم الخلافة العباسية وإفساد عقيدة الأمة.

الخامسة: حرص حكام الدولة العبيدية (الفاطمية) على إفساد عقيدة السلف، عقيدة الأمة المسلمة، ويدخل في ذلك محاولة فرض المذهب الشيعي بالقوة على الأمة وقتل أهل السنة والجماعة وعلمائهم وفقهائهم وسب الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله رضوان الله عليهم على المنابر[٤].

السادسة: عزل مسلمي مصر عن إخوانهم في بلاد الشام والشمال الإفريقي وأثناء هذا العزل جرى القضاء على المقاومة الإسلامية ببلاد الشام والاستيلاء عليها"[٥].

١- سوف يتضح في هذا الكتاب أن "حزب الله" والنظام النصيري في سوريا عملا على منع شباب السنة من مقاومة العدو الصهيوني وأن حزب الله يرفض انضمام السنة إليه أو فتح الطريق أمامهم لمقاومة العدو الصهيوني.

٢- في أيامنا تلك تفاخرت إيران بأنها تعاونت مع الأمريكيين في إسقاط دولتين سنيتين أفغانستان والعراق.

٣- وفي التاريخ المعاصر، عملت الشيعة في لبنان على تمزيق وحدة المسلمين والتميز عنهم، حتى أن نصر الله في مهرجانه الذي اسماه "النصر الإلهي" هاجم رئيس الحكومة السني وألمح إلى المطالبة بإقالته وهو لم يفعل مع رئيس البلاد الماروني أو رئيس البرلمان الشيعي.

٤- وهذا ما يتكرر الآن في العراق على أيدي ميليشيات الشيعة التي قتلت من السنة أكثر من ١٠٠ ألف منذ احتلال العراق بحسب ما كشف الشيخ حارث الضاري رئيس هيئة علماء المسلمين السنة في العراق

٥- "الطريق إلى بيت المقدس" (١/ ٦٠- ٦٢) بتصرف.

ورغم كل تلك الصعوبات نجح المسلمون في إخراج الصليبيين من بلاد الشام، وانتهت الإمارات الصليبية التي أنشأها الجيوش الصليبية على أيدي الظاهر بيبرس رحمه الله، إلا إنه على الرغم من خروجها فإنها تركت واقعًا جديدًا في بلاد الشام وخاصة في لبنان حيث زادت أعداد النصارى، إلا إن لبنان مثلها مثل بقية دول الشام كانت تخضع للخلافة الإسلامية أيًا كانت وجهتها، وخضعت للخلافة العثمانية في عام ١٥١٦ حيث سيطرت جيوش سليم الأول على لبنان وعلى المناطق الجبلية من سوريا وفلسطين، إلا إن لبنان ظلت طوال العهد العثماني تعاني من الاضطرابات والتوترات المستمرة، بسبب الخلاف المستمر الدائم بين الموارنة النصارى والدروز الشيعة، وشهد القرن التاسع عشر أكثر هذه الاضطرابات، خاصة بين أعوام ١٨١٥ – ١٨٧٠، وفي ظل هذه الأجواء طمعت الدول الأوروبية مرة أخرى في العودة إلى بلاد الشام، ورمت ببصرها نحو لبنان حيث كان تذكي هذه الخلافات والتوترات من أجل تحقيق أهدافها التي تريدها؛ ومن ذلك أحداث الفتنة المشهورة في لبنان بين عامي (١٨٥٨م-١٨٦٠م)؛ "فما أن جاءت أواخر ١٨٥٧م حتى أصبحت الحالة في لبنان في منتهى التعقيد، فقد جرّ طغيان مشايخ الدروز ووكلائهم في المناطق الجنوبية خلاف الدروز والنصارى إلى هاوية الأزمة.

وهنا أيد البريطانيون الدروز، فيما أيد الفرنسيون النصارى، أما في المناطق الشمالية، فلم تكن الحالة أقل سوءاً؛ إذ وقف الفلاحون والإكليروس الماروني، يؤيدهم الفرنسيون والنمساويون وجهاً لوجه أمام الأسر الإقطاعية، تشد أزرها بريطانيا.

وفي الوقت نفسه دعم الفرنسيون القائمقام بشير أحمد أبي اللمع وأنصاره من الحزب الأحمدي، فيما انتصر البريطانيون للعسّافيّين، أما العثمانيون، فسعوا إلى توسيع شقة الخلاف في قائمقامية النصارى، وهكذا أصبحت القضية اللبنانية من التشابك بحيث لم تقع حادثة في لبنان إلا كان لها صدى في عواصم أوروبا، وخصوصاً لندن وباريس، وفي ذلك قال أحد زعماء اللبنانيين آنذاك: لقد أصبحت أمورنا في هذه الأيام تابعة لإنجلترا وفرنسا، وإنه إذا ضرب أحدهم رفيقه تصير المسألة إنجليزية فرنسوية، وربما قامت إنجلترا وفرنسا من أجل فنجان قهوة يهرق على الأرض»[١].

١- كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث ، ص ١١٤، دار النهار، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٩١م.

وفي هذه الأثناء كانت فرنسا ترقب الأوضاع في لبنان وسوريا تنتظر الفرصة للنزول هناك، وجاءتها تلك الفرصة أثناء الحرب الإيطالية التركية، حيث وصلت السفن الحربية الإيطالية عام ١٩١٢ إلى مقربة من بيروت وأطلقت نيرانها على السفن التركية الراسية في الميناء، مما سمح لفرنسا بالإعلان أن لها مصالح خاصة في سوريا ولبنان وأنها لن تتخلى عن مواقعها التقليدية فيهما ولا عن حقها بالدفاع عن مصالحها.

وبعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى وتقسيمهم لأراضي الخلافة العثمانية وفقًا لاتفاقية سايكس بيكو، تم وضع منطقة جبل لبنان ومناطق أخرى كما هو الحال مع سوريا تحت الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٠، وفي عام ١٩٢٦ انشأ الفرنسيون الجمهورية اللبنانية، وانتخب شارل دباس كأول رئيس للبنان؛ وعملت فرنسا على ترسيخ وجود الموارنة في لبنان ووضعت من القوانين ما يضيف لهم قوة سياسية ويعترف بهم دون بقية الطوائف وخاصة المسلمين.

وبقي الحال على ذلك حتى عام ١٩٤٣ حيث قام اللبنانيون بانتزاع حقهم بالاستقلال من فرنسا، ونجح المسلمون السنة في انتزاع جزء من حقهم في حكم لبنان حيث اعترف أنهم يمثلون ما لا يقل عن ٤٠% من الشعب اللبناني.

لبنان .. الدولة الطائفة

" .. إن لبنان يُعد لكي يكون الحفرة التي يساق إليها العرب جميعًا برجالهم أو أموالهم أو بخلافاتهم، إنها الحفرة التي يراد منها أن ينسى العرب ما قبلها، فالإنسان لا ينسى كارثة بكارثة تتلوها يراد بها أن تكون دمارًا يضحى فيها بلبنان، ولكن أيضًا لكي ينسى العرب فلسطين .."

الصحفي المصري أحمد بهاء الدين يصف لبنان ١٩٧٨ .

يصف أحد المؤرخين اللبنانيين الواقع اللبناني فيقول: "إن الشعب اللبناني لم يكن في الماضي أمة واعية لكيانها، وموحدة في أهدافها، وإنما كان مجموعة من الطوائف جمع بينها حلف هو أقرب ما يكون إلى العقد الاجتماعي. وتاريخ لبنان ـــ منذ القرن الثامن عشر ـــ هو في المقام الأول، تاريخ تطور هذا العقد الاجتماعي وأثره في نمو البلاد"[١].

فمنذ الحملات الصليبية على العالم الإسلامي وتأسيس الإمارات الصليبية، ولبنان التي مثلت في الماضي موطئًا قدم لهذه الحملات تمثل في الحديث كذلك موطئًا لصراعات وتصفية حسابات ولكن من نوع آخر؛ "لبنان أرض سائبة يتقاتل عليها وفيها الآخرون، إنه بلد موبوء بمختلف الفيروسات الاجتماعية التي لا يرجى منها شفاء"[٢].

وأول شيء يجب أن نضعه في الاعتبار عند الحديث عن الوضع السياسي اللبناني هو طبيعة لبنان الطائفية، فالوضع في لبنان ينتظم على أساس طائفي، وهو نظام يعود إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى عندما انتدبت عصبة الأمم فرنسا في العام ١٩٢٠ لإدارة البلاد.

ولقد حرصت الدول الغربية على إبقاء الوضع الطائفي للبنان من أجل تحقيق مصالحها، "فلبنان هو ضحية اللعبة السياسية القذرة للمعسكرين الشرقي والغربي. كل المنظمات الفاعلة على الساحة اللبنانية ارتبطت بإحدى الدول العربية، أو بإحدى القوى الخارجية، وكل هذه المجموعات والمنظمات تورطت بشكل عميق وكثيف في لبنان، وكافة التطورات التي جرت فيه"[٣].

١- كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث ، ص ٢٨.

٢- حرب الألف عام في لبنان، جوناثان راندال، ص ١٠، ترجمة: فندي الشعار، دار المروج، ١٩٨٤م.

٣- أمل والشيعة، نضال من أجل كيان لبنان، أ.ر. نورثون، ترجمة: غسان الحاج عبد الله، دار بلال، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٨م/ ١٣٩.

والطوائف الرئيسية بين الطوائف السبع عشرة المعترف بها هي:
من الجانب المسيحي: الموارنة (كاثوليك) والروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك،
ومن الجانب المسلم: السنة والشيعة، يضاف إليهم الدروز.

وينص دستور العام ١٩٢٦ الذي فرضته باريس في المادة ٩٥: "بصفة انتقالية ومن أجل تأمين العدالة والوفاق تتمثل الطوائف بالتساوي في الوظائف العامة وفي تشكيل الوزارات".

وفي الواقع أن هذا النظام، الذي جرى التأكيد عليه عند الاستقلال في العام ١٩٤٣، قد ضمن السيطرة السياسية للطائفة المارونية، حيث وزعت مقاعد النواب على قاعدة معادلة لهذا التوزيع: ٦٠% لمختلف الطوائف المسيحية مقابل ٤٠% للطوائف الإسلامية؛ وذلك على الرغم من أن الأغلبية العددية كانت للمسلمين السنة.

ولقد ظلّ لبنان يعاني في تاريخه الحديث والمعاصر من أربع إشكاليات :

١- تركيبته الطائفية المتنوعة التي لا تُعطي أغلبية مطلقة لطائفة على أخرى.

٢- بنية النظام السياسية التي استجابت للمعايير الطائفية.

٣- انعكاسات التقاطعات الإقليمية على ساحته بما في ذلك قضية وجود اللاجئين الفلسطينيين (السنّة) على ساحته والصراع مع الكيان الإسرائيلي، بالإضافة إلى الدور السوري.

٤- البُعد الدولي وخصوصاً التدخلات الفرنسية والأمريكية.

وقد وضع هذا كله الطائفة السنية أمام خيارات صعبة، جعلتهم يختارون أحياناً بين ما هو سيئ وما هو أسوأ، لكن بوصلتهم الوطنية العربية الإسلامية ظلت هي الموجه العام لحركتهم؛ وظلت طائفة السنة هي الطائفة الوحيدة الحريصة على جمع كلمة الطوائف اللبنانية والتوفيق بينها.

الحرب الأهلية اللبنانية .. ومأساة السنة:

ولنفهم ما يحدث في لبنان اليوم يجب أن نعود إلى الوراء قليلاً، إلى قبل اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية في عام ١٩٧٥، يوم أن اندلعت الحرب بين أطراف عدة داخل لبنان بينما كان اللاعبون الحقيقيون أطراف كُثُر خارج لبنان، وفي علم السياسة لا تندلع الحروب الأهلية إلا إذا رأت القوى والتيارات المختلفة أنها وصلت لحالة من القوة تتيح لها المزيد من النفوذ والسيطرة، وهذا ما ينطبق على حالة لبنان فيما سبق وفيما يأتي، فالأطراف المتصارعة خارج لبنان وهي

أمريكا وإسرائيل وسوريا وإيران رأت في لبنان ساحة للضغط على الخصم والخروج بمزيد من المكاسب.

ولابد أن نشير إلى أن التدخل السوري في لبنان كان بموافقة ورضا أمريكية وإسرائيلية، حيث دخلت القوات السورية لبنان استجابة لطلب الرئيس اللبناني آنذاك سليمان فرنجية الذي كان قصره الرئاسي هدفاً لقصف المدفعية الفلسطينية والقوى اللبنانية المتحالفة معها. وأتى هذا التدخل ليوقف تقدم هذه القوى باتجاه المناطق المسيحية.

ودخلت سوريا إلى لبنان في أتون الحرب لأهداف إستراتيجية أبرزها: الحد من الامتداد العسكري الفلسطيني على الساحة اللبنانية، الحفاظ على النصارى في لبنان أمام انتصارات القوات الفلسطينية.

وجميع هذه الأهداف إنما تصب في صالح إسرائيل عبر إضعاف الوجود الفلسطيني في لبنان، الأمر الذي أضعف وأنهى المقاومة الفلسطينية في الشمال، كما أن هذه الأهداف لا تتحقق سوى على حساب السنة.

وقد لاقت هذه الأهداف رضا أمريكا وحليفتها إسرائيل، يقول باتريك سيل الكاتب البريطاني المقرب من الراحل حافظ الأسد في كتابه "الأسد.. الصراع على الشرق الأوسط": إن هنري كيسنجر هو صاحب الفكرة الجهنمية في الاستفادة من التدخل السوري في لبنان، وفي إقناع الإسرائيليين بذلك.

ونقلت وكالة اليونايتدبرس من واشنطن [يوم ١٩٧٦/١/٢٧] ما يلي: "إن وزارة الخارجية الأمريكية أكدت بأنها تقوم بنقل الرسائل من إسرائيل إلى سوريا، حول الوضع في الجنوب اللبناني، وقال فردريك براون المتحدث باسم الوزارة في تصريح للصحفيين: إننا على اتصال مع حكومات سوريا وإسرائيل ولبنان، وإننا نراقب الوضع عن كثب، واعترفت الصحف الإسرائيلية بأن اتصالات من هذا النوع قد جرت، وأوضحت أن سوريا أكدت لمسئولين أمريكيين، أن وجود قواتها في الجنوب إنما يستهدف المقاومة واليساريين اللبنانيين".

وتحدث كيسنجر أمام لجنة الاعتمادات بالكونجرس فقال: "إن الولايات المتحدة تلعب دورًا رئيسيًا في لبنان، وإننا شجعنا المبادرة السورية هناك، إن الوضع يسير لصالحنا ويمكن رؤية خطوط تسوية".

وعلى الصعيد الإسرائيلي؛ قال موشيه دايان: "إن على إسرائيل أن تظل في موقف المراقب حتى لو غزت القوات السورية بيروت واخترقت الخط الأحمر، لأن غزو القوات السورية للبنان، ليس عملاً موجهًا ضد أمن إسرائيل" [وكالة الصحافة الفرنسية ١٩٧٦/٦/٥].

وأعلن رئيس وزراء إسرائيل إسحاق رابين في تصريح نقلته إذاعتهم: "إن إسرائيل لا تجد سببًا يدعوها لمنع الجيش السوري من التوغل في لبنان. فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين، وتدخلنا عندئذٍ سيكون بمثابة تقديم المساعدة للفلسطينيين، ويجب علينا ألا نزعج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين فهي تقوم بمهمة لا تخفى نتائجها الحسنة بالنسبة لنا".

وفي ١٩٧٦/٩/٨ نشرت التايم اللندنية مقالاً تحت عنوان: إسرائيل تشارك في حرب لبنان سرًا جاء فيه:

"إن التفاهم غير المعلن بين إسرائيل والنظام السوري، بسحب قواته العسكرية المتواجدة في الجبهة، ونقلها تدريجياً إلى لبنان وإلى الحدود مع العراق".

وأضافت المجلة: "إن هذه التدابير قد وضعت الإسرائيليين في الجانب الذي يقف فيه النظام السوري بعد تدخله الفعلي إلى جانب قوى اليمين، والذي يتحدد بالأساس، بتصفية الفدائيين الفلسطينيين، تمهيداً لفرض تسوية سلمية لمشكلة الشرق الأوسط، وتقوم إسرائيل بفرض حصار بحري على عدة موانئ لبنانية يسيطر عليها الوطنيون وخاصة مينائي صيدا وصور لمنع وصول الأسلحة إلى الوطنيين والمقاومة. لقد استطاعت إسرائيل بعملها هذا الحصول على سيطرة فعلية، على شريط من الأرض جنوب لبنان يمتد حتى نهر الليطاني.

"وقالت المجلة: إن عدداً من أركان النظام السوري الحاكم حضروا الاجتماع الموسع الأخير، بين شمعون بيريز والقوى اليمينية في جونية، حيث شجع المباحثات بيريز على إمضاء ليلة على سفينة الشحن التي أقلته إلى لبنان".

لقد كان التدخل الصهيوني سريًا في لبنان عام ١٩٧٦، ثم بدأ يميل شيئًا فشيئًا إلى العلنية حتى جاء الاجتياح الصهيوني إلى لبنان في: ١٩٨٢/٦/٤، وفرضت القوات الصهيونية حصارًا على بيروت الغربية لم تشهده من قبل، وما رفعوا الحصار حتى خرجت المقاومة من لبنان، وعندما كان بعض الفلسطينيين [الذين احتفظوا بعلاقات لا بأس بها مع أسد ونظامه] يطلبون من أسد التدخل لرفع الحصار عنهم، كان يقول لهم: "إنه ليس هناك كيان فلسطيني، وليس هناك

شعب فلسطيني، بل سورية وأنتم جزء من الشعب السوري، وفلسطين جزء لا يتجزأ من سورية، وإذن نحن المسئولون الممثلون الحقيقيون للشعب الفلسطيني" [ينظر: هذه وصيتي لكمال جنبلاط، ص: ١٠٥].

أما ما قاله الأسد لمبعوث عرفات فهو: "أريد أن تـــهلكوا جميعًا لأنكم أوباش".

وهكذا جرى وضع التفاهم الضمني المعروف باتفاقية "الخطوط الحمر" الـــتي وافقـــت بموجبها إسرائيل على الوجود السوري العسكري في لبنان ضمن شروط وقيود محددة بدقة.

وطوال خمسة عشر عامًا من الصراع نجح كل طرف من أطراف الصـــراع في تحقيـــق مكاسب على حساب الطرف الثالث الضحية وهم السنة، وانتهت الحرب وقد تغيرت خريطـــة لبنان وتحققت أمور وكسب الجميع وخسر السنة، ومن أهم الأمور التي تحققت:

١- إخراج الفلسطينيين من لبنان وبخاصة كتائب المقاومة وذلك بعد مذابح صـــابرا وشاتيلا الشهيرة في عامي ١٩٨٢ و١٩٨٥ وقد شهدت هذه المذابح تعاونًا كبيرًا بين الكتائـــب النصرانية الطائفية والعدوان الإسرائيلي إضافة إلى مشاركة شيعية متمثلة في حركة أمل بزعامـــة نبيه بري ولا نستطيع أن نتجاهل كذلك دور القوات السورية في قتال الفلسطينيين هناك، أمـــا الشيعة فاستفادوا من ذلك في إضعاف الوجود السني في لبنان الأمر الذي يمكنهم من الدخول في اللعبة السياسية، أما النظام النصيري في سوريا فيري أن الفصائل الفلسطينية الموجودة علـــى أرض لبنان تُعتبر امتداداً مباشراً للقوى السنية في لبنان وسوريا وهو أمر يوجب تحجيمها وضربها حـــتى لا تقوى المعارضة السنية السورية، ولابد أن نشير هنا إلى أن مأساة المسلمين السنة لم تقتصر على الفلسطينيين بل امتدت لتشمل اللبنانيين أيضا، فالدبابات النصيرية التي كانت تجـــوب شـــوارع صيدا تحصد أرواح المدنيين، وتقصف واجهات المحلات التجارية، وتوقع خسائر مذهلة في مـــبنى المستشفى الكائن في ضاحية من ضواحي صيدا الجنوبية، وقد كان المعتدون يعلمـــون أن صـــيدا لبنانية وليست فلسطينية، ومعظم سكانـــها من السنة؛ وطرابلس التي استباحها النظام النصـــيري لبنانية سنية وليست فلسطينية، وكذلك بيروت الغربية التي اقتصر حصار الكيان الصهيوني عليها وحدها، دون أن يتعرض سكان بيروت الشرقية لأي أذى.

وبينما كانت بيروت الغربية تضمد الجراحات التي خلفها الحصار اليهودي، وتظـــن أن الغمة قد فُرِجَتْ إذ بـــها تفاجأ باجتياح قوات أمل الشيعية وقوات جنبلاط لحماها، ويرتكـــب

الغزاة الجدد من الفظائع التي لم يرتكبها اليهود من قبل، ثم يقع صراع بين طرفي الغزاة أيهم يسيطر على مساحة أكبر وأهم.

و لم يسلم كبار العلماء من طغيان النظام النصيري حيث أقدمت قواتهم على اغتيال مفتي لبنان الشيخ حسن خالد رحمه الله، مع أن الرجل كان مسالماً، ثم اغتالت الشيخ صبحي الصالح وهو الرجل الثاني في المؤسسة الإسلامية السنية، و لم يكن للشيخين الفاضلين أدنى صلة بالسلاح وحملته، لكنه الحقد الباطني ضد أهل السنة.

٢- القضاء على مشروع المقاومة فبخروج القوات السنية من الفلسطينيين واللبنانيين، طُوي شعار تحرير فلسطين، كل فلسطين من البحر وحتى النهر، ورفعت كل دولة عربية تحرير ما احتلته الدولة اللقيطة عام ١٩٦٧ م، وحيل بين الشعوب ونصرتها لإخوانهم المستضعفين في فلسطين المحتلة، وقد سعت إسرائيل من وراء إخراج الفلسطينيين من لبنان إلى إنهاء ساحة مقاومة كانت تؤرقها كثيرة،

٣- دخول الشيعة كطرف ثالث في النظام السياسي اللبناني، فقبل الحرب الأهلية في لبنان لم يكن الشيعة سوي طائفة من طوائف المسلمين في لبنان، أما بعد الحرب أصبح الشيعة لاعبًا ثالثًا في الساحة اللبنانية، ويحرص النظام السوري على دعم الوجود الشيعي في لبنان وبخاصة حزب الله الشيعي من أجل إضعاف السنة، كما أن دعم الشيعة هو أمر أساسي في العلاقة المميزة بين إيران والنظام الحاكم في سوريا، وبذلك حتى يكتمل المثلث الإيراني السوري اللبناني.

٤- إضعاف الوجود السني في لبنان، وإخراج السنة من اللعبة السياسية، ويكاد أن تكون جميع الأطراف المتصارعة تستفيد من هذه النقطة، فالنظام النصيري في سوريا سعى منذ دخوله إلى لبنان في ١٩٧٥ إلى استهداف المسلمين السنة في لبنان، ويورد صاحب كتاب "أمل والمخيمات الفلسطينية" شهادات ووثائق تكشف المذابح التي قامت بها القوات السورية ضد السنة في طرابلس وصيدا وغيرها من المدن اللبنانية، كما سعى النظام النصيري فيما بعد إلى ضرب الجماعات والمنظمات السنية اللبنانية على اختلاف أطيافها وتوجهاتها والتي من الممكن أن تشكل عنصر دعم وتأييد للمعارضة السورية السنية.

٥- زيادة قوة الوجود النصراني الماروني في لبنان، وقد تم ذلك من خلال الحرب الأهلية التي عاني منها المسلمون السنة أكثر من غيرهم، كما أن النظام السوري ذاته لعب دورًا

في حماية المنظمات النصرانية المارونية من النفوذ السني اللبناني والتواجد الفلسطيني القوي في السبعينيات والثمانينات.

وانتهت الحرب بعد خمسة عشر عامًا، كان الخاسر الوحيد فيها الطرف السني، حيث سيطرت الكتائب المارونية والشيعية على بيروت التي كانت إحدى معاقل السنة في لبنان، وفقد السنة الآلاف من أبنائهم على أيدي جميع الطوائف، حتى أن زعيمين من زعماء المسلمين وهما الشيخ صبحي الصالح والمفتي حسن خالد[١] اغتيلا على أيدي مجهولين، وبرغم خسائر السنة في هذه الحرب إلا إنهم نجحوا في إنهائها وإعادة السلام إلى لبنان بعد "اتفاق الطائف" الشهير، والذي كان رفيق الحريري مهندسه الأول، وقد أثار "اتفاق الطائف" حنق الأطراف المتحاربة وخاصة الشيعة وذلك لأنه أوقفهم وحد من توحشهم الأمر الذي اعتبروه خسارة لم تعوض.

اتفاق الطائف:

يمثل اتفاق الطائف الذي تم التوصل إليه في عام ١٩٨٩ نقطة مفصلية في تاريخ لبنان الحديث، ففي ظله تم رسم الهيكل السياسي اللبناني الجديد، وبمقتضاه تم تقسيم المكاسب السياسية بين الطوائف اللبنانية المختلفة، مما كرس الطائفية وإن كان مهندسو الاتفاق أرادوا غير ذلك، إلا إن الجميع قبل به كحل مؤقت لإيقاف الحرب الأهلية وتقسيم المكاسب، ورسم واقع سياسي جديد في لبنان يقر ما أسفرت عنه الحرب من نتائج.

وقد عمل رفيق الحريري والحكومة السعودية على التوصل إلى هذا الاتفاق، حيث استضافت السعودية اجتماع المؤتمر الوطني اللبناني في الطائف في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٩ والذي أنهى الحرب الأهلية التي استمرت أكثر من عشرين عاما.

وفي الخامس من نوفمبر ١٩٨٩ اجتمع مجلس النواب اللبناني في مطار القليعات حيث تم انتخاب رينيه معوض رئيسا للجمهورية اللبنانية، وعلى الرغم من اغتيال الرئيس معوض في الثاني والعشرين من الشهر نفسه، إلا أن انتخاب المجلس بعد يومين من عملية الاغتيال لـ إلياس

١- اغتيل الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية سنة ١٩٨٩م بسبب مواقفه الرافضة لهيمنة طائفة دون أخرى، ليبقى لبنان لكل طوائفه، وكان له دور في تهيئة الأجواء لاتفاق الطائف، الذي أنهى الحرب الأهلية في لبنان، وحافظ على بقاء التوازن الطائفي فيه، للحيلولة دون هيمنة طائفة لبنانية على طائفة.

الهراوي رئيسا للجمهورية، وتشكيل حكومة وطنية برئاسة سليم الحص قد مهد الطريق أمام لبنان في أعقاب اتفاق الطائف لوضع أسس الأمن والسلام في لبنان حيث نجحت حكومة الحص في القضاء على تمرد العماد ميشال عون وفي توحيد بيروت والبدء في الإصلاحات الدستورية ووضع أسس ترتيب العلاقات الجديدة مع سورية وكذلك وضع مخططات برامج إعادة بناء وتطوير لبنان.

وطبقا لاتفاق الطائف عام ١٩٨٩، فقد تم الاتفاق على أن تكون الخريطة السياسية اللبنانية على الشكل التالي:

١- الرئيس اللبناني مسيحي ماروني.

٢- رئيس مجلس الوزراء مسلم سني.

٣- رئيس مجلس النواب مسلم شيعي.

لقد استند اتفاق الطائف على التوازنات الموجودة في الوقت الذي تم التوصل إليه، غير أن هذا الاتفاق لم يعجب الشيعة في ذلك الوقت، لأنهم رأوا فيه مانعًا عن تحقيق المزيد من المكاسب التي كانوا يسعون إليها؛ ؛ يقول محمد حسين فضل الله في مقابلة مع مجلة الحوادث ٢٠٠٣/٨/١: **"مشكلة اتفاق الطائف أنه لم ينطلق من العمق، لكنه انطلق من السطح، كان مجرد فرصة اضطرارية لوقف الحرب، فهو وسيلة للهدنة، ولم يكن وسيلة للسلام"**.

ولقد خرجت عناصر "حزب الله" في مظاهرات عقب التوصل إلى اتفاق الطائف تندد بهذا الاتفاق، ومما قالوا في تلك التظاهرات "سنمزق اتفاق الطائف"، "الوهابيون رجس من عمل الشيطان، سننتقم من الوهابيين، لن تمر هذه الجريمة دون عقاب".

حزب الله .. الحقيقة والسراب

إذا أردنا أن نؤرخ لحزب الله، فلا نستطيع أن نسجل بدايته مع الإعلان الرسمي لنشأة هذا الحزب بل يجب علينا أن نعيد سنوات كثيرة إلى الوراء قبل هذا الإعلان لنرى كيف بدأت الطائفة الشيعية اللبنانية تنتهج العمل السياسي، وكيف أصبحت ذراعًا للنظام الإيراني فيما بعد، ولطول هذا الموضوع وتشعبه فإننا نحيل القارئ على كتاب "حقيقة المقاومة" للكاتب "عبد المنعم شفيق" الذي أفاض في الحديث عن تاريخ الطائفة الشيعية حتى ظهور حزب الله على الساحة اللبنانية.

غير أننا نورد هنا ملخصًا مبسطًا عن نشأة ذلك الحزب وبدايته في محاولة منا لاستجلاء الأيدي التي تقف ورائه، تلك الأيدي التي تحركه من أجل تحقيق مآربها في المقام الأول.

البداية مع موسى الصدر:

بعد استقلال لبنان في عام ١٩٤٣م كانت الخريطة السياسية الداخلية منقسمة بين الموارنة النصارى، وبين المسلمين، ولم يكن هناك وقتها فرق بين المسلمين السنة والمسلمين الشيعة، فكلهم مسلمون.

وبينما كان السنة لا يفكرون يومًا في أية فوارق بينهم وبين الشيعة، كان الشيعة على النقيض من ذلك تسرى في جنباتهم رغبة ملحة في التميز عن المسلمين السنة، أو إن شئت فقل رغبة ملحة في التفرد بقيادة المسلمين في لبنان.

ساعد على هذا الشعور ما اعتبره الشيعة تفرقة بينهم وبين السنة، حيث كان السنة يقطنون بيروت المعروفة بغناها وثراها، بينما حصر الشيعة أنفسهم في مناطق الجنوب والبقاع والتي كانت في نظر الشيعة مناطق محرومة.

ومنذ أيام الاحتلال والشيعة يعملون على التميز ضد المسلمين السنة، بل إنهم كثيرًا ما وقفوا في صفوف الاحتلال ضد المسلمين السنة، يقول الأستاذ محمد كرد علي: **"والغريب أن شيعة جبل عاملة كانوا من حزب الصليبيين على المسلمين إلا قليلاً، كما كان هوى الموارنة مع الصليبيين ويعملون عندهم أولاء وتراجمة"**[١].

١- خطط الشام (١٤/٢).

ثم كان بعد ذلك لجوء الفلسطينيين إلى لبنان وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٤ وانطلاق عملياتها من الجنوب اللبناني، الأمر الذي مثل فارقًا ديموغرافيًا وسياسيًا لصالح السنة، فالفلسطينيون سنة ويلتقون مع السنة في كثير من الأهداف.

وفي ظل هذه الظروف، قدم إلى لبنان[١] شيعي إيراني هو موسى الصدر الذي سرعان ما تم منحه الجنسية اللبنانية — من قبل الرئاسة المارونية النصرانية الأمر الذي يثير كثيرًا من التساؤلات –، وأخذ يعمل على تنظيم صفوف الشيعة وإقامة المشاريع لهم، وعمل في أول الأمر على تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، والانفصال التام بالشيعة باعتبارها طائفة مستقلة عن المسلمين السنة في لبنان، فقد كان للمسلمين في لبنان مفتٍ واحد ودار فتوى واحدة، وفكر الشيعة في إنشاء «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى» عام ١٩٦٦م ووافق مجلس النواب اللبناني على إنشائه واختير الصدر رئيساً للمجلس، وبهذا أصبحت الشيعة طائفة معترفاً بها رسمياً في لبنان كالسنة والموارنة.

وأصبح هذا المجلس المرجعية السياسية والدينية الجديدة التي تهتم بكل ما يتعلق بالشيعة اللبنانيين وبجميع شئون حياتهم ومماتهم، وتحولت المرجعية بهذا المجلس من مرجعية فردية إلى مرجعية مؤسسية.

ثم أنشأ الصدر حركة أمل الشيعية المسلحة سنة ١٩٧٥، وساهمت المنظمات الفلسطينية مساهمة فعالة في التأطير العسكري والسياسي لحركة أمل وفي تسليحها ودعمها، وبعد اختفاء الصدر الذي كان في زيارة إلى ليبيا تولى رئاسة الحركة حسين الحسيني ثم نبيه برّي الذي وجهها وجهة سورية، واختار تحالفاً لا حدود له مع سوريا التي كانت تعيش صراعاً على النفوذ مع منظمة عرفات في لبنان، وبالرغم من الدعم الفلسطيني الكبير لحركة أمل الشيعية إلا أن الفلسطينيين كانوا ضحايا الحركة، فقد اقترفت ضدهم مذابح مروعة وفرضت حصاراً على مخيماتهم وهو ما عرف لاحقاً باسم (حرب المخيمات) وهذا يدل على طيبة أهل السنة تجاه الآخرين.

في بداية عام ١٩٧٩، انتصرت الثورة الإيرانية في إيران، فدب الحماس في نفوس المقاتلين

٢- أو أُرسل إلى لبنان من قبل شاه إيران، كما يرى الأستاذ عبد المنعم شقيق صاحب كتاب حقيقة المقاومة ص ٧٠.

الشيعة، الذين سارعوا إلى تشكيل "لجان دعم الثورة الإسلامية في إيران" واختار بعض رجـال الدين الإيرانيين المنفيين في لبنان البقاء في لبنان، والعمل كجسر لإيـران في لبنـان، وتكثفـت الاتصالات بين الشيعة اللبنانيين والإيرانيين، وتمركز علماء دين إيرانيون في الجنـوب وضـاحية بيروت الجنوبية، وصارت السفارة الإيرانية تكثف نشاطاتها الدعائية والاجتماعية والثقافية وتقدم المساعدات وتنظم التجمعات والمهرجانات الداعية للثورة، وتساهم في خلق الظـروف المؤاتيـة لمشروع تصدير الثورة.

ومع تصاعد الغزو اليهودي ضد لبنان عام ١٩٨٢م، تم تشكيل هيئة إنقاذ وطـني مـن مختلف الفصائل ومن بينها حركة أمل، لكن إيران طلبت من رئيس الحركة نبيـه بـري عـدم المشاركة واعتراضاً على مشاركة بري انشق عنه بعض الأعضاء الموالين لإيران وأسسوا "حركـة أمل الإسلامية"، وفي الوقت الذي كان فيه حسين موسوي نائب رئيس حركة أمل يهاجم هيئـة الإنقاذ والمشاركين فيها ويعلن ولادة " أمل الإسلامية " قام بخطف عدد مـن رجـال الـدين المسيحيين في مدينة زحلة، وسرعان ما تحولت "أمل الإسلامية" إلى "حـزب الله "، و في عـام ١٩٨٤ تم اعتماد التسمية الثابتة والشعار المركزي للحزب، وفي عام ١٩٨٥ م أصـدر "حـزب الله" الرسالة المفتوحة التي تحتوي على برنامجه السياسي ورؤيته للواقع المحلي والإقليمي والـدولي، وهكذا فقد نشأ وولد حزب الله من رحم الاحتجاج على انضمام نبيه بري إلى لجنـة الإنقـاذ للتصدي للعدوان الإسرائيلي.

ظروف النشأة:

سبق الوجود التنظيمي لحزب الله في لبنان والذي يؤرخ له بعام ١٩٨٢ وجود فكـري وعقائدي يسبق هذا التاريخ، هذه البيئة الفكرية كان للشيخ حسين فضل الله دور في تكوينها من خلال نشاطه العلمي في الجنوب، وكان قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ بقيادة آية الله الخميني دافعا قويا لنمو حزب الله، وذلك للارتباط المذهبي والسياسي بين الطرفين.

ومنذ الاجتياح الصهيوني للبنان ١٩٨٢ بدأت قوات الحرس الثوري الإيراني تتسـلل إلى لبنان عن طريق سوريا وبالتنسيق معها، وأقامت هذه القوات مخيمين لتدريب الشـيعة: الأول في الزبداني، وهي بلدة سورية على حدودها مع لبنان، والثاني في بعلبك اللبنانية، وكانت القـوات السورية تشارك في التدريب، وفي تنظيم دخول قوات الحرس الثوري إلى لبنان بدون تأشيرة.

وعلى هامش "المؤتمر الأول للمستضعفين" اجتمع الخميني بعدد من علماء ودعاة الشيعة الذين شاركوا في هذا المؤتمر، وكان من بينهم: محمد حسين فضل الله، صبحي الطفيلي، وممثل حركة أمل في طهران إبراهيم أمين، وتدارس معهم الخطوات الأولى اللازمة من أجل إنشاء هذا الحزب الجديد.

عاد الوفد إلى لبنان، وكثّف من اتصالاته مع وجهاء وعلماء الطائفة الذين لم يشاركوا في لقاء طهران، ثم تكرر لقاؤهم بالخميني، ووضعوا وإياه الخطوط العريضة لحزب الله، يقول أحمد الموسوي في مقال له بمجلة الشراع: "**من أنتم .. حزب الله** ":

"ثم استكملت الخطوط التنظيمية الأولى باختيار هيئة قيادية للحزب ضمت ١٢ عضواً هم: عباس الموسوي، صبحي الطفيلي، حسين الموسوي، حسن نصر الله، حسين خليل، إبراهيم أمين، راغب حرب، محمد يزبك، نعيم قاسم، علي كوراني، محمد رعد، محمد فنيش.

وكان مركز قيادة الحزب الفعلية لا الشكلية هو السفارة الإيرانية، ومن الأطراف التي كانت تشارك في اجتماعات قيادة الحزب وفي اتخاذ القرارات، سفير إيران السابق في دمشق – محتشمي – وقائد الحرس الثوري في لبنان.

ويجتمع أعضاء المجلس الأعلى للثورة الإسلامية اجتماعات دورية في طهران، وبحوزتهم عدد من معسكرات التدريب موزعة بين إيران وسورية ولبنان، ففي إيران لهم أربعة معسكرات، وفي سورية اثنان: معسكر السيدة زينب، ومعسكر الزبداني، وفي لبنان: معسكر الشيخ عبد الله، ومعسكر الدركي، وكلاهما في بعلبك".

ولقد اختارت إيران دعم "حزب الله" بدلاً من أمل لأن أمل كانت مكروهة وسط الشارع اللبناني، كما أنها تميزت بطابعها العلماني، ووضعت الثورة الإيرانية عينها على لبنان كمنطلق لها في الشرق الأوسط، حجة الإسلام فخر روحاني – سفير إيران في لبنان – في مقابلة أجرتها معه صحيفة اطلاعات الإيرانية في نهاية الشهر الأول من عام ١٩٨٤، يقول روحاني عن لبنان: "لبنان يشبه الآن إيران عام ١٩٧٧، ولو نراقب ونعمل بدقة وصبر، فإنه إن شاء الله سيجيء إلى أحضاننا، وبسبب موقع لبنان وهو قلب المنطقة، وأحد أهم المراكز العالمية، فإنه عندما يأتي لبنان إلى أحضان الجمهورية الإسلامية، فسوف يتبعه الباقون".

ونقلت صحيفة النهار اللبنانية [١٩٨٤/١/١١] عن السفير نفسه – روحاني – قوله:

"لبنان يشكل خير أمل لتصدير الثورة الإسلامية".

معظم أفراد الحزب هم من اللبنانيين الشيعة المرتبطين مذهبياً بإيران، حيث يعتبرون آية الله علي خامنئي مرشد الثورة الإيرانية واحداً من أكبر المراجع الدينية العليا لهم، ويعتبر الشيخ حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله الوكيل الشرعي لآية الله علي خامنئي في لبنان.

وهذا الارتباط الإيديولوجي والفقهي بإيران سرعان ما وجد ترجمته المباشرة في الدعم السريع والمباشر من الجمهورية الإسلامية وعبر حرسها الثوري للحزب الناشئ.

البناء التنظيمي والدعم الإيراني:

رغم عامل السرية الذي يحرص الحزب عليه في أغلب نشاطاته، فإن ذلك لم يمنعه من الإعلان عن وجود بعض الهياكل التنظيمية التي تنظم عمل الحزب، منها على سبيل المثال:

- هيئة قيادية.
- مجلس سياسي.
- مجلس تخطيطي.
- كتلة النواب.
- مجموعات تنفيذية.
- هيئات استشارية .

ولأن حزب الله يتبنى نظرية ولاية الفقيه، فإن مرشد الثورة الإيرانية هو قائد الحزب وزعيمه أما الذي يدير شؤونه فهو الأمين العام، ويتألف الحزب من مجلس للشورى ومكتب سياسي ومكتب مركزي، والكوادر القيادية للحزب إما من العاملين في حزب الدعوة [1] أو من الذين عملوا مباشرة مع الثورة في إيران.

وجرت أول انتخابات للحزب سنة ١٩٨٩، وقد راح منذ ولادته يجمع بين المنظمة السرية الأمنية وبين الحركة الأهلية الجماهيرية.

بلغت موازنة الجهاز الأمني ٧٠ مليون دولار سنة ١٩٩٢، وقد تم إنشاء هذا الجهاز

١- حزب الدعوة الشيعي العراقي الذى أسسه محمد باقر الصدر وكان من المقربين له محمد حسين فضل الله.

بمساعدة حرس الثورة الإيرانيين (الباسدران) الذين وفدوا إلى لبنان سنة ١٩٨٢، وكان يشرف سابقاً على المعتقلات وموضوع الرهائن الأجانب الذين تمكنت إيران من خلال المساومة عليهم من عقد عشرات الصفقات السرية مع الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا لاستيراد السلاح الذي احتاجت إليه في حربها ضد العراق (إيران جيت[١]).

وسمح للحزب بامتلاك الآلة العسكرية والإعلامية والدينية والأمنية واستطاع أن يفرض نفسه على الساحة عسكرياً ثم سياسياً، واحتفظ بسلاحه في حين تخلت الأحزاب والميليشيات الأخرى عن سلاحها أو جُردت منها.

وفي ظل ضعف الدولة اللبنانية، استغل حزب الله هذا الأمر من أجل تحقيق المزيد من الشعبية بين الشيعة والعمل على كسب ولائهم فأنشأ عشرات المشاريع الخيرية من مدارس ومستشفيات وحفر آبار، وإنشاء مؤسسات تتبع هيئات إيرانية كمؤسسة الشهيد، وإنشاء وسائل إعلام مثل تلفزيون المنار، ومركز دراسات وتوثيق، كما اهتم الحزب بإنشاء المدارس الدينية والحوزات، الأمر الذي يثير التساؤل عن موارد الحزب خاصة إذا أضيف لها كلفة الجهاز الأمني والعسكري للحزب، لذلك فالدعم الإيراني أكثر من حيوي، وقد عيّن مرشد الثورة الإيرانية خامنئي اثنين من قادة الحزب هما حسن نصر الله ومحمد يزبك وكيلين له في لبنان لاستلام أموال الخمس وغيرها.

وقدّر دخل الحزب عام ١٩٩٣ بـ ١٦٠ مليون دولار وقد اختير عيسى طبطبائي رئيساً لـ "مؤسسات الجمهورية الإسلامية الإيرانية " في لبنان وهو من قدامى الدعاة الخمينيين في لبنان، وقد اضطلع بدور بارز في إعداد كوادر حزب الله الخميني واختيارهم وترقيتهم على غرار ما كانت تصنع "دائرة الكوادر" في الأحزاب الشيوعية والسوفيتية.

"وكان المال الإيراني يغرق لبنان عن طريق بعلبك منذ عام ١٩٨٢م، ويغدق على التنشئة العسكرية لميليشيات حزب الله، كما يغدق للقيام بأعمال خيرية، كالمشافي والمدارس،

٢- قضية "إيران جيت" من القضايا التي تكشف لنا أن التعاون بين الحكومة الإيرانية وأمريكا لا صلة له بما يظهر على السطح من اتهامات متبادلة، ففي منتصف ثمانينات القرن الماضي وبينما كان الخميني يعتلي الثورة الإسلامية الإيرانية وفي الوقت الذي حظرت فيه أمريكا بيع الأسلحة لإيران، تم الكشف عن بيع حكومة الرئيس الأمريكي رونالد ريجان سراً أسلحة لإيران وذلك رغم الحظر المعلن على بيع الأسلحة إليها، وهو ما تم افتضاحه في عام ١٩٨٦.

ومن المؤكد أن هذا «المنّ» يثير المطامع بين الجماعات السياسية ـــ الطائفية اللبنانية التي تحـــاول توطيد وجودها في مناطقها، وهذا لا يعني ـــ مع ذلك ـــ أنه يوجد بينها اتفاق سياســـي علـــى تحقيق مخطط واضح جداً، حتى ولو كان هذا المخطط إيرانياً"[١].

ويقدر زين حمود، دخل «حزب الله» المالي النقدي من إيـــران بثلاثـــة ملايـــين دولار ونصف المليون في الشهر الواحد، بخلاف دخـــل شـــركات البنـــاء والمقـــاولات والعقـــارات والاستشارات ومزارع الدواجن والسمك، وذلك منذ ١٩٩٠م، أما علي نوري زاده، فذهب إلى أن دخل الحزب الخميني بلغ عشرين مليون دولار في عام ١٩٩٢م، وخمسين مليون في ١٩٩١م، وقدر أن يبلغ مئة وعشرين مليوناً في ١٩٩٢م، ومئة وستين في ١٩٩٣م"[٢].

وتشير بعض المصادر إلى ارتفاع ميزانية حزب الله في عهد رفسنجاني إلى ٢٨٠ مليـــون دولار[٣].

سر شعبية حزب الله:

طريقة عمل حزب الله المؤسساتية هي طريقة الأحزاب الشيوعية والهدف منـــها خلـــق مجتمع نقيض للمجتمع العام والظاهر، لا يترك للدولة أي مكان فيه أو دور، والأصل هو "الثورة الإسلامية" أو " المقاومة الإسلامية " أي الحرب، وما الأساليب المختلفة (رعاية الأيتام وما شـــابه ذلك) إلا فروع متفرعة عن هذا الأصل، تخفف بعض نتائج الحرب أو تمدها بوقود جديد.

وتدور الشكوك حول أهداف حزب الله من وراء الأنشطة الخيرية، فمن الواضـــح أنـــه يهدف في المقام الأول إلى ترسيخ أقدامه بين صفوف الشيعة وشراء ولائهم عبر تلك الخـــدمات، ولما لا، وهذا الأب الروحي لحزب الله "محمد حسين فضل الله" يصرح قائلاً: «إننا يمكن أن نأتي بالتغيير في لبنان بتعليم الشعب وتنويره داخل المؤسسات الاجتماعية»[٤].

١- الإسلام الشيعي، عقائد وأيديولوجيات، يان ريشار، ص ٢١٢.

٢- حزب الله من الداخل، أسرار وخفايا، زين محمود، مجلة الشراع، ١٩٩٤/٨/١٤م

٣- مجلة المجلة، العدد: ١٠١٣، ١٩٩٩/٧/١١م

٤- قراءة في فكر زعيم ديني لبناني، د. أحمد إبراهيم خضر، مجلة المجتمع، العدد: ٩٥٤، ص ٤٣.

«إن قوتنا تكمن في قدرتنا على صنع الناس والجماهير، وعلى أن نضع أوامرنا موضـــع التنفيذ، إنهم ينفذون أوامرنا؛ لأنهم يعرفون أننا أقرب الناس إلى تحقيق مطالبهم»[١].

لذلك فإن هذه الأنشطة الخيرية والمؤسسات الاجتماعية تهدف إلى النهوض " .. بالصلة بعامة الشيعة؛ فهي نظير: «المنظمات الجماهيرية» في الحركات الشيوعية خاصة.

والمقصد منها إنشاء دوائر أوسع، وكلها تفترض علاقة وثيقة ومتينة لسياســة الحركــة وعملها، إن الهيئات المختلفة تعمل على الإحاطة بكل وجوه الحياة الاجتماعية، وعلــى إنشــاء مجتمع نقيض للمجتمع العام والظاهر، فينبغي لمن تسميهم الحركة الشيعية الإيرانية «الملتــزمين» تارة، و«المجاهدين» تارة أخرى، ينبغي إذن لجمهورها وأنصارها أن ينتقلوا من المهد إلى اللحــد هم وأهلهم الصغار منهم والكبار من غير الخروج من مرافق «ذلك المجتمــع» مهمــا كانــت الذريعة، من تعليم وتريض واستشفاء وصداقة وزواج وقتال وعبادة، إلخ... وإذ يقــول دعــاة «حزب الله» وخطباؤه إن الإسلام إسلامهم وهو حركة شاملة، وذلــك يقتضــي أن مــن ألحّ مهامهم عليهم: استكمال إنشاء الجمهورية الإسلامية بقيادة الخميني"[٢].

أمناء الحزب:

يعتبر الشيخ محمد حسين فضل الله المؤسس الحقيقي لحزب الله، حيث كــان لنشــاطه الدعوي الكبير وسط صفوف الشيعة في الجنوب أكبر الأثر في سرعة تعاطفهم مع الحزب الــذي ظهر إلى الوجود عام ١٩٨٢ وأعلن عنه رسمياً في عام ١٩٨٥.

أما الأمين العام الأول لحزب الله فهو الشيخ صبحي الطفيلي الذي تولى هذا المنصب في الفترة من عام ١٩٨٩ حتى عام ١٩٩١، ثم أجبر على الاستقالة بعد إعلانه من جانــب واحــد العصيان المدني على الحكومة اللبنانية الأمر الذي رفضه الحزب، وتولى منصب الأمين العام الشيخ عباس الموسوي خلفاً له، لكنه لم يستمر أكثر من تسعة أشهر، فقد اغتالتــه إســرائيل في عــام ١٩٩٢ ليقود الحزب من بعده الشيخ حسن نصر الله الذي لا يزال يشغل هذا المنصب حتى الآن.

من هو حسن نصر الله؟:

٥- المصدر السابق، العدد: ٩٥٨، ص ٥٠.

٢- دولة حزب الله، وضاح شرارة، ص ٦-٨.

حسن عبد الكريم نصر الله من مواليد ٢١ أغسطس ١٩٦٠، عين في بداية حياته مسئولا عن حركة أمل في بلدة البازورية في قضاء صور، وسافر إلى النجف في العــراق عــام ١٩٧٦م لتحصيل العلم الديني الإمامي، وعين مسئولا سياسيا في حركة أمل عن إقليم البقاع وعضــوا في المكتب السياسي عام ١٩٨٢م، ثم ما لبث أن انفصل عن الحركة وانضم إلى حزب الله، وعــين مسئولا عن بيروت عام ١٩٨٥، ثم عضوا في القيادة المركزية وفي الهيئة التنفيذية للحــزب عــام ١٩٨٧، واختير أمينا عاما على أثر اغتيال الأمين العام السابق عباس الموســوي عــام ١٩٩٢م مكملا ولاية سلفه، ثم أعيد انتخابه مرتين عام ١٩٩٣، و١٩٩٥م.

صلة نصر الله بمنظمة أمل:

منظمة أمل أنشأها موسى الصدر، ويرأسها حاليًا نبيه البري الذي يرأس كذلك البرلمان اللبناني، ولحركة أمل دور بارز في المذابح التي تعرض لها الفلسطينيون في لبنان؛ وعلى الرغم مــن انشقاق حزب الله عن حركة أمل بعد اختلاف أمل مع إيران، إلا إن العلاقة بين الطرفين لا تزال وثيقة ومتينة، وإن الخلاف بينهما لا يعدو كونه من قبيل توزيع الأدوار، يقول حسن نصــر الله: "إننا حريصون على علاقة طيبة مع أمل ونحن نعمل على تطوير هذه العلاقة، وهناك لجنة ثنائيــة من أحد قادة أمل مع أخيه في حزب الله ينظرون في كل الأمور المشتركة سياســية وعســكرية، وسياستنا تقول: إن الموضوعات التي نتفق عليها نتعاون معا، وما نختلف عليه لا يؤدي الخــلاف في وجهة النظر إلى نزاع، حتى الخلافات تم تنظيمها، والطابع العام لعلاقتنا الإيجابيــة والتنســيق والتعاون .."[١].

ولقد بلغ هذا التعاون أوجهه أثناء الحرب الأخيرة وما بعدها، حيث كلف حــزب الله بري بقيادة المفاوضات نيابة عنه، وذلك على الرغم مما يعرفه كل أحد من الجرائم التي ارتكبتــها حركة أمل بحق الفلسطينيين السنة، والتي نورد في آخر هذه الرسالة نموذجًا منها.

١- حوار أجرته مجلة المصور المصرية في شهر مارس ١٩٩٩، ونشرته مجلة المقاومة في العدد: ٤٠/إبريل/ ١٩٩٩م، ص ٢٦.

علاقة حزب الله بإيران:

بالرغم مما يؤكده قادة الحزب بأنه لبناني ونشأ لبنانياً وجاء الدور السوري والإيراني لاحقاً، إلا أن المعطيات تؤكد أن إيران لعبت دوراً أساسياً في ولادته ونشأته ونموه، وتصريحات قادة الحزب وميثاق الحزب تؤكد دوماً التبعية للثورة الإيرانية ومرشدها، وصور قادة إيران وعلمها تسيطر على مرافق وفعاليات الحزب.

وتتميز العلاقة بين حزب الله وإيران بتداخل البعدين السياسي والديني فيها، فاللبنانيون الشيعة الذين يمثلون كوادر حزب الله تربطهم بالمرجعيات الدينية الإيرانية روابط روحية عميقة، ويعتبر مرشد الثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي أكبر مرجعية دينية بالنسبة لهم، ويسمى أمين عام حزب الله حسن نصر الله الوكيل الشرعي لآية الله خامنئي.

يقول حسن نصر الله: "إننا نرى في إيران الدولة التي تحكم بالإسلام، والدولة التي تناصر المسلمين والعرب وعلاقتنا بالنظام علاقة تعاون، ولنا صداقات مع أركانه ونتواصل معه، كما أن المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا"[1].

ويقول إبراهيم الأمين الناطق باسم حزب الله: نحن لا نقول: إننا جزء من إيران ؛ نحن إيران في لبنان ولبنان في إيران"[2].

ويقول حسن سرور أحد قادة الحزب "نعلن للعالم أجمع أن إيران هي أمنا وديننا وكعبتنا وشراييننا"، ويزيد عباس موسوي :" كلنا أخوة ونقاتل من أجل القضية نفسها، وكل من يحاول التفرقة بينا وبين إخوتنا الإيرانيين أو بين المسلمين عموماً فإنه يرتكب جريمة".

وفي ذكرى أسبوع أحد موظفي السفارة الإيرانية ببيروت (مصطفى توراني) قال الشيخ حسن طراد إمام جمعة مسجد الإمام المهدي بالغبيري : إن إيران ولبنان شعب واحد وبلد واحد وكما قال أحد العلماء الأعلام إننا سندعم لبنان كما ندعم مقاطعتنا الإيرانية سياسيا وعسكريا[3].

وقد جاء في بيان صادر عن الحزب في ١٦ فبراير ١٩٨٥ أن الحزب "ملتزم بأوامر

١- مجلة المقاومة. العدد ٢٧ ص ١٥ـــ ١٦.

٢- صحيفة النهار ١٩٨٧/٣/٥.

٣- جريدة النهار ١١-١٢-١٩٨٦م ص ٥.

قيادة حكيمة وعادلة تتجسد في ولاية الفقيه، وتتجسد في روح الله آية الله الموسوي الخميني مفجر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة"[١].

ويقول هاشمي رفسنجاني الرئيس الإيراني السابق ورئيس مجمع تشخيص النظام والرجل القوي في إيران: تعتقد إيران أن مساعدتها لحزب الله في لبنان (واجب مذهبي وثوري) وأنها سوف تستمر في دعمه طالما ظلت أراضيه محتلة أو (مهددة) وأنها مع تقديرها للمواقف الشجاعة لشعب لبنان وحكومته في دعم جبهة المقاومة أمام محاولات التوسع للنظام الصهيوني تؤكد استمرار دعم إيران للمقاومة الشعبية في لبنان[٢].

الدعم المادي والعسكري والسياسي والإعلامي الإيراني لحزب الله واضح لا لبس فيه، وإن كان يصعب تحديد حجمه، وهناك جهات إيرانية عديدة تعمل في حزب الله: حراس الثورة، وزارة الخارجية، مؤسسة الشهيد، وزارة الإرشاد الإسلامي، وزارة الداخلية، الأجهزة الأمنية الاستخباراتية.

وبشكل عام نستطيع أن نلخص الدلائل على الدور الإيراني في نشأة حزب الله فيما يلي:

١- نشأ حزب الله في إيران بتأثير ولاية الخميني على الشيعة كافة، يقول نائب الأمين العام لحزب الله نعيم قاسم: (كان هناك مجموعة من المؤمنين ... تفتحت أذهانهم على

٤- المقصود بولاية الفقيه هو أن يتولى الفقيه الشيعة مهام إمامهم المهدي الغائب والذي له كافة مهام الرسل صلوات الله عليهم، يقول الخميني: "ولاية الفقيه تعني أن يتولّى الفقيه النيابة عن الغائب، فيقيم الدولة والثورة: (إن الفقهاء هم الحجة على الناس كما كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- حجة عليهم، وكل من يتخلف عن طاعتهم فإن الله يؤاخذه ويحاسبه على ذلك، وعلى كلٍ فقد فوَّض الله إليهم جميع ما فوض إلى "الأنبياء" وائتمنهم على ما ائتمنوا عليه) الحكومة الإسلامية للخميني، وهذه الولاية هي ولاية مطلقة وعامة، وهي تشمل كل صلاحيات النبي والأئمة المعصومين من دون نقصان أو استثناء، يقول الخميني: "فتوهم أن صلاحيات النبي في الحكم كانت أكثر من صلاحيات أمير المؤمنين وصلاحيات أمير المؤمنين أكثر من صلاحيات الفقيه هو توهم خاطىء وباطل، نعم إن فضائل الرسول بالطبع هي أكثر من فضائل جميع البشر، لكن كثرة الفضائل المعنوية لا تزيد في صلاحيات الحكم، فالصلاحيات نفسها التي كانت للرسول والأئمة في تعبئة الجيوش وتعيين الولاة والمحافظين، واستلام الضرائب وصرفها في مصالح المسلمين، قد أعطاها الله تعالى للحكومة المفترضة هذه الأيام،غاية الأمر لم يعين شخصاً بالخصوص وإنما أعطاه لعنوان العالم العادل" الخميني، الحكومة الإسلامية.

١- مختارات إيرانية ، العدد ٧٣ ص ٣٧.

قاعدة عملية تركز على مسألة الولي الفقيه والانقياد له كقائد للأمة الإسلامية جمعاء ، لا يفصل بين مجموعاتها و بلدانها أي فاصل، ... وذهبت هذه المجموعة المؤلفة من تسعة أشخاص إلى إيران ولقاء الإمام الخميني (قدس) وعرضت عليه وجهة نظرها في تأسيس و تكوين الحزب اللبناني ، فأيد هذا الأمر وبارك هذه الخطوات)[1].

٢- ذكرت مجلة الشراع بتاريخ ١٩٩٥/٨/١٤ (نقلاً عن حزب الله ، د. غسان عزي ص ٣٤) وجود عضوين إيرانيين في قيادة حزب الله !

٣- حسن نصر الله يشغل منصب الوكيل الشرعي لمرشد إيران الأعلى علي خامنئي ، وقد نشرت له عدة صور يقبل فيها يد خامنئي، وقد تساءل البعض ماذا لو تنازعت لبنان مع إيران فلمن سيكون ولاء نصر الله ومن ورائه الحزب و الطائفة؟.

٤- لقد سبق في تاريخ أمل وحزب الله التحاكم إلى القيادة الإيرانية عند الاختلاف فيما بينهم[2].

٥- أعلنت حركة أمل في المؤتمر الرابع في آذار ١٩٨٢ أنها جزء لا يتجزأ من الثورة الإسلامية في إيران[3].

٦- بسبب تبعية حزب الله لولاية الفقيه، يقرر الباحث الإيراني د. مسعود أسد الله في كتابه "الإسلاميون في مجتمع تعددي" ص ٣٢١ ما يلي : بما أن حاكمية الخميني كولي فقيه لا تنحصر بأرض أو حدود معينة فإن أي حدود مصطنعة وغير طبيعية تمنع عمل هذه الولاية ، تعد غير شرعية، لذا فإن حزب الله في لبنان يعمل كفرع من فروع حزب الله الواسعة الانتشار ...الآراء المذكورة آنفاً توضح أن حزب الله كان مستعداً لإنجاز أي مهمة يأمر بها الولي الفقيه" .

لقد كلف حزب الله إيران الكثير من الجهد والمال، غير أن إيران استفادت منه الكثير، **فهي من جهة تمكنت إيران عبر حزب الله من تحسين شعبيتها أمام المجتمع السني** خاصة بعد أن ساءت صورتها كثيرًا خلال حربها الطويلة مع العراق، كما ساءت صورة الشيعة بشكل عام

٢- المقاومة في لبنان ،أمين مصطفي ، دار الهادي ص ٤٢٥.

٣- دولة حزب الله ، وضاح شرارة ، ص ١١٩.

٤- السابق ص ١١٩.

بعدما اتضح للجميع الجرائم التي يقترفها الشيعة ضد أهل السنة في العراق، لذلك فكان حزب الله هو المنقذ الذي عمل على إظهار إيران بمظهر البلد الذي يواجه إسرائيل والولايات المتحدة.

ومن جهة ثانية؛ يخدم الدعم الإيراني لحزب الله المشروع الشيعي في الأساس والــذي يحلم باستعادة إمبراطورية فارس[1].

١- لابد أن نشير هنا إلى أن المشروع الإيراني يتمثل في فرض الدين الشيعي على أنحاء العالم العربي، واستعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية، يقول أبو الحسن بني الصدر أول رئيس إيراني عقب ثورة الخميني: ".. كان [الخميني] يريد إقامة حزام شيعي للسيطرة على ضفتي العالم الإسلامي، كان هذا الحزام يتألف من إيران والعراق وسوريا ولبنان، وعندما يصبح سيداً لهذا الحزام يستخدم النفط وموقع الخليج الفارسي للسيطرة على بقية العالم الإسلامي، كان الخميني مقتنعاً بأن الأمريكيين سيسمحون له بتنفيذ ذلك .."، وهذا المشروع يهدف إلى التمهيد لعودة المهدي المزعوم، يقول وضاح شرارة: "فلم تكن الحرب بضواحي البصرة وعلى ساحل شط العرب إلاّ مقدمة حروب كثيرة أوكلت إليها القيادات الخمينية الشابة التمهيد لفَرَج المهدي صاحب الزمان من غيبته الكبرى ولبسطه راية العدل على الأرض كلها، وتوريثه ملك الأرض للمستضعفين" دولة حزب الله ص ٢٣١.

ويقول الخميني في خطبة له في عيد المهدي عام ١٤٠٠ هـــ: "الأنبياء جميعاً جاءوا من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم، لكنهم لم ينجحوا ...وحتى النبي – عليه الصلاة والسلام– خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية وتنفيذ العدالة لم ينجح في ذلك في عهده... وإن الشخص الذي سينجح في ذلك ويرسي قواعد العدالة في أنحاء العالم ، ويقوم الانحرافات هو الإمام المهدي المنتظر".

أما أبرز ما يفعله مهديهم عند عودته، فيتمثل في:

١- **هدم الحرمين الشريفين:** حيث تنص أخبارهم "أن القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أساسه، ويرد البيت إلى موضعه وإقامته على أساسه" [الطوسي/ الغيبة ص٢٨٢، بحار الأنوار: ٥٢/٣٣٨].

٢- **إخراج الصاحبين من قبريهما وإحراقهما: تقول أخبارهم:** "أول ما يبدأ به القائم.. يخرج هذين رطبين غضين فيحرّقهما ويذريهما في الريح، ويكسر المسجد" [بحار الأنوار: ٥٢/٣٨٦].

٣- **استئصال العرب:** أخبارهم تعد العرب بملحمة على يد غائبهم – إذا رجع – لا تبقي ولا تذر على رجل أو امرأة ولا صغير ولا كبير بل تأخذهم جميعًا فلا تغادر منهم أحدًا. فيروي النعماني: ".. عن الحارث بن المغيرة وذريح المحاربي قالا: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح" [الغيبة للنعماني: ص١٥٥، بحار الأنوار: ٥٢/٣٤٩.].

فهذه دولة المهدي المنتظر التي يعد بها شيوخ الشيعة أتباعهم، وهذا هو الحقد الفارسي الذي يحمله الشيعة تجاه الإسلام والمسلمين، لذلك لم يكن مستغربًا ما نراه اليوم في العراق من جرائم بشعة ضد أهل السنة يقترفها الشيعة، ويقول الدكتور محمد بسام في مقال له بعنوان "قراءة في الأهداف الحقيقية، لقيام حزب الله بخَطف الجنديَّيْن": ".. إنّ هدف

وهو أمر يقر به أحد قادة حزب الله في لبنان وهو إبراهيم الأمين حيث يقول: "إن تصدير الثورة لا يعني تسلط النظام الإيراني على شعوب منطقة الشرق الأوسط، وإنما المفروض أن

المشروع الصفوي الفارسي الشعوبي، هو السيطرة على العالَمَيْن العربي والإسلامي بَدءاً من إخضاع منطقة الهلال الخصيب (بلاد الشام والعراق)، وذلك باجتياحها ديموجرافياً ومذهبياً وتبشيرياً صفوياً وسياسياً وأمنياً وثقافياً واستيطانياً.. ويقوم هذا المشروع المشبوه على أركانٍ خمسة، هي:

١- التواطؤ والتآمر مع القوى الغربية بزعامة أمريكا إلى أبعد مدىً ممكن، لاجتياح بلادنا واحتلالها، وإفساح المجال لها ومساعدتها في السيطرة على أوطان المسلمين، والقيام بدورٍ خبيثٍ لا يقل خطورةً عن دور (ابن العلقمي) حين تواطأ مع هولاكو لاجتياح بلاد المسلمين، وكل العالَم يعرف أنّ إيران كان لها الدور الأعظم في التواطؤ مع أمريكا لاحتلال أفغانستان ثم العراق، والمسئولون الإيرانيون صرّحوا بذلك بوضوح، بل افتخروا بذلك: (تصريح إيراني رسمي/محمد علي أبطحي نائب الرئيس الإيراني السابق: لولا إيران لما احتلت أميركا العراق ولولا إيران لما احتلت أميركا أفغانستان)، وذلك لإضعاف أهل السنّة، ثم الانقضاض عليهم تحت مظلة المحتل الأمريكي.

٢- اللعب بالورقة المذهبية الشيعية، وإشعال فتيل الحرب الطائفية، والقيام بعمليات التطهير العرقي والطائفي، والعمل على تجزئة بلادنا، وتهجير أهل السنّة العراقيين من المحافظات التي يتداخلون فيها مع أبناء الشيعة، مع قيام المرجعيات الشيعية بدورٍ مُفسدٍ، بالتحريض على أهل السنّة وعلى مؤسساتهم التعليمية والدينية (الشيرازي يدعو خلال خطبةٍ مفتوحةٍ إلى تدمير مساجد أهل السنة، وقد قاموا فعلاً بتدمير مئات المساجد أو احتلالها وتحويلها إلى حسينياتٍ ومراكز شيعيةٍ صفوية ..).

٣- اغتيال الكفاءات السنيّة العلمية والعسكرية والدينية، وممارسة كل الجرائم بحقهم، لترويعهم وتهجيرهم والتشفي منهم.

٤- الاجتياح الديموجرافي الشيعي الصفوي، كما يحصل في سورية بشكلٍ خاص، تحت تغطيةٍ كاملةٍ يقدّمها النظام السوري الحاكم، وكما يحصل بشكلٍ أو بآخر في لبنان والأردن، فضلاً عن العراق، إضافةً إلى حملات "التبشير" الشيعي في صفوف أهل السنة.

٥- افتعال الصدامات الكاذبة مع العدو الصهيوني، واستفزازه ليقوم بتدمير بلادنا، ثم لتخلو لهم الأجواء للّعب بأوراقهم الصفوية، وتسهيل تحقيق أهدافهم الشرّيرة، تماماً كما فعلوا ويفعلون في أفغانستان والعراق حالياً.

إن المشروع الصفوي الشيعي يشبه المشروع الصهيوني في معظم وجوهه، لكنه أشد خطراً من المشروع الصهيوني، فهو مشروع استيطاني قومي فارسي مذهبي متطرّف، لا يقبل أصحابه بأقل من إبادة المسلمين من أهل السنة إبادةً تامة، وهو مشروع يحمل أحقاداً تاريخيةً ضخمة، ويقوم على خزعبلاتٍ دينيةٍ مذهبية، ركنها الأساس: تشويه الدين الحنيف، وإشاعة الأباطيل والخرافات عن الإسلام، ونشر الفساد المذهبي القائم على نشر ما يعرف لديهم بمصحف فاطمة، وزواج المتعة، وتأليه الأئمة، وشتم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحريف القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، وتكفير المسلمين من أهل السنّة ..".

تعيش هذه المنطقة الإسلام من جديد ـــ والإسلام الذي يقصده هو الإسلام الشيعي – فيكـــون المتسلط على هذه الشعوب الإسلام وليس الإنسان، على هذا الأساس نحن نعمل في لبنـــان مـــن خلال المسؤولية الشرعية ومن خلال القناعة السياسية أيضاً، حتى يصبح لبنان جزءاً من مشروع الأمة — الأمة الشيعية بالطبع – في منطقة الشرق الأوسط، ولا نعتقد أنه من الطبيعي أن يكـــون لبنان دولة إسلامية خارج مشروع الأمة)"[١].

ومن جهة ثالثة؛ يمثل حزب الله ورقة رابحة بيد إيران يستطيع أن يستخدمها وقتمـــا شاء في الضغط على أمريكا وإسرائيل لتحقيق مآربها.

يقول أحد الدبلوماسيين –الغربيين– في هذا الصدد: "إن حزب الله هو الباب الذي يمكن لإيران أن تدخل منه إلى منطقة الشرق الأوسط، بمعنى أن إيران لن تتنازل عن هذه الورقة قبل أن تتوصل مع الغرب إلى اتفاق يضمن لها أمنها".

إن حزب الله يمثل لإيران ذراعًا تستطيع بها طهران تحقيق الكثير من المكاسب السياســـية ورفع الضغوط الدولية عنها، وطوال الأعوام الماضية ظلت العلاقة بين حزب الله وإيران على هذا الشكل؛ يقول وضاح شرارة: "كما كان لبنان ساحة مهمة لعمل الحركة الخمينية، وكان علـــى لبنان أن يصطلي بنار أرادت الحركة أن تستمر إلى أن تحقق أهدافها؛ فهذا إبـــراهيم الســـيد ـــ الناطق السابق باسم حزب الله ـــ يقول: إن الأساس في لبنان بالنسبة إلينا أن يبقى ساحة وموقعاً للصراع مع (إسرائيل)، إن مصلحة الإسلام أن يكون لبنان كذلك!!"[٢].

"إن الأجهزة الإيرانية كافة، من حوزات قم إلى حرس الثورة، ومن الـــدعاة، إلى وزارة الداخلية، سهرت على الشأن اللبناني، وأعملت فيها رأيها وآلاتها"[٣]

وساعد طهران على تحقيق مآربها من وراء حزب الله حالة الضعف التي تميزت به لبنان، والذي يبدو إن إيران كانت تحرص على إبقاءها عبر تأييد الوجود الســـوري في لبنـــان، وهـــو الوجود الذي كان يضفى الدعم على حزب الله ويجرده عن بقية الحركات والفصائل السياسية.

هل يستطيع حزب الله خوض الحرب دون رأى طهران؟[١]:

١– دولة حزب الله ٢١٠

٢– دولة حزب الله، ص ٣٣٦.

٣– الحرس الثوري الإيراني نشأته وتكوينه ودوره، كينيث كاتزمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ١٠٤.

إذا كان حزب الله يدين بولاية الفقيه، والفقيه المقصود هو الفقيه الإيراني، ويخضع لمرشد الثورة الإيرانية الذي يختار وكيلاً شرعيًا عنه في لبنان، فهل يملك حزب الله أن يشن حربًا أو يقوم بعمل عسكري دون الرجوع لرأى الفقيه الإيراني أو دون استشارته، هذا ما يجيب عليه "نعيم قاسم" نائب الأمين العام لحزب الله في كتاب "حزب الله المنهج .. التجربة .. المستقبل" والصادر عام ٢٠٠٢م للتعبير عن فكر الحزب وسياسته فيما بعد عام ٢٠٠٠م.

بعد حديث نعيم قاسم عن الجهاد وأنواعه، يقول قاسم في صفحة ٥٠: " .. **قرار الجهاد مرتبط بالولي الفقيه، الذي يشخص الحالة التي ينطبق عليها عنوان الجهاد الدفاعي، والذي يحدد قواعد المواجهة وضوابطها، فمسؤولية الدماء عظيمة، ولا يمكن زج المقاتلين في أي معركة دون الاستناد إلى ما ينسجم مع وجوب الجهاد فيها وما يحقق أهدافها.**

وقد يختلف رأي بعض الفقهاء عن رأي الولي الفقيه، لكن رأيه ملزم لهم فهو المتصدي والمبايع من قبل الناس، ويترتب على مثل هذى المنعطفات نتائج خطيرة، فلا يمكن المراهنة على إجماع الآراء، مع احتمال الخلاف دائمًا، وبما أنها صلاحيته، فالقرار يعود إليه وهو ملزم للمسلمين".

ويؤكد قاسم هذا الرأي في ص ٧٢؛ حيث يقول :"وهو (الولي الفقيه) الذي يملك صلاحية قرار الحرب أو السلم"، غير أنه يفصل في آلية تنفيذ هذه الصلاحية فيقول: "و لا يمكن تنفيذ هذه المهام بمباشرته الشخصية للتفاصيل كافة، **وهذا ما يستدعى تفويض الصلاحيات لأفراد أو جهات،** وتعيين الأفراد ومهماهم في الدوائر العامة الكبرى والأساسية، وإمضاء الاقتراحات أو النشاطات أو الاختيارات التي تنسجم مع الإسلام **وفقاً لتشخيصه** (الولي الفقيه)".

وعن تبعية حزب الله لإيران في ذلك الأمر، يقول نعيم قاسم في ص ٥٧: "وقد حقق وجود وتوجيه الولي الفقيه المتمثل بالإمام الخميني ومن بعده بالإمام خامنئي النموذج التطبيقي لإرادة الجهاد بطريقة واقعية وعملية وفاعلة".

١- استفدنا من هذه النقطة من مقال "من يملك قرار الحرب في حزب الله" بمجلة الراصد على شبكة الإنترنت عدد شعبان ١٤٢٧.

ويقول أيضًا في كتابه في ص ٧٥: "أن التزام حزب الله بولاية الفقيه حلقة مـــن هـــذه السلسلة .... وهو سلوك في إطار التوجهات والقواعد التي رسمها الولي الفقيه، ثم تكـــون الإدارة والمتابعة ومواكبة التفاصيل ...من مسؤولية القيادة المنتخبة من كوادر الحزب ....الـــتي يرأســـها الأمين العام والتي تحصل على شرعيتها من الفقيه .....تنعكس هذه الصلاحيات استقلالاً كـــبيراً في الأداء العملي ... فإذا واجهت قيادة الحزب قضايا كبري تشكل منعطفـــاً في الأداء أو تـــؤثر على قاعدة من قواعد العمل ... عندها تبادر إلى السؤال أو أخذ الإذن لإضفاء الشـــرعية علـــى الفعل أو عدمه".

ولا يكتفي قاسم بتبعية حزبه لإيران، بل إنه يفرض سلطان وليه علـــى كافـــة بـــلاد المسلمين، فيقول في ص ٧٥: "الإمام الخميني كولي على المسلمين كان يدير الدولة الإسلامية في إيران كمرشد ....**وكان يحدد التكليف السياسي لعامة المسلمين في البلدان المختلفة في معاداة الاستكبار** ..".

وبذلك يتأكد لنا أن حزب الله لا يستطيع أن ينطلق في عمل أو يتخذ قـــرارًا أو يشـــن حربًا دون الرجوع للولي الفقيه القابع في طهران، فحزب الله في حقيقة الأمر ليس إلا ذراع تابع للدولة الشيعية الإيرانية يحقق لها ما تريد وينفذ لها ما تطلب بغض الطرف عن المكان الذي يقـــيم فيه أو الموطن الذي يتحرك في إطاره، وبذلك يتأكد لنا أن ولاء الشيعة في أي مكان إنمـــا هـــو لطهران.

علاقة حزب الله بسوريا:

أما على الصعيد السوري؛ فإن السوريين يرون في لبنان جزءًا مكملاً لسوريا، يقول الرئيس السوري السابق "حافظ الأسد": "إن شعب لبنان هو شعبنا تماماً كما شعب سوريا هو شعب لبنان... نحن شعب واحد في دولتين"[1].

وهو أمر كانت تعترف به السياسات الغربية؛ حيث تقول صحيفة الإيكونومست: "يفهم الجميع أن سوريا ولبنان بلدان شبيهان بإنجلترا وإيرلندا، والولايات المتحدة وكندا؛ الجغرافيا والتاريخ يحتمان أن تكون العلاقة بينهما حميمة وصعبة"[2].

كما أن لبنان تمثل لسوريا أهمية إستراتيجية وورقة سياسية تفيد في مواجهة الضغوط الدولية، ومع لجوء الفلسطينيين السنة إلى لبنان خشي النظام النصيري[3] على نفسه من قوة السنة

١- رياض نجيب الريس، المسيحيون والعروبة، بيروت، ص ٢٧.

٢- الإيكونومست/١٠/١٢/١٩٨٣م.

٣- النصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجود جزء إلهي في علي وألهوه به، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غاز لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم (العلويين) تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرافضة.

مؤسس هذه الفرقة أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري (ت ٢٧٠هـ) عاصر اثنين من أئمة الشيعة وهم علي الهادي (العاشر) والحسن العسكري (الحادي عشر)، وزعم أنه الباب إلى الإمام الحسن العسكري، والحجة من بعده، وأنه وارث علمه، والمرجع للشيعة من بعده، وأن صفة المرجعية والبابية بقيت معه بعد غيبة الإمام المهدي، ادَّعى النبوة والرسالة، وغلا في حق الأئمة إذ نسبهم إلى الألوهية.

جعل النصيرية علياً إلهاً، وقالوا بأن ظهوره الروحاني بالجسد الجسماني الفاني كظهور جبريل في صورة بعض الأشخاص.

عرفوا تاريخياً باسم النصيرية، لكن فرنسا أقامت لهم دولة أطلقت عليها اسم (دولة العلويين) وقد استمرت هذه الدولة من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٣٦م. ويستوطن النصيريون منطقة جبال النصيريين في اللاذقية، وسوريا كما هو معروف تحكمها الطائفة النصيرية منذ عام ١٩٧٠ وحتى الآن، كما أن النظام السوري النصيري اقترف عدة مجازر مروّعة ضد مواطنيه السوريين السّنة في مدينة حماة وغيرها أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات

واتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء النصيرين لا تجوز مناكحتهم، ولا تباح ذبائحهم، ولا يُصلّى على من مات منهم ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يجوز استخدامهم في الثغور والحصون.

في لبنان وتأثير ذلك على الأوضاع في بلاده، وعندما وقعت الحرب الأهلية في العام ١٩٧٥م بين الموارنة النصارى من جهة وبين الفلسطينيين السنة، ومع اشتداد الحصار على الموارنة وجدت سوريا الفرصة سانحة للدخول إلى لبنان لدعم الموارنة النصارى، حيث عبرت الطوابير السورية المدرعة الحدود اللبنانية بقوة في مايو ١٩٧٦، وعلى الفور فكت حصار الفلسطينيين واليساريين عن المعاقل المسيحية، ولا سيما مدينة زحلة الهامة في وادي البقاع.

كان هدف التدخل كما كان معلناً ليتعلم الفلسطينيون التعقل، وليبقى النصارى الموارنة عرباً !! ثم تدخلت المدفعية والطيران لدعم التدخل السوري أعمق فأعمق في لبنان.

وفي أواخر يونيو ١٩٧٦م كانت القوات السورية تحاصر المعاقل الفلسطينية واليسارية وخطوط إمدادها وتموينها في البر والبحر، وتسيطر على نحو ثلثي البلد.

وضع التدخل السوري الفلسطينيين في موقف الدفاع؛ وغيَّر مجرى الحرب الأهلية، ومكَّن النصارى من التحول إلى الهجوم، وخصوصاً ضد الجيوب المعادية في أراضيهم، ولا سيما ضد مخيم تل الزعتر الكبير واسع الامتداد في ضواحي بيروت الشرقية، فحاصروه.

في هذه الأثناء، لم تجد إسرائيل غضاضة في التدخل السوري في لبنان، وقال رابين: إنه لا يرى حاجة للتشويش على الجيش السوري في قتله "للإرهابي عرفات".

وأمام الجرائم التي اقترفها الجيش السوري والمذابح التي تعرض لها المدنيون، قبل الأسد الدعوة إلى مؤتمر قمة للمصالحة في ١٦ أكتوبر لتكريس انتصاره الباهظ الثمن، فأضفيت الشرعية على وجوده في لبنان، وتم الاعتراف بقواته على أنها العمود الفقري لقوة اقترح تشكليها باسم «قوات الردع العربية»، ووافقت بعض الدول العربية على تمويل نفقات تدخله.

في هذه الأثناء ومع تحول الموارنة لتلقي المساعدات من إسرائيل، وبعد العداء الذي أنشأه النظام السوري بينه وبين سنة لبنان، لم يبق إلا الشيعة الذي وجد فيهم النظام النصيري حليفًا جيدًا، ووجدوا هم فيه فرصة سانحة للدخول في الخريطة السياسية اللبنانية.

"وقدم موسى الصدر خدمة جليلة للنظام السوري أثناء حربه مع القوات الوطنية المتحالفة عام ١٩٧٦م بأن طالب الشيعة بعدم الانضمام إلى هذه الجبهة، أما حركته، حركة أمل

فكفت يدها عن النصارى والنصيريين؛ وبذلك فقدت الحركة الوطنية اللبنانية والفلسطينيون أحد الدعائم التي كان من الممكن أن تغير الوضع في لبنان"[١].

وبعد العدوان الإسرائيلي على لبنان في عام ١٩٨٢ والهزيمة التي تلقاها الجيش السوري، وجد النظام النصيري نفسه مضطرًا للاستعانة بإيران ففتح أمامها الباب لدعم الشيعة في لبنـــان، وكان الدعم في ذلك الوقت موجهًا إلى تلاميذ الخميني المؤمنين بولاية الفقيه وهم مؤسسو حزب الله؛ وإن كان حزب الله قد نشأ بإشراف ورعاية إيرانية، فإنه قد نشأ في مناطق النفوذ السوري، وتميزت العلاقة بين حزب الله وسوريا بخصوصية واضحة منذ أن اتخذت سوريا قراراً بالـــدخول إلى لبنان، فبينما نجحت سوريا في نزع أسلحة الفصائل اللبنانية المتصـــارعة وحـــل المليشـــيات العسكرية، أبقت على الأسلحة بحوزة حزب الله، وقد استفادت سوريا منه في محاربـــة فصـــائل لبنانية معادية لها، وبقيت العلاقة بين سوريا والحزب حتى سنة ١٩٨٧ منحصرة بالجانب الأمـــني دون أن تتطور إلى مستوى التنسيق السياسي.

وساعد على تكريس دور حزب الله ما جرى من أحداث في لبنان عقب عـــام ١٩٨٥، حيث قامت سوريا بإعادة رسم خارطة القوة في لبنان بما يتناغم ورؤيتها للمـــتغيرات الدوليـــة والإقليمية وسعيها للحصول على دور ومكانة من بوابة لبنان، فاحتوت أو همشت مـــن خـــلال جملة إجراءات معظم القوى الوطنية اللبنانية التي كان لها دور فاعل في مقاومة الاحـــتلال منـــذ أوائل السبعينيات، إضافة إلى استتراف قدرات هذه القوى وتصفية بعـــض رموزهـــا في خضـــم الحرب الأهلية، وتكرس عزل دور هذه القوى بعد اتفاق الطائف عـــام ١٩٩٠ الـــذي قضـــى بتجريد كل المليشيات من أسلحتها باستثناء حزب الله.

ومع انطلاق مفاوضات السلام العربية الإسرائيلية سنة ١٩٩١ توثقت العلاقـــات بـــين دمشق والحزب، فالمقاومة الإسلامية في جنوب لبنان صارت أثمن الأوراق الداعمـــة للموقـــف التفاوضي السوري، وصارت سوريا توجه من خلال الحزب رسائل إلى تل أبيب، وتحرك الجبهة الشمالية على إيقاع المفاوضات المرتبكة.

ويرى حزب الله أن الوجود السوري في لبنان ضروريا لكل من لبنان وسوريا في ظـــل التهديدات المستمرة للبلدين من جهة ولحفظ التوازن السياسي الذي بـــين الطوائـــف اللبنانيـــة،

١- رؤية إسلامية للصراع العربي الإسرائيلي، محمد عبد الغني النواوي ص ٤٨٣ ــ ٤٨٤.

ولذلك نظم الحزب في مايو ٢٠٠١ مظاهرة ضخمة تجاوز عدد المتظاهرين فيها المائة ألف متظاهر رداً على تظاهرة للرافضين الوجود السوري في لبنان.

ولا يخفى حزب الله ولائه لسوريا ودورها في دعمه، فعقب الانسحاب الإسرائيلي مباشرة من لبنان عام ٢٠٠٠ قال حسن نصر الله: هناك سوريا التي لا يستطيع أحد أن يتحدث عن النصر بمعزل عنها لأنها ومنذ سنة ١٩٨٢م وقفت إلى جانب المقاومة وساندها وحمتها، مساندة سوريا عمل أساسي في هذا النصر، وعندما نتحدث عن النصر يجب أن نتحدث عن الجمهورية الإسلامية في إيران، وهي وقفت منذ ١٩٨٢م إلى جانب المقاومة ودعمتها وساندها وحمتها[١].

وبذلك نرى أن حزب الله مثل الضميمة التي جمعت بين سوريا وإيران، حتى صار هناك حلف إيراني سوري لبناني، قال عنه وزير الخارجية الإيراني السابق كمال خرازي في محادثات مع نظيره السوري فاروق الشرع: "إن مصير إيران وسوريا ولبنان في مجال السياسات التي تتخذها البلدان الثلاثة مترابط بعضهما مع بعض"[٢].

غير أنه لابد نشير هنا إلى أن حزب الله وجد أحيانًا مشكلة في الجمع بين ولائه لإيران وولائه لسوريا، خاصة مع محاولته منع سوريا من فرض هيمنتها على شيعة لبنان الأمر الذي أدى إلى حدوث اشتباك بين القوات السورية وحزب الله في بداية ١٩٨٧.

غير أنه بعد هذا الاشتباك حدث منعطف خطر في العلاقة بينهما، فمنذ ذلك الوقت يتحاشى الحزب الخلاف المعلن مع السياسة السورية، "بل سعى إلى مزاوجة ولاءيه الخميني الإيراني ـــ من وجه أول ـــ والسوري ـــ من وجه ثان ـــ من غير انفصال، فالولاء الخميني هو مصدر التحزب والداعي إليه ومنشئ هذه الجماعة على الصورة التي هي عليها؛ وعلى هذا الولاء مبنى تماسك الحزب. وتَدِينُ المنظمة الخمينية إلى ولائها هذا بنهجها وطريقتها التي ميزتها عن غيرها، وتدين للدولة الخمينية بالإعداد والتجهيز والعتاد والموارد والملجأ والحماية والذراع الطويلة.

١- مجلة الوسط – عدد ٤٣٥، ٢٠٠٠/٥/٢٩ م

٢- جريدة الأنباء، العدد: ٨٣٠٢، ١٩٩٩/٦/٢٨م

أما الولاء السوري فهو شرط بقاء الجهاز الخميني المادي بقاءاً مادياً بلبنان واستمراره على خطته ونهجه، وهو بهذا الاستمرار مسوغ دوره، وما أقام الوليّان على وفاقهما وتنسيقهما وعقدهما لم يكن على «حزب الله» إلا المضي على مقاتلة الدولة العبرية، والتمتع بامتيازات سياسية تحول دون استقرار الدولة اللبنانية، وعلى هذا فاليد العليا معنىً وموارداً هي لإيران، واليد العليا، سياسة وشرطاً مادياً هي لسوريا، ويسع «حزب الله» البقاء وهو يخدم سيدين لا سيداً واحداً"[1].

وقد اعترف قادة حزب الله بأنهم ورقة وأداة بأيدي سوريا وإيران، فذلك حسن نصر الله يقول: "إن المقاومة ورقة ضغط بيد المفاوض العربي، والغريب أن باراك يريد أن يفاوض ومعه طائرات حربية أمريكية جديدة، ومئات الملايين من الدولارات من أمريكا، وهذا مسموح به، بينما المطلوب أن تذهب الوفود العربية مجردة من عناصر قوتها، وعنصر المقاومة هو الأهم"[2].

وهذا ما أكده كذلك نائبه نعيم قاسم حين قال: "إن المقاومة تخدم الموقف السوري بشكل صريح؛ لأن سوريا تعتبر المتصدي الأساس من خلال قدرتها على إدارة الوضع في المنطقة، لذلك تعمل إسرائيل على انتزاع هذه الورقة من يد السوريين"[3].

٣- دولة حزب الله لوضاح شرارة ص ٣٦٢ ـــ ٣٧٤

١- جريدة الأنباء، ٨٣٣١- ١٩٩٩/٧/٢٧م

٢- مجلة المجلة، العدد: ١٠٣٢ — ١٩٩٩./١١/٢٧

حزب الله وإسرائيل .. شقاق أم وفاق:

اشتهر حزب الله بمقاومته للجيش الإسرائيلي، حتى حاز على إعجاب الكثير من المسلمين الطيبين الذين اعتبروا بطلاً ونموذجًا للمقاومة والتحرير، وسنحاول أن نرد هنا بعضًا من الأدلة على عدم جدية حزب الله في هذا الأمر، وأن جهاده ومقاومته هي سياسية في المقام الأول وليس من أجل تحرير الأرض، ولكن من أجل تحقيق أهداف مؤسسيه، وهو ما تحاول إثباته هذه الرسالة، غير أننا نشير هنا إلى بعضا منه.

تفاهمي يوليو/تموز ١٩٩٣م، أبريل/نيسان ١٩٩٦م:

مما يشير إلى أن مقاومة حزب الله هي مقاومة سياسية في المقام الأول التفاهمات السياسية التي توصل إليها حزب الله مع إسرائيل، ومنها تفاهمي يوليو ١٩٩٣، وأبريل ١٩٩٦، حيث تعهد الحزب في هذين التفاهمين بعدم ضرب أهداف إسرائيلية داخل فلسطين المحتلة بدايةً، وهو أمر كان الحزب يؤكد التزامه به، معتبرا أن إطلاق صواريخ (الكاتيوشا) على المستعمرات الإسرائيلية في الجليل ليس سوى رد فعل على الاعتداءات الإسرائيلية على المدنيين.

أما اتفاق تفاهم أبريل ١٩٩٦بين الحكومة اللبنانية وإسرائيل، فقد تم التوصل إليه بموافقة حزب الله وعملت سوريا على الوصول إليه، وينص هذا الاتفاق على ما يلي:

إن الولايات المتحدة تفهم أنه بعد مناقشات مع حكومتي إسرائيل ولبنان وبالتشاور مع سوريا، فإن لبنان وإسرائيل سوف يكفلان التالي:

١- إن المجموعات المسلّحة في لبنان لن تقوم بهجمات بصواريخ الكاتيوشا، أو أي نوع آخر من السلاح إلى داخل إسرائيل.

٢- إن إسرائيل والمتعاونين معها لن يطلقوا أي نوع من السلاح على المدنيين، أو الأهداف المدنية في لبنان.

٣- بالإضافة إلى هذا، يلتزم الطرفان بالتأكد من عدم كون المدنيين هدفاً للهجوم تحت أي ظروف، وعدم استخدام المناطق المدنية الآهلة والمنشآت الصناعية والكهربائية قواعد إطلاق للهجمات.

٤- بدون خرق هذا التفاهم لا يوجد ما يمنع أي طرف من ممارسة حق الدفاع عن النفس.

٥- تم تشكيل مجموعة مراقبة مؤلفة من الولايات المتحدة، فرنسا، سوريا، لبنان وإسرائيل. ستكون مهمتها مراقبة تطبيق التفاهم المنصوص عليه أعلاه.وستقدم الشكاوى إلى مجموعة المراقبة.

٦- ستنظم الولايات المتحدة أيضاً مجموعة استشارية تتألف من فرنسا، الاتحاد الأوروبي، وروسيا، وأطراف أخرى مهتمة بهدف المساعدة على تلبية حاجات الإعمار في لبنان.

٧- من المعترف به أن التفاهم من أجل إنهاء الأزمة الحالية بين لبنان وإسرائيل لا يمكن أن يكون بديلاً عن حل دائم.

٨- تفهم الولايات المتحدة أهمية تحقيق سلام شامل في المنطقة، من أجل هذه الغاية، تقترح الولايات المتحدة استئناف المفاوضات بين سوريا وإسرائيل، وبين لبنان وإسرائيل في وقت يُتفق عليه، بهدف التوصل إلى سلام شامل، تفهم الولايات المتحدة أنه من المرغوب به أن تجري المفاوضات في جو من الهدوء والاستقرار.

وهكذا يتضح لنا من بنود اتفاق أبريل ١٩٩٦ أن حزب الله تخلى بشكل واضح عن تحرير فلسطين، بل تخلى عن مجرد شن هجمات صاروخية ضد المستعمرات الصهيونية في شمال فلسطين المحتلة، ولقد عمل حزب الله على الالتزام بهذا الاتفاق، حتى شهدت له إسرائيل بذلك.

الانسحاب الإسرائيلي وقواعد اللعبة:

أما الاتفاق الأخطر، والذي يكشف حقيقة حرب حزب الله، فهو الاتفاق الذي سبق الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان في عام ٢٠٠٠، وهو الاتفاق الذي أشار إليه حسن نصر الله في خطاباته بقواعد اللعبة، وأبرز بنود هذا الاتفاق تتمثل في النقاط التالية:

المرحلة الثانية بند (أ) يقوم الجيش الإسرائيلي بسحب قواته كافة من كامل الأراضي اللبنانية والحزام الأمني إلى الحدود الدولية في مدة لا تتعدى ثلاثة أشهر تحت إشراف ممثل الأمين العام للأمم المتحدة وفقا للقرارات الدولية المتعلقة بجنوب لبنان وإنهاء حالة الحرب هناك، كما يقوم جيش الدفاع الإسرائيلي بحل وتفكيك مليشيات جيش لبنان الجنوبي، ولا يشمل الانسحاب مزارع شبعا على أساس أنها أرض سورية، مرتبطة أمنيا بهضبة الجولان، وأمن دولة إسرائيل.

فقرة (ب) تقوم ميليشيا حزب الله بتسلم المواقع العسكرية والأمنية من جيش الدفاع الإسرائيلي، وجيش لبنان الجنوبي فورا بعد إخلائها؛ **للحيلولة دون وقوعها بأيدي منظمات فلسطينية أو إرهابية معادية لإسرائيل**[1].

فقرة (ج) يتعهد الجيش الإسرائيلي بعدم استهداف أعضاء أو مؤسسات تابعة لهذا الحزب، وأن يسمح للحزب بتحريك أسلحته الثقيلة في المنطقة الحمراء للحفاظ على الأمن والهدوء.

فقرة (د) أن تعمل ميليشيا حزب الله على الانتشار في المنطقة الحمراء كلها (الحزام الأمني) حتى الشريط الحدودي بين لبنان ودولة إسرائيل وإحلالها مكان ميليشيا جيش لبنان الجنوبي بعد حل الأخرى.

فقرة (و) أن **يعمل الحزب على ضمان الأمن في هذه المناطق التي ستصبح تحت سيطرته**، وذلك (بمنع المنظمات الإرهابية من إطلاق الصواريخ على شمالي إسرائيل)، ووقف التسلل، **واعتقال العناصر التي تهدد أمن حدود إسرائيل الشمالية، وتسليمهم إلى السلطات اللبنانية لمحاكمتهم، كما يتعهد الحزب بمنع الأنشطة العسكرية وغير العسكرية لمنظمات إرهابية فلسطينية أو لبنانية معادية لإسرائيل في المنطقة الحمراء.**

فقرة (هـ) **تنسق الحكومة اللبنانية والسورية مع حزب الله على تنفيذ الاتفاق كما تتعهد إيران بكونها المرجع والمؤثر القوي لحزب الله بضمان الاتفاق والمساهمة الفعالة في تثبيت الأمن في هذه المنطقة**، وتتعهد الحكومة اللبنانية والسورية بعدم ملاحقة، أو محاكمة أعضاء جيش لبنان الجنوبي وأن تقدما المساعدة على دمجهم بالمجتمع وتوفير المساعدة والحماية اللازمة لمن يرغب منهم العودة إلى بيته، وبناء عليه ستقوم كل من إيران وأمريكا بالسعي لحل مشكلة الأموال الإيرانية المجمدة في الولايات المتحدة التي تطالب بها إيران[2]"أ هـ نقلا عن مقال "حزب الله على أي أساس يقاتل للأستاذ عبد المنعم شفيق في مجلة البيان عدد رمضان ١٤٢٧".

١- وبذلك يتأكد لنا أن حزب الله ليس سوى حرس حدود كما وصفه "صبحي الطفيلي" لحماية إسرائيل من المقاومة الحقيقية الشريفة.

١- في هذا البند تأكيد على أن غرفة عمليات حزب الله إنما تقع في طهران ودمشق، كما أن هذا البند يكشف لنا التعاون الإيراني الأمريكي، وما حزب الله سوى ورقة يتلاعب بها الفريقان.

حزب الله هل يسعى لتحرير فلسطين؟:

مع أنه أتى في ميثاق حزب الله أنه "يجب إزالة إسرائيل من الوجود" ويـدعو لتوحـد العرب والمسلمين ــ كما يقولون ــ لتحرير فلسطين كلها (من النهر إلى البحـر) إلا أن مـا سبق وعرضناه من تفاهمات واتفاقيات بين حزب الله وإسرائيل، تؤكد أن فلسطين ليست علـى خريطة حزب الله، وهو ما أكده حسن نصر الله في الخطاب الذي ألقاه في بنت جبيـل عقـب الانسحاب الإسرائيلي، حيث أشار نصر الله إلى أن حزب الله لن يشارك في أي عمل عسـكري ضد إسرائيل لهدف تحرير فلسطين[١].

وقد تكرّس التزام حزب الله بضوابط الصراع مع إسرائيل حتى أثنت عليه إسـرائيل في ذلك الشأن، حيث كانت صحيفة (هارتز) بتاريخ ٧/٦ / ٢٠٠٦ قد امتدحت الأمـين العـام لحزب الله بسبب عقلانيته وتحمله للمسؤولية وأنه حافظ على الهدوء في الجليل الأعلـى بشـكل أفضل من جيش لبنان الجنوبي.

وبينما اشتكي الأمين السابق لحزب الله "صبحي الطفيلي" من إعاقة حزب الله لعمليات المقاومة ضد إسرائيل عقب الانسحاب الإسرائيلي، واصفًا حزب الله بأنه خفر حـدود لصـالح إسرائيل، ونورد شهادته في آخر تلك الرسالة.

فإننا نجد الموارنة النصارى في لبنان يمدحون هذا السلوك من حزب الله، حيـث يقـول ميشال سماحة وزير الإعلام اللبناني: إن حزب الله قد جعل الحياة مسـتقرة في جنـوب لبنـان بسيطرته علي الأنشطة العنيفة لمئات الآلاف من الفلسطينيين الذين يعيشون في مخيمات اللاجئين القذرة المتناثرة في أنحاء المنطقة ورصدها أحيانا.

وأضاف سماحة: إن أمريكا وقعت في خطأ أحمق بعدم سعيها إلي التفاهم مع حزب الله، وأشار سماحة إلي أن الجماعة ملتزمة بإصرار سوريا علي منعها منفـذي العمليـات الانتحاريـة الفلسطينيين المحتملين عبور الحدود إلي إسرائيل.

ولنا أن نتساءل إذا كان حزب الله يسعى لتحرير فلسطين فلماذا دومًا لا تنطلق عملياته العسكرية إلا على فترات وفي ظروف يكون مؤسسيه سواء إيران أو سوريا في حاجـة لورقـة خارجية تخفف الضغط عنهما.

٢- جريدة الأنباء، العدد: ٨٦٣٠، ٢٧/٥/٢٠٠٠م

وإذا كان حزب الله يسعى لتحرير فلسطين فكيف يعد إسرائيل بعدم القيام بأية حــرب أخرى كما صرح بذلك في لقائه مع فضائية "New TV" عقب انتهاء الحرب الأخيرة.

كما أن من عجيب أمر حزب الله أنه ما فتئ أيام الحرب من التهديد بضرب حيفا ومــا بعد حيفا، غير أننا فوجئنا بعدم إقدامه على ضرب حيفا إلا بعد قيام إسرائيل بنقل مصفاة حيفــا الكيمياوية، فمصفاة حيفا وتل أبيب اللتان تقعان ضمن مدى صواريخ الحــزب قــد "حيّــدتا" (اللفظ لحسن نصر الله) و لم تقصفا طوال الحرب.

وقد كانت وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس قد طلبت من إيران الضغط على حزب الله بعدم قصف الهدفين، وهو الحلقة الأهم في هذا الصراع.

حاجة إسرائيل إلى حزب الله:

على الرغم من نزوات حزب الله الهجومية ضد إسرائيل، إلا إن حزب الله يبقــي هــو الأفضل لبقاء إسرائيل، أخذاً بالاعتبار ما قاله الطفيلي وأكدته صحيفة هآرتز، مضافاً إليه الضعف الأمني للدولة اللبنانية، فإن الاستئصال الأمني الكامل لحزب الله لن يصب في المصــلحة الأمنيــة لإسرائيل، فزوال الحزام الأمني العازل الذي يشكله الحزب بين إسرائيل وباقي لبنان، الذي حفظ السلام في الجليل الأعلى، يعني عودة التماس الجغرافي مع قطاعات الشعب اللبناني والفلسطينيين، التي تختلف مع مدرسة الحزب السياسية والمذهبية، ومع رؤيته إلى طبيعة الصراع مــع إســرائيل، وهو الأمر الذي احتلت من أجله إسرائيل جنوب لبنان في عام ١٩٨٢، وأوجدت جيش لبنــان الجنوبي، ذو الأغلبية الشيعية، الذي لم يثبت فاعلية في حماية مناطقها الشــمالية مــن عمليــات المقاومة الوطنية اللبنانية والفلسطينية التي كانت تنشط قبل وصول حــزب الله وتوقفــت تمامــاً بمجيئه.

فعلى المدى البعيد نسبياً، فإن زوال حزب الله بالكامل يعني ـــ من المنظور الإسرائيلي ـــ تحول لبنان إلى منطقة أمنية رخوة، وقبلة لفصائل المقاومة الإسلامية التي تجوب العالم بحثــاً عــن نقطة تماس مباشرة مع ما تعتبره العدو الحقيقي، وما تعده أيضاً تجسيداً لخطابها السياسي، الــذي ينتقده خصومه على أنه ينشط بعيداً عن جغرافية المواجهة الحقيقية، وهو ما فعلته بعــد ســقوط العراق، وتواجه دوراً من قبل المليشيات الشيعية المحلية والوافدة شبيه بدور حــزب الله؛ بعبــارة

أخرى، ستبقى حاجة إسرائيل قائمة إلى حزام أمني طائفي يعزلهـا عـن محـيط الأغلبيـة ذات المنطلقات والرؤى المختلفة.

ولابد أن نشير هنا إلى أن المقاومة الحقيقية في جنوب لبنان والعمليـات النوعيـة الـتي شهدها الجنوب اللبناني لم يقم بها حزب الله، وذلك باعتراف صبحي الطفيلي أمين عام حزب الله في تلك الفترة، حيث نفى مسئولية الحزب عنها كما في مقابلتـه مـع الجزيـرة الفضـائية في ٢٠٠٤/٧/٢٣.

ويقول الكاتب اليهودي (آريه ناؤور) [معاريف: ٢٠٠٠/٥/٢٦]: "عندما بدأت حرب لبنان– أي سنة ١٩٨٢– سميت [حملة سلامة الجليل] وكان يفترض بالحملـة أن تسـتغرق ٤٨ ساعة، على عمق ٤٠ كيلومترًا، وقال رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيجن لمجموعة من كبار الضباط على مشارف بيروت: أنتم تعرفون جيدًا أنني ما كنت سأصادق على حملة تنطوي على عدد كبير من الإصابات تزيد على بضع عشرات من جانبنا، وبعد وقت قصير من ذلك ارتفـع عدد ضحايانا إلى ٥٠٠، فأغلق بيجن على نفسه في بيته ولم يجد ما يواسيه، ولم يتهم أحدًا، وفي آخر مرة يظهر فيها أمام مركز الليكود قال: إنه يجري في لبنان مأساة، ومنذئـذٍ ارتفـع عـدد ضحايانا ضعفين وأكثر..".

وهنا بثور سؤال: من الذي أوقع هذا العدد الكبير من قتلى اليهود الذين بلغوا [٥٠٠]، كما يقول الكاتب اليهودي [آريه ناؤور] ؟!.

أما حزب الله فلم يكن قد ظهر إلى الوجود عام ١٩٨٢، و أما حركة أمل فقد كانـت تقف في الطرف المعادي للذين أحسنوا إليها – منظمة التحرير –، فلم يبق إلا أهل السـنة مـن الفلسطينيين واللبنانيين، وما كانت القوات النصيرية بقادرة على منعهم لأنـها قابعة على الحدود السورية اللبنانية، بل "إن معظم العمليات النوعية قبل انسحاب الكيان اليهودي من جنوب لبنان، قام بها شباب فلسطينيون من تنظيم الجبهة الشعبية القيادة العامة بزعامة أحمد جبريل، حيث قدم هذا التنظيم ٧٥٠ قتيلا نحسبهم عند الله شهداء من مجموع ١٥٠٠ قتيل أعلن عنهم الحزب، دون أن يذكر دور هؤلاء المقاتلين الفلسطينيين ولو بالإشارة في يوم من الأيام، فالحزب قـد اسـتغل

تعطش هؤلاء الشباب لقتال عدوهم ـــ والمغلقة في وجوههم الحدود العربية ـــ حتى يبني أمجـــادًا على جماجمهم .."[١].

وبعد الانسحاب الصهيوني من لبنان، عمل حزب الله على تأكيد وفائه بالتزاماتـــه مـــع إسرائيل، وأحبط العديد من العمليات الفدائية ضد إسرائيل، حتى اشتكى سلطان أبو العينين أمين سر حركة فتح في لبنان من ذلك، وقال: لقد أحبط حزب الله أربع عمليات للفلسطينيين خلال أسبوع، وقدمهم للمحاكمة .

ويقول أيضا: نعيش جحيما منذ ثلاث سنوات ، ومللنا الشعارات والجعجعة، وذلـــك بعد ثلاث سنوات فقط من الانسحاب الصهيوني من جنوب لبنان، والذين اعتبروه نصرًا مـــؤزرًا ومجدًا تاريخيًا.

١- من مقال "ماذا يجري في لبنان؟"، للأستاذ "محمد أسعد بيوض التميمي".

لبنان في العصر الأمريكي:

استنفد اتفاق الطائف أغراضه، وبدأت الأطراف اللبنانية المختلفة تشعر بالتململ من بنود هذا الاتفاق الذي لم يطبق بأكمله، إلا إن كل طرف شعر بالحاجة إلى تغيير هذا الاتفاق وتغيير قواعد اللعبة لتغير التوازنات خاصة مع وصول المحافظين الجدد إلى البيت الأبيض برؤية جديدة للشرق الأوسط.

ومن المنطقي في دولة مثل لبنان تشمل هذا العدد من الطوائف المختلفة والمتناحرة، من المنطقي إن هذه الطوائف عندما تشعر بالحاجة إلى تغيير قواعد اللعبة، وعندما تشعر هذه الطوائف بالقدرة على إحداث هذا التغيير فمن المنطقي أن يشتعل بينها صراعات قد تصل إلى حرب أهلية، غير أن الأيدي الخارجية الممسكة بأطراف اللعبة لا تسمح بتطور الأمور إلى هذه الدرجة، فكان لابد من أحداث تقوم مقام الحرب الأهلية في خلخلة الأوضاع الداخلية من أجل إعادة الأوراق من جديد، وبدأت تلك الأحداث باغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق "رفيق الحريري".

اغتيال الحريري ... لماذا[1]؟

يقول بعضهم "عقود تمر على الأمة لا يحصل فيها شيء ثمَّ تمر سنين تحصل فيها عقود"، تنطبق هذه الجملة إلى حد كبير على حدث اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري، فالمتأمل في الحدث والمتابع للوضع اللبناني المعقد والمتشابك يدرك أن اغتيال الحريري لم يكن إلا مقدمة لسلسلة من الأحداث والصراعات التي يقصد من ورائها تصفية الحسابات بين عدد من الدول، إضافة إلى بعثرة الأوراق السياسية في الشرق الأوسط وإعادة ترتيبها من جديد.

١- بعيدًا عن تقييم رفيق الحريري من الناحية الشخصية والشرعية، فلا بد أن نشير هنا إلى أن رفيق الحريري كان من أقوى القيادات السنية السياسية في لبنان وذلك لاستغنائه عن القيادة السورية بثرائه المالي من جهة و علاقاته الراسخة مع الحكومة السعودية و التي تمثل العمق السني ، وهذا ما جعل من العلاقة بين الحريري من جهة وسوريا وأعوانها في لبنان من الأحباش و الشيعة والنصارى وغيرهم من جهة أخرى علاقة متوترة دوماً مع أنهم يحاولون أن لا يظهر هذا التوتر على السطح، أضف إلى ذلك إلى أن الحريري كانت القيادة اللبنانية الوحيدة التي تكاد تتفق عليه جميع الطوائف اللبنانية وذلك لما أنفقه على لبنان من أموال لإعماره كما أن أمواله لم تكن موجهة إلى الطائفة السنية فحسب بل كانت موجهة إلى جميع الطوائف..

ومنذ عام ١٩٩٠ وحتى ٢٠٠٥ ولبنان تشهد حالة من الهدوء ولكنه فيما يبدو الهدوء الذي يسبق العاصفة، حيث ارتضت الأطراف المتحارية بما حققته من مكاسب وقتها، و لم تكن إسرائيل وأمريكا لتغض الطرف عن تواجد القوات السورية في لبنان طوال هذه الفترة إلا لما في ذلك من مكاسب لهم جميعًا.

ولكن لبنان التي ظلت ورقة في أيدي الجميع وخاصة النظام السوري، جاء الوقت لتشهد صراعات جديدة يقصد منها إعادة ترتيب الأوراق في الشرق الأوسط، ويأتي في ذلك الصدد مقال نشره الكاتب الامريكي جيم هوغلاند جاء فيه : "إن تعثّر مشروع إدارة بوش لنشر الديمقراطية في العراق، يجب أن يدفعها إلى "عصر" سوريا لإنهاء سيطرتها على لبنان، بهدف مساعدة هذا الأخير على "إقامة ديمقراطية حقيقية" تكسي باللحم عظام رؤى بوش حول تغيير الشرق الأوسط .. ".

وبالتأكيد إن أمريكا لا تسعى إلى نشر ديمقراطية في العراق أو في لبنان، ولكنها تريد ساحة صراع جديدة تعيد رسم خارطة العالم كما تريد، ولعل المقولة التي قالها الصحفي المصري أحمد بهاء الدين عن لبنان عام ١٩٧٨ تنطبق على لبنان ٢٠٠٥، حيث يقول : " .. إن لبنان يُعد لكي يكون الحفرة التي يساق إليها العرب جميعًا برجالهم أو أموالهم أو بخلافاتهم، إنها الحفرة التي يراد منها أن ينسى العرب ما قبلها، فالإنسان لا ينسى كارثة بكارثة تتلوها يراد بها أن تكون دمارًا يضحى فيها بلبنان، ولكن أيضًا لكي ينسى العرب فلسطين .."، وبالطبع أن نستطيع أن نضم الآن إلى فلسطين العراق ، وجميع ما ينتظر الأمة من مآسي ومؤامرات.

وبعد ما عرضناه في هذا الكتاب من تاريخ مختصر للبنان ولحزب الله، ولحقيقة الصراع في لبنان، فلماذا تم اغتيال رفيق الحريري، وليس غيره ؟، والإجابة عن هذا السؤال تتمثل في شخصية الحريري ودوره السياسي.

- ينتمي الحريري إلى طائفة السنة بل كان زعيم السنة في حياته، والسنة هي الطرف المستهدف في لبنان، والكل يسعى لتحقيق مكاسبه على حساب السنة سواء أكان الموارنة الذين يريدون أن تصبح لبنان دولة نصرانية عربية بميول غربية وسط تجمع مسلم ضخم، أو الشيعة الذين يرون في لبنان دولة شيعية وسط تجمع سني ضخم، ولعلنا نذكّر هنا بأن الحرب الأهلية اللبنانية

اندلعت في السابق جراء اغتيال سياسي سني (معروف سعد)، كما شهدت الحرب الأهلية اغتيال عدد من الزعماء السنة على رأسهم رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رشيد كرامي، ومفتي لبنان الشيخ حسن خالد، والشيخ صبحي الصالح.

- دور الحريري في "اتفاق الطائف"، وهو الاتفاق الذي أنهى الحرب الأهلية في السابق وأوجد حالة من توازن القوى، ولأنه يراد الآن إعادة توزيع المصالح والقوى من جديد، فلابد من التخلص من "اتفاق الطائف" ولا عجب إذن أن يكون التخلص من مهندسه هو أول خطوة في هذا الطريق.
- شخصية الحريري وسيطرته على الوضع؛ تميزت شخصية الحريري بالنجاح والقدرة في السيطرة على الأوضاع في لبنان والإمساك بتلابيب الأمور، ويرجع السبب في ذلك إلى عصامية الحريري إضافة إلى علاقاته الدولية الواسعة والغير عادية، لذلك فإن الحريري بشخصيته تلك وحرصه على مصلحة لبنان يمثّل بالتأكيد عقبة أمام الساعين لتدمير لبنان وتمزيق، فكان لابد من التخلص من هذه العقبة.
- إزاحة الحريري من أمام من يراد لهم أن يحكموا لبنان في المستقبل، ونقصد بهم المعارضة اللبنانية التي يزعم أن الحريري انضم لها، والتي تريد أن تجعل منها أمريكا "كرزاي" و"علاوي" جديد ولكن الآن في لبنان، فالمعارضة اللبنانية ليست إلا نمطًا متكررًا شاهدنا من قبل في "أحمد الجلبي" و"تحالف الشمال"، إنهم رجال قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ الأمريكي الذين يبحثون الآن عن دولة وزمان خاصين بهما، وهؤلاء لا يشكّلون "كتلة تاريخية" جديدة متراصة، حيث أنه فيهم الساسة ورجال الدين الموارنة الذين يرون في بدء هبوط النفوذ السوري فرصة لبدء صعود النفوذ الماروني مجددًا إلى ساحة الفعل السياسي، وفيهم سياسيون بارعون في التقاط التحولات الإقليمية والدولية، وعباقرة في معرفة من وأين تُؤكل الكتف وهؤلاء يتقدمهم الزعيم الدرزي "وليد جنبلاط".

لهذه الأسباب وغيرها كثير كان اغتيال الحريري في ذلك الوقت الحـــرج، وبـــرغم أن اغتياله يدفع لإلقاء حجارة كثيرة في مستنقع غص مثل لبنان، إلا إنه سيبقي أن ما شاهدته لبنـــان وما ينتظره هو الأخطر.

الوعد الصادق أم الوهم الكاذب؟:

في الثاني عشر من يوليو ٢٠٠٦ شن حزب الله هجومًا على موقع متقدم للاحتلال الإسرائيلي على الحدود اللبنانية الفلسطينية، نجح خلاله عناصر حزب الله في أسر جنديين صهيونيين وقتل تسعة آخرين، عقب هذه العملية التي أطلق عليها اسم "الوعد الصادق" شنت القوات الإسرائيلية هجومًا موسعًا على لبنان دام ٣٤ يومًا، وأسفرت تلك الحرب الظالمة عن ٢٠٥٠ قتيلاً لبنانيًا، و٥٨١٥ جريحاً حالة الكثير منهم خطيرة وحرجة فضلاً عن أعداد كبيرة من المعاقين، وربع مليون مهاجر تركوا البلاد بصعابها ومشكلاتها.

فيما بلغت الخسائر المالية التي تكبدها لبنان نتيجة العدوان الصهيوني ١٥ مليار دولار، بما يترجم بعودة لبنان ٢٠ عاماً إلى الوراء، ويقتصر رصد هذه الخسائر المادية على الجسور والطرق والمنازل والشركات والمطار.

أما تدمير البلاد فيذكر تقرير الأمم المتحدة الصادر بشأن تلك الحرب بلدات سويت بالأرض أو كادت إذ لم يبق فيها بيت قائم، كبلدات بنت جبيل والخيام وعيترون وميس الجبل وصولا إلى القطاعات الجنوبية كلها، ويعلق التقرير على ذلك بالقول:" فالمنطقة تحولت إلى ركام كأن ضربها زلزال قوي بلغ سبع أو ثماني درجات على مقياس ريختير، بحيث أصبح الجنوب كومة من التراب والحجارة يستلزم أكبر جرافات العالم لإزالة الركام، أما الضاحية الجنوبية لبيروت فلم تكن أفضل حالاً من الجنوب أو بعلبك؛ لأن هناك أكثر من ٤٠٠ بناية مدمرة بالكامل و٣٠٠ جزئياً والأبنية الباقية متصدعة وغير صالحة للسكن".

ويرصد التقرير كذلك "مليون ونصف المليون من اللبنانيين قد صاروا بلا مأوى" ينتظرون مساعدات في بدء موسم الشتاء يتم توزيعها بصورة انتقائية وبطائفية واضحة.

أما على الصعيد السياسي، فلم تنتهي تلك الحرب إلا بعد الاتفاق على نشر قوات دولية في جنوب لبنان الأمر الذي مثل عودة للاحتلال الدولي للبنان.

هذه الحرب، لماذا؟، وعلى ماذا انتهت؟، ذلك ما نجيب عنه في الصفحات القادمة.

محاولة لفهم قواعد اللعبة بين إسرائيل وحزب الله

لم يكن الهجوم الذي نفذه حزب الله على الجيش الصهيوني وأسماه "الوعـــد الصـــادق" جديدًا في سجل العمليات العسكرية بين الطرفين، ففي عام ٢٠٠٣ أسر حزب الله ثلاثـــة مـــن الجنود الصهاينة وفي عام ٢٠٠٥ نفذ حزب الله هجومًا موسعًا على القوات الصهيونية في شمـــال فلسطين المحتلة، غير أن الجيش الصهيوني كان يكتفي برد محدود حيث يكون الـــرد الإســـرائيلي بقصف محدود، لكن دون تخطي مستوى معين من العنف، ليتفاوض الاثنان بعدها عبر وســـيط ثالث، فيتمّ تبادل الأسرى.

غير أن الأمور لم تسر كما كان متوقعا، فماذا تغيّر هذه المرة؟، إن الإجابة علـــى هـــذا السؤال تكمن في الخطاب الذي أدلاه "حسن نصر الله" الأمين العام لحزب الله عقـــب العمليـــة، حيث أفاض نصر الله في الحديث عن قواعد جديدة للعبة، غير عابئ بأي تصعيد إسرائيلي مهمـــا بلغت بشاعته.

قواعد جديدة للعبة:

إن المفتاح لفهم المواجهة الصهيونية اللبنانية يكمن في فهم قواعد اللعبة بـــين الطـــرفين، فعندما انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠ وهو ما اعتبر وقتها نصرًا مؤزرًا لحـــزب الله، تبع هذا الانسحاب سلسلة من العمليات العسكرية لحزب الله لم ترد عليها إسرائيل بشـــكل موسع، غير أن هذه المرة كان الرد مختلفًا، ومنذ اللحظات الأولى للهجوم والطرفان (حـــزب الله، وإسرائيل)، يؤكدان على أن قواعد اللعبة بينهما قد تغيرت، وقواعد اللعبة إذا حاولنا تعريفهـــا، فهي تلك القواعد والقوانين، التي ترعى وتدير علاقة بين دولتين أو أكثر في ظرف ووضع معيّن، وإذا ما تغيرت هذه الظروف والأوضاع فإن الطرفين يجدان الرغبة في تغيير القواعد الـــتي تحكـــم العلاقة بينهما.

في علوم السياسة، تعد القوة هي مفهوم الأساس في فهم العلاقات الدولية، وإلى جانـــب القوة تنضم المصلحة أو الهدف أو الغاية ليكونا معا أسس نستطيع أن نفهم بها العلاقـــات بـــين الدول والأطراف المختلفة، فوفقًا للقوة والمصلحة تتحدد العلاقات بين الدول بدءً مـــن التعـــاون التام (التحالف) وانتهاءً بالتصارع التام (العداء) وبين هذين النقطتين تتشـــكل العلاقـــات بـــين

الدول، ووفقًا للاختلاف الدائم في ميزان القوى فإن العلاقات بين الدول تختلف فليس هناك صداقة دائمة أو عداوة دائمة.

في ظل هذه المفاهيم، نستطيع أن نفهم العلاقة بين الشيعة – بشكل عام – وبين أمريكا وإسرائيل، فليس من السهل أن نصفها بالعمالة، وليس من السذاجة أن نصفها بالمقاومة، غير أن المؤكد والذي لا يستطيع أحد إنكاره أن للشيعة أجندة خاصة ومجموعة من المصالح يسعون لتحقيقها ثبت أنها تخالف مصالح السُنة وتتفق كثيرًا مع مصالح أمريكا وإسرائيل، ثبت ذلك جليًا في أفغانستان والعراق حيث التعاون الإيراني الأمريكي وحيث نجد عدوًا مشتركًا للطرفين هم السُنة.

غير أنه إذا ما أراد أحد الطرفين أن يغيّر ميزان القوى لصالحه فإن الطرف الآخر يجد نفسه ملزمًا للتدخل لإعادة ميزان القوى إلى موضعه، وهذا ما يفسر الصدام بين إيران وأمريكا بسبب البرنامج النووي الإيراني، وهو ما قد يفسر كذلك المواجهة الجارية الآن بين حزب الله وإسرائيل.

قواعد اللعبة القديمة:

لم يتم الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان في عام ٢٠٠٠ إلا وكان الطرفان (حزب الله، وإسرائيل) قد توصلا إلى مجموعة من قواعد اللعبة التي تحكم حركة كل منهما في الجنوب اللبناني، تمثلت هذه القواعد وفقًا للرؤية الإسرائيلية في المبادئ الثلاثة التالية[١]:

١- اعتراف بالخط الأزرق الذي قررته الأمم المتحدة على أساس القرار ٤٢٥، الأمر الذي يمنع نشاط حزب الله على طوله، وفيما وراءه.

٢- مزارع شبعا متروكة للنشاط العسكري لحزب الله بصفتها أرضا محتلة.

٣- مبدأ "العين بالعين" الذي يقضي بأن يرد حزب الله على إسرائيل بأعمال مشابهة لتلك التي تنفذها.

وفي ظل قواعد اللعبة هذه، كانت مزارع شبعا ساحة ما بين الطرفين لضبط إيقاع الآخر، وتعامل حزب الله وفق قواعد اللعبة وحصر نشاطه ضد إسرائيل في مزارع شبعا فقط،

١- عرضنا المبادئ وبنود الاتفاق الذي نظم العلاقة بين حزب الله وإسرائيل عقب انسحاب إسرائيل من الجنوب اللبناني، عند حديثنا عن العلاقة بين حزب الله وإسرائيل.

فلم نسمع طوال الأعوام الستة الماضية عن عمليات لحزب الله خارج هذه المنطقة، بل قرأنا ما قاله صبحي الطفيلي الأمين السابق لحزب الله من أن الحزب أحبط الكثير من الهجمات ضد إسرائيل في الجنوب اللبناني.

وبالتأكيد فإن قواعد اللعبة في تلك الفترة كانت نتيجة للظروف الدولية والإقليمية، إضافة إلى قوة كل طرف وما يملكه من أدوات للردع، غير أنه منذ الانسحاب الإسرائيلي من لبنان عام ٢٠٠٠ والطرفان يترقبان ظرفًا مناسبًا لتغيير قواعد اللعبة كل لصالحه، حاول حزب الله ذلك، وحاولت إسرائيل، وكانت هناك تخمينات للاستخبارات الإسرائيلية في عام ٢٠٠٢ مثلا بأن حزب الله يهيئ لإسرائيل كميناً إستراتيجياً سيؤدي إلى فتح الجبهة الشمالية.

ومع دخول واشنطن على الخط اللبناني والأحداث التي شهدتها بيروت منذ اغتيال رفيق الحريري برزت قوى جديدة داخل لبنان، وبدا الأمر وكأن حزب الله سوف يخسر كثيرًا من نجاحاته في الداخل اللبناني، حاول حزب الله الالتفاف على المشروع الأمريكي للبنان الجديد، غير أنه فشل في هذا الأمر، فكان لابد من عمل عسكري لإعادة ترتيب قواعد اللعبة، وكانت عملية "الوعد الصادق" التي كان من الواضح أن الجيش الإسرائيلي ينتظرها لإعادة ترتيب قواعد اللعبة لصالحه هو الآخر، فالرد الموسع للجيش الإسرائيلي يؤكد أن خطط العمليات العسكرية على لبنان كانت معدة سلفًا، ولا غرابة في ذلك فبعد تولى "إيهود أولمرت" لرئاسة الوزراء الإسرائيلية كان أول الملفات التي عرضت عليه الملف المتعلق بحزب الله وترسانة الصواريخ الموجودة لديه، والتي يمكن أن يصل مداها، حتى مدينة هرتسيلسا على مشارف تل أبيب، ووفقًا لهذه المعطيات، كان أولمرت في حاجة إلى مبرر للتحرك من أجل ترتيب الأوضاع في لبنان، وهو ما أشار إليه الرئيس الروسي "فلاديمير بوتن" بقوله: أعتقد أن إسرائيل تسعى من خلال حملتها العسكرية إلى تحقيق أهداف أوسع من استعادة الجنديين المخطوفين.

تغيير قواعد اللعبة:

بالتأكيد فإن الهدف من عملية "الوعد الصادق" لا يعود فقط لحزب الله، ولكنه يمتد لما أسماه الحزب بالدور الإقليمي الذي يلعبه والمقصود به هنا تحقيق أهداف داعمي حزب الله ومؤسسيه، إيران وسوريا.

ومن الجلي هنا أن هدف إيران من "الوعد الصادق" ليس مجرد ورقة للضغط من أجل البرنامج النووي الإيراني، ولكنها هذه العملية تصب في مشروع الهلال الشيعي الممتد من إيران إلى لبنان، وهو المشروع الذي يتصادم مع الرؤية الأمريكية الرافضة حتى الآن تضخيم دور إيران في المنطقة إلى هذه الدرجة، بالرغم من ترحيبها بالتعاون مع إيران والشيعة.

فحزب الله يسعى من وراء "الوعد الصادق" إلى التأكيد على المشروع الشيعي للمنطقة مقابل المشروع الأمريكي، وقد اتضح ذلك جليًا في تصريحات حسن نصر الله التي أفاضت في الحديث عن "حرب مفتوحة"، والتأكيد على أن الحرب لا تزال في بدايتها.

الوعد الصادق بين واشنطن وطهران:

وإذا كانت واشنطن ترى في لبنان مدخلاً لإعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة، فإنها ترى كذلك في لبنان فرصة لاحتواء أحد أهم دول "محور الشر"، ألا وهي إيران، التي تربطها صلات وعلاقات وطيدة بـ "حزب الله" اللبناني.

ولا شك أن الإدارة الأمريكية وضعت في حساباتها أنها إذا تمكنت من دفع سوريا للانسحاب من لبنان فإن ذلك سيؤدي إلى إضعاف حليفها القوى في لبنان (حزب الله)، وبانتهاء الوجود السوري في لبنان فقد تواجه إيران متاعب وصعوبات في شحن ونقل الأسلحة إلى "حزب الله"، وبالقدر نفسه فإن سوريا التي لم يعد لها وجود في لبنان لن تكون قادرة على ضمان استمرار مليشيات "حزب الله" في التمتع باستقلاليتها.

من جهة أخرى، فإن إيران ترى في حزب الله ورقة تستطيع أن تلعب بها لتحقق مزيدًا من المكاسب، فقد ساهم نجاح حزب الله في تمكين إيران من تثبيت حضورها على الساحة الشرق أوسطية وتسويق الانجاز الإعلامي لحزب الله بوصفه انتصارا لها أيضا، فقد وجدت إيران في حزب الله ضالتها لتحقيق مصالحها الإستراتيجية، وتعزز دور حزب الله في الأولويات الإستراتيجية بسبب التوافق العقائدي للحزب مع الإيديولوجية الحاكمة في طهران، وعلي هذا، فارتباط حزب الله بإيران ارتباط عقائدي ومذهبي في المقام الأول وليس تحالفا مرحليا أو إقليميا أو حتى تبادلا لمنافع، مما يعني – عمليا – ثباتا نسبيا في مواقف حزب الله تجاه إيران بمعزل عن تغير التوازنات في المنطقة.

على الجهة الأخرى، تتصارع الأولويات الإيرانية بين الملف النووي وحـــزب الله، إذ أن الضغوط الدولية المتواصلة علي إيران وحزب الله – وبالأخص بســـبب الديناميكيـــة المتســـارعة للاحداث في لبنان والمنطقة – ستنال علي الأغلب شيئا من الأوراق الإيرانية، مما يعني أنه يتوجب علي صانع القرار الإيراني المفاضلة بين التمسك بخياره النووي الذي يتعرض لضغوط عنيفة وبين حليفه الإستراتيجي في لبنان، وتأسيسا علي ذلك، لا يمكن لإيران أن تنهي مفاوضاتها القادمة مع الولايات المتحدة، سواء كانت علنية أو سرية، وهي محتفظة بالورقتين معـــا: رادعهـــا النـــووي وذراعها العسكرية الخارجية المتمثلة في حزب الله.

لذلك كانت عملية الوعد الصادق وما بعدها من أجل استغلال ورقـــة حـــزب الله في الضغط على أمريكا، وإبلاغها بأنها لا تزال تملك من الأوراق الكثير وأنه من الأفضل لواشـــنطن التفاوض معها بشأن الملف النووي بدلا من إشعال المنطقة عبر ورقة حزب الله.

وهذا الاستنتاج يتوافق، مع ما ذكرته مديرة مكتب جريدة الحياة في نيويورك في تـــاريخ ٦ /١ /٢٠٠٦م قبل ستة أشهر من اندلاع الحرب الأخيرة، حيث كتبـــت، مقـــالا بعنـــوان: سيناريوهات لـــ «استدعاء ضربة عسكرية للبنان وسوريا، تقول فيه: يتحـــدثون في الأوســـاط الدولية عن سيناريوهات تدق في عصب القرارات «الوجودية» لكل من النظام في سوريا ولـــــ «حزب الله» ويحذرون من عواقب ضرب مدن إسرائيلية عبر الحدود اللبنانية على كامل ســـوريا ولبنان.

وتضيف: أهم حلقة في الإجراءات على الساحة اللبنانية وعبرها هو «حزب الله» الذي يمتلك أدوات تنفيذ الإجراءات أو تعطيلها، لذلك فإن مسئولية توريط لبنان في قصف أو غـــزو إسرائيلي له تقع على أكتاف قيادة «حزب الله» التي عليها أن تختار اليوم بين تحصين لبنان ضـــد الاستخدام والانتقام وبين التضحية به خدمة لسوريا أو لإيران.

القيادتان في هاتين الدولتين قد تجدان أن من مصلحتهما في هـــذا المنعطـــف اســـتفزاز إسرائيل عبر «حزب الله» .. إما لتحويل الأنظار والضغوط عليهما، أو لحشد العاطفة المعاديـــة لإسرائيل لتخدمهما محلياً وإقليميا... أي عمليات عبر الحدود اللبنانية – الإسرائيلية يقـــوم بهـــا «حزب الله» في هذه المرحلة ستعد قراراً مدروساً لاستدعاء قصف لبنان.

وأي تشجيع سوري لمثل هذا التطور سيعد رغبة مبيتة لاستفزاز قصف إسرائيلي لسوريا أيضا يؤدي إلى تمكين دمشق من أن تعلن أمام العرب أنها في حال حرب مع إسرائيل، أما إيران فإنها حسب قول علي لاريجاني، الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني «وضعت سيناريو للرد» على محاولات إجبارها على التخلي عن تخصيب اليورانيوم وخططت لـ «جر المنطقة إلى حرب» حسب تعبيره حينذاك.

و«هذا تماماً ما تداولته الأوساط الدولية من سيناريو حرب إقليمية لإشعال المنطقة تستدرجها طهران وتستفزها سوريا بما "يقتضي تفجير العلاقات اللبنانية – اللبنانية، الطائفية منها والحزبية، واختلاق مشاكل على الصعيد اللبناني الداخلي".

ولقد رأينا فيما سبق من الكتاب، وسوف نرى فيما يأتي كيف أن حزب الله ليس سوى ذراع لإيران وسوريا، ولا يهمه الشأن الداخلي اللبناني فضلاً عن أن يكون مهمومًا بقضايا الأمة المسلمة والعربية.

لماذا الرد الإسرائيلي؟:

في المقابل فإن الرد الإسرائيلي الموسع حمل عدة دلالات تتمثل فيما يأتي:

١- التركيز على ضرب البنية التحتية للبنان محاولة للتأثير على شعبية حزب الله داخل لبنان، وهو الأمر ليس بمستبعد حدوثه في ظل دولة طائفية مثل لبنان.

٢- ضرب مطار بيروت والجسور والطرق الرئيسية محاولة لعزل لبنان عن بقية دول الجوار، وهو ما يحمل دلالة على عدم قبول فكرة الهلال الشيعي.

٣- التهديد باستهداف حسن نصر الله وإجباره على بث رسائل متلفزة (مسجلة مسبقًا) محاولة لإعادة حزب الله إلى حجمه الطبيعي.

ما بين مفاجآت حزب الله وتكسير عظامه:

في ظل تهديدات حزب الله بمفاجآت غير مسبوقة، وتصريحات الجيش الإسرائيلي بتكسير عظام حزب الله، يأتي السؤال إلى أي مدى ستصل المواجهة بين الطرفين؟، وهل من الممكن أن تستمر حتى يقضى طرف على آخر؟.

المتأمل في أحداث التاريخ والقارئ في علوم السياسة يدرك أن صراعات القوى تتسم بنظرية "عض الأصابع" حيث يحاول كل طرف إلحاق أكبر قدر من الضربات الموجعة بالطرف

الآخر حتى يقر بالقواعد الجديدة للعبة، غير أن كلا الطرفين لا يسعيان إلى القضاء على بعضهما البعض خاصة وإن كان الطرفان في حاجة إلى بعضهما، وهو ما يتمثل في الحالة بين حزب الله وإسرائيل، فحزب الله في حاجة لبقاء إسرائيل لتبرير وجوده هو، وإسرائيل في حاجة إلى حزب الله كورقة للضغط ولمنع ظهور أية حركات سنية مقاومة في لبنان مثلما حدث في عام ١٩٨٢ حيث اجتاحت إسرائيل لبنان لتقضى على المقاومة الفلسطينية وتركت الجنوب مفتوحًا للشيعة (حركة أمل ثم حزب الله).

والأحداث المتتابعة منذ "الوعد الصادق" تؤكد أن الطرفين لا يسعيان إلى القضاء على بعضهما، فحزب الله رغم إمساكه بزمام المبادرة وخطابات أمينه العام النارية نجده يتراجع إلى موقع الدفاع، ويتساءل المرء لماذا لم يضرب حزب الله حتى الآن تل أبيب إن كان يستطيع ذلك؟، وماذا ينتظر؟.

وإسرائيل بعد التهديدات الشديدة لقادتها، نجدها في نهاية الأمر تكتفي بالمطالبة بطرد حزب الله من جنوب لبنان وبسط سيطرة الجيش اللبناني علي المنطقة، فأين التهديدات بالقضاء على حزب الله وتجريده من أسلحته.

إن هذه الأحداث والتصريحات تشير إلى أن ما يجرى على أرض لبنان ليس إلا محاولة من الطرفين لضبط العلاقة في ظل تغير لميزان القوى، غير أن العلاقات السرية والعلنية بين الطرفين لا تتأثر كثيرًا بمثل هذه الأحداث، ولعل يؤكد ما ذهبنا إليه، ما كتبه "أرييل شارون" في مذكراته عند حديثه عن حرب لبنان: (**توسعنا في كلامنا عن علاقات المسيحيين بسائر الطوائف الأخرى، لاسيما الشيعة والدروز، شخصياً طلبت منهم توثيق الروابط مع هاتين الأقليتين، حتى أنني اقترحت إعطاء قسم من الأسلحة التي منحتها إسرائيل ولو كبادرة رمزية إلى الشيعة الذين يعانون هم أيضاً مشاكل خطيرة مع منظمة التحرير الفلسطينية، ومن دون الدخول في أي تفاصيل، لم أرَ يوماً في الشيعة أعداء إسرائيل على المدى البعيد**) [مذكرات أرييل شارون ص : ٥٨٣-٥٨٤].

الوعد الصادق ينتهي بوهمٍ كاذب .. ماذا بعد يا نصر الله ؟

ما بين الخطاب الذي ألقاه "حسن نصر الله" الأمين العام لحزب الله وأعلن فيه تفاصيل عملية "الوعد الصادق" مهددًا "إسرائيل" بتغيير قواعد اللعبة وما بين خطابه الذي أعلن فيه قبول الحزب قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١، شهدت لبنان حربًا لا هوادة فيها، توعد نصر الله إسرائيل في العلن بمفاجآت غير مسبوقة، وتوعد رجاله – بعيدًا عن وسائل الإعلام – الجبهة السنية التي لم تقف معهم، وأولئك اللبنانيين من الطوائف الأخرى بيوم للحساب ينتظرهم بعد نهاية الحرب، وفي غضون ذلك كانت الشعوب المسلمة الطيبة تهتف باسم نصر الله ورجاله غير أنه فجأة انتهت الحرب، وتوقفت الخطب الرنانة، فبماذا انتهى الوعد الصادق، هل تراه انتهى بنصر مظفر أم أن الأمر لا يعدو كونه وهمًا كاذبًا، وسرابًا سرعان ما يزول كما زال سراب النصر الأتاتوركي الزائف على الحلفاء؟.

من انتصر؟:

أول سؤال تبادر إلى الأذهان بعد توقف الحرب بين "حزب الله" و"إسرائيل"؛ هو من انتصر؟، ومن هزم؟، وحقيقة فإنه من الصعب القول بانتصار طرف وهزيمة طرف آخر، وهو ما توقعه المراقبون منذ اليوم الأول للحرب فسير الحرب كان يشير إلى أن الحرب ستنتهي بدون هزيمة طرف وفوز آخر، وباتت المشكلة الحقيقية لدى الطرفين هو ما هو الطريق الأنسب لإنهاء الحرب ولإعلان النصر في الوقت ذاته، فمنذ اليوم الأول والطرفان يحاربان من أجل وضع مفهوم خاص للنصر يبرر الحرب ويصلح أن يكون تكأة لإعلان النصر، فرئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت يريد أن يُنظر إلى إسرائيل على أنها حققت نصراً مدوياً على "حزب الله" عندما يتم الاتفاق على وقف لإطلاق النار لما لذلك من أهمية بالغة بالنسبة له سياسياً، لذلك لجأت إسرائيل إلى شن العديد من الغارات الجوية خاصة في اليومين اللذين سبقا بدء وقف إطلاق النار.

أما حزب الله فحاول التأكيد على أن النصر في مفهومه يتمثل في تلافي الهزيمة، والحفاظ على قدراته القتالية، حتى وإن دمرت لبنان شمالاً وجنوبًا، فيكفى أن الحزب لا يزال يحافظ على كيانه وقدراته، ويكفى أنه صمد طيلة ثلاثة إلى خمسة أسابيع من الحرب في وجه أقوى جيش في المنطقة.

والمتابع للأمر يدرك أن هذه النتيجة التي انتهت إليها الحرب كانت أمرًا متوقعًا من اليوم الأول، فتلك هي طبيعة حروب قواعد تغيير اللعبة، وهذه طبيعة لعبة "عض الأصابع"، فكلا الطرفين لا يسعيان إلى القضاء على الطرف الأخر ولكنه يكتفي بالضغط واستخدام أوراقه من أجل تحقيق نصر سياسي أو إعلامي بغض الطرف عما تحقق على أرض الواقع، وهذا ما اتضح بجلاء في الحرب بين حزب الله وإسرائيل، فحزب الله عندما أقدم على عملية "الوعد الصادق" لم يكن يتوقع أن ترد إسرائيل بهذا الشكل بل كان ظنه أن الأمر لا يعدو مجرد قصف بالمدفعية أو غارة جوية، أم أن يتصاعد الأمر بهذا الشكل فهو الأمر الذي لم يكن يتوقعه حزب الله كما كشفت عن ذلك تصريحات "حسن نصر الله" من طرف خفي، كما أن حزب الله لم يحاول أن يلحق خسائر قاسية بإسرائيل فحاد عن ضرب الكيمياويات في حيفا و لم يقدم على ضرب تل أبيب.

من جهتها فإن إسرائيل لم تكن تسعى إلى القضاء على حزب الله وتدميره ليس لقدراته وقوته، ولكن لأنه حزب منضبط على الرغم من الإزعاج الذي يسببه في بعض الأحيان، إلا إن زوال حزب الله من جنوب لبنان كفيل بصعود مقاومة سنية بديلة وهو أمر لا تقبله إسرائيل بتاتًا، فالمشروع الشيعي وإن كان مزعجًا للمشروع الصهيوني الأمريكي إلا إنه يبقي مشروعًا منضبطًا لا يرفض التعاون والتفاوض بل قد يبادر إلى التعاون مثلما حدث من إيران في أفغانستان والعراق، ومثلما حدث من حزب الله قديمًا عندما عمل على إحباط هجمات المقاومة من جنوب لبنان، أما المشروع السني المقاومة فهو مشروع مزعج ولا يقبل التفاوض أو المساومة والوقائع على ذلك كثيرة بدءً من طالبان في أفغانستان وانتهاءً بالمقاومة الفلسطينية ومرورًا بالمقاومة العراقية، فعلى الرغم من المحاولات الأمريكية الكثيرة لفتح بابًا للتفاوض مع المشروع السني إلا إن دومًا كان يقوم المشروع السني بإغلاق هذا الباب، لذلك فإن المشروع الشيعي وإن كان مزعجًا بعض الشيء يبقي أفضل من المشروع السني.

لهذا نستطيع أن نقول أن الحرب الذي شهدها لبنان لم تكن حرب تحرير من قبل "حزب الله"، ولا حرب تدمير من قبل "إسرائيل" لحزب الله، ولكنها كانت حرب لتحريك الأوضاع السياسية وإعادة ترتيب ميزان القوى.

ميزان النصر:

إذا كان الأمر كما أوضحنا، فلماذا يصر كلا الطرفين على أنــه انتصــر في المعركــة، وكيف نزن الأمور؟.

لكي توضع الأمور في نصابها، فإن هناك حدودًا عملية لضبط ميزان النصر، فالقضــية لا ترتبط بعملية واحدة لضرب سفينة أو إسقاط طائرة أو استهداف مدينة، على نحو يــثير حمــاس الرأي العام، وإنما بحرب شاملة طويلة لا يؤدّى فيها ضرب سفينة حربية إلى إنهاء الحصار البحري أو يؤدّى إسقاط طائرة إلى وقف الغارات الجوية، وقد لا يؤدّى فيها استهداف مدينة إلى انهيــار في الداخل.

إننا لا نقلل مما حدث وتحقق ولكن يجب أن نزن الأمور بميزان صحيح، فعنــدما تقــوم المقاومة الفلسطينية بأسر جندي صهيوني يكون ذلك انجازًا حقيقيًا غير مسبوقًا لما يعلمه الجميــع من الحصار المادي الذي يواجهه الفلسطينيون، عندما يصمد مخيم جنين أمام الدبابات الإسرائيلية فهذا هو النصر الحقيقي لأن الصمود كان بأسلحة بدائية وبذخيرة تكاد تنضب، عنــدما يقتــل جنديان إسرائيليان أو ثلاث في عملية استشهادية فلسطينية هذا هو النصر الحقيقي لأننا نعلــم أن المقاومة الفلسطينية لا تملك سوى هذا الحزام الناسف، ولو ملكت غيره ما ادخرته.

أما عندما نتكلم عن حزب هو في حقيقة الأمر ميلشيا عسكرية تمتلك أســلحة قــد لا تمتلكها الكثير من الدول وتأتيه من الأموال الكثيرة ولديه أرض يسيطر عليها فعندها لا يكفــي الحديث عن ضرب سفينة أو إسقاط مروحية، بل يجب علينا أن نزن الأمور بميزان دقيق يأخذ في الاعتبار قدرات الحزب العسكرية وما كان يستطيع تحقيقه، وآمال الشعوب المعلقة عليه، ثم ننظر بعد ذلك فيما تحقق وجرى، هذا هو الميزان المنضبط، فالجهاد يعني في مفهومه اللغوي والشرعي بذل الجهد أي أقصى الجهد وكل ما يستطيعه المسلم من أجل إعلاء كلمة الله ولا تهم النتيجة إن فعل ذلك، أما أن يدخر جهده ويوفر سلاحه من أجل أغــراض سياســية وأهــداف إعلاميــة فبالتأكيد أن هذا لا ينطبق عليها وصف الجهاد.

فإذا كان حزب الله يستطيع ضرب تل أبيب ونادت الشعوب المسلمة الطيبة هاتفة باسمه مطالبة إياه بفعل تلك الخطوة، ولكنه لم يفعل ذلك، فلنا أن نتساءل لماذا لم يقــدم علــى تلــك الخطوة، هل كان ينقصه السلاح فلماذا التهديدات النارية ومداعبة عواطف الشعوب المســلمة، وإذا كان يملك فلماذا صمتت صواريخ حزب الله ولم تصمت نيران إسرائيل عن ضرب شمــال

وجنوب لبنان، هل اختبأ وراء الصمت مكاسب سياسية كما تردد أن رايس طالبت إيران بمطالبة حزب الله بالحياد عن ضرب تل أبيب، أم أن حزب الله أراد أن يؤكد أنه حزب منضبط لا يتحرك إلا في حدود معينة ومدارات محددة رسمت له من قبل؟.

وإذا كان حزب الله يمتلك أرضًا يبسط سيطرته عليها، فكيف يقبل بقرار دولي يترع منه تلك السيطرة ليضعها في أيدي قوات دولية تعيد ذكرى الاحتلال للبنان، وإذا كان القرار الدولي يشير إلى نزع سلاح حزب الله فبالتأكيد أن حزب الله لم يوافق على ذلك إلا وهو ينتظر مكاسب سياسية وترتيبات لعلها لا تتضح في القريب العاجل.

غير أنه حتى نكون منصفين، يجب أن نشهد أن حزب الله انتصر، ولكنه انتصر في معركة الإعلام والفضائيات، حيث الخطب الرنانة والتصريحات النارية التي رفعت نصر الله ورفاقه إلى مصاف الأبطال العظام، بل وصفه البعض بأنه صلاح الدين العصر الحديث، على الرغم من أن الشيعة في القديم والحديث لم يكرهوا قائدًا مسلمًا كما كرهوا صلاح الدين الأيوبي.

أما على أرض الواقع فمن البين لكل ذي عينين أن إسرائيل نجحت في إعادة الاحتلال الفرنسي للبنان، ونجحت في وضع حاجز دولي بينها وبين حزب الله، كما جعلت نزع سلاح حزب الله مطلبًا دوليًا أمميًا، فإسرائيل التي لم تنجح في حسم الحرب عسكريا تحاول حسمها سياسيًا، وحزب الله الذي لم يحسم الحرب عسكريا يحاول حسمها إعلاميًا.

لا صوت يعلو فوق صوت المعركة:

عقب هزيمة ١٩٦٧ رفع في مصر شعار "لا صوت يعلو فوق صوت المعركة" وكان المقصود بهذا الشعار هو رفض أي نقد أو دعوة للإصلاح الداخلي بحجة أن البلد في حرب والطعن في النظام دليل على العمالة للعدو، ورغم مرور قرابة ثلاثين عامًا على هذا الشعار، إلا إن حزب الله نجح في استعادة هذا الشعار في حربه الأخيرة، فأصبح كل من ينتقد حزب الله هو عميل للصهيونية العالمية، بل أصبح كل من يدعو للتفكر في الأمر والتأمل فيه متهمًا بالجبن والاستسلام، لقد زعم "حسن نصر الله" في إحدى خطاباته أنه يحارب نيابة عن الأمة، وهو قول مغال منه يقصد به تكرار قولة "لا صوت يعلو فوق صوت المعركة" وجعل المعادلة من شقين إما مع حزب الله أو مع الصهاينة، وهو ما يذكرنا بمعادلة الرئيس الأمريكي جورج بوش "أما معنا أو ضدنا"، وإذا كان نصر الله يحارب نيابة عن الأمة فهل أخذ رأى الأمة قبل بدء الحرب أو قبل

إيقافه أم أنه لا يعترف سوى بالرأي الذي يأتيه من طهران حيث ولاية الفقيه، وحيث قال نصر الله قديمًا: "**إذا أردنا الآخرة فآخرتنا مع ولي أمرنا نائب الحجة (يقصد المهدي المنتظر) وأزيدكم إذا أردنا عز الدنيا وشرفها وكرامتها فلن ننالها إلا مع ولي الأمر حتى هذه المقاومة الكبيرة التي نعتني بها والتي هي الشيء الوحيد في هذا العالم العربي الذي نرفع رأسنا به ونعتز به وبوجوده لولا رجل اسمه روح الله الخميني لما كان لها وجود في لبنان، وبعده لولا رجل اسمه علي الحسيني الخامنئي لما استمرت المقاومة**".

ولعل هذا التصريح أبلغ دليل على العلاقة بين حزب الله وإيران، لذلك فلن نكون متجنيين إذا قلنا إن حرب لبنان الأخيرة كانت من أجل طهران، فإيران كان لديها ورقتان لتلعب بهما ورقة حزب الله وورقة الملف النووي، ويبدو أن إيران اختارت أن تضحى بورقة حزب الله حتى تحتفظ بالورقة الأخيرة.

ماذا ينتظر أهل السنة في لبنان؟:

في الختام يجب أن نتساءل، ماذا ينتظر أهل السنة في جنوب لبنان بعد تلك الحرب، فقد نقلت مواقع الإنترنت تصريح "سيد علي" أحد عناصر حزب الله لصحيفة الجارديان الذي توعد أهل السنة بعد الحرب، وقال في تصريحاته: "أن الصراع ليس فقط ضد إسرائيل و لكن أيضا ضد أهل السنة ... عندما تنتهي الحرب مع إسرائيل، ستبقى أمامنا عدة معارك لنخوضها في لبنان، الحرب الحقيقية ستبدأ بعد هذا المناوشات الحالية مع أولئك اللبنانيين الذين لم يقفوا معنا، حزب الله لديه أفضل جهاز استخبارات عسكري في هذا البلد، و أيدينا ستطال كل من صرّح ضدنا .. فلتتوقف هذه الحرب ثم سنبدأ في تصفية الحسابات".

ولا يظن البعض أن هذه تصريحات مجرد متطرف من حزب الله، فالواقع العملي قبل هذه الحرب يثبت ذلك، حيث اشتكى الدكتور محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان من ظلم وتجبر حزب الله في استيلائه على مساجد السنة، وقال الجودي بعد أن تكلم عن انتصارات حزب الله في عام ٢٠٠٠: "هذا الانتصار على ما يبدو دفع بعض شباب حزب الله لمحاولة السيطرة على مساجد أهل السنة والجماعة في الجنوب وفي جبل لبنان، فقد تكررت المحاولات .. وفي بلدة الجية يتعاون حزب الله مع حركة أمل، مع الشيخ عبد الأمير قبلان على اغتصاب أوقاف السنة، حيث اصدر المجلس الشيعي الأعلى قراراً بتأليف لجنة لأوقاف الشيعة في الجية ، ثم ادعت هذه اللجنة

على المديرية العامة للأوقاف الإسلامية السنية في بيروت بأنها صاحبة حق في أوقاف الجيـــة .."، هذا ما ينتظر أهل السنة في الجنوب ولعل لأجل ذلك اندلعت الحرب الأخيرة.

إسرائيل والهلال الشيعي .. ماذا بعد "الوهم الكاذب"؟:

بعد الضجيج الذي أثارته عملية "الوعد الصادق" وما تبعها من حرب بين حزب الله وإسرائيل، لا تزال تلك الحرب التي دامت ٣٤ يومًا تلقي بظلالها على الساحة السياسية العربية والإسلامية.

وبعيدًا عن الدوافع التي كانت وراء تلك الحرب والنتائج التي أسفرت عنها، إلا إنه ولا بد أن هذه الحرب في حقيقة الأمر لم يراد لها سوى أن تكون مقدمة لسلسلة من الأحداث السياسية الكفيلة بتغيير الخريطة السياسية اللبنانية وبتغيير قواعد اللعبة بين كافة الأطراف المشاركة فيها.

حرب طالت ٣٤ يومًا صاحبها من الأضواء الإعلامية ما كاد أن يفوق ما سبقها من حروب كانت أحد طرفيها "إسرائيل".

حرب طالت ٣٤ يومًا وخلفت ما خلفت من نتائج إلا إن المتأمل فيما يجرى يدرك أنها لم تكن حرب تحرير ولكنها حرب تحريك، فماذا حققت تلك الحرب للأطراف المشاركة من نتائج سياسية بعيدًا عن الحسابات العسكرية، هذا ما نحاول أن نجيب عنه، في ذلك المقال.

أي حرب تلك؟:

أول سؤال يطالعنا عند الحديث عن تلك الحرب هو تحت أية طائفة تندرج تلك الحرب؟، هل كانت حرب تحرير، أم حرب مقاومة، أم تراه لم تعدو كونها حرب تحريك الهدف من ورائها تغيير قواعد اللعبة.

في الحقيقة، إن المتابع لهذه الحرب منذ بدايتها مع عملية "الوعد الصادق" يدرك أنها كانت تهدف في المقام الأول إلى تغيير "قواعد اللعبة" كما صرح بذلك "حسن نصر الله" مرارًا، وفي لقاء له مع قناة الجزيرة ٢٠٠٦/٩/٢١م عقب تلك الحرب تحدث عن النصر الذي حققته تلك الحرب في رأيه فقال: "نصر استراتيجي بمعنى أن نتائج هذه الحرب هي نتائج إستراتيجية، التعديلات والتغييرات التي ستطرأ على إسرائيل ككيان، على لبنان، على الوضع الفلسطيني، على الوضع العربي، على وضع المنطقة ككل، الشرق الأوسط حتى على الوضع الدولي هي ليست تغييرات بسيطة أو متواضعة أو تفصيلية وإنما هي تغييرات وتحولات إستراتيجية".

وهذا التصريح يشير إلى أن الهدف من تلك الحرب ما ورائها من نتائج سياسية قــد لا ترتبط بما تحقق على أرض الواقع، وإذا أضفنا إلى هذا التصريح من نصــر الله تصــريحه الآخــر لفضائية "New TV" والذي أشار فيه إلى أن تلك الحرب هي آخر الحروب مع إسرائيل، فإننا ندرك أن تلك الحرب لم تكن حرب مقاومة فضلا عن أن تكون حرب تحرير، بل كانت حرب سياسية من المقام الأول الهدف من ورائها تغيير قواعد اللعبة المتعارف عليها بين الطرفين.

ويؤيد صحة هذا الاستنتاج تصريح الرئيس السوري بشار الأسد عقب وقف إطــلاق النار بين الجانبين، حيث قال: إن المعركة الحقيقية ابتدأت الآن وعلينا أن نحول النصر العســكري إلى نصر سياسي، وقال: إن المقاومة ليست نقيضا للسلام بل هي والسلام جزء واحد.

وبعدها بأيام قال الرئيس الإيراني أحمدي نجاد أثناء افتتاحه لمنشأة أراك لإنتاج الماء الثقيل: إن إيران لا تمثل تهديدا للدول الأجنبية ولا حتى لإسرائيل.

حرب من هي؟:

وإذا كانت تلك الحرب حرب تحريك لتغيير قواعد اللعبة، برز السؤال الأهم، لمن كانت تلك الحرب؟، هل كانت للأمة العربية والمسلمة؟، هل كانت للمستضعفين في الأرض؟، يجيبنــا "حسن نصر الله" عن هذا السؤال بتصريحه في حواره مع قناة الجزيرة حيث قال: **"الذي يقول أنا مع محور إيراني سوري، أنا لا استحي من التحالف، وهم يتحالفون ويستحون بتحالفاتهم، أنا على رأس السطح أقول أنا صديق لسوريا وحليف لسوريا وأتعاون مع سوريا ويوجد أمــور مشتركة بيننا وبينهم ..."**.

وهذا التصريح ينضم إلى دلائل كثيرة ليثبت أن العلاقة بين حزب الله وسوريا وإيــران ليست علاقة تحالف فحسب بل إنها تصل إلى درجة التبعية، ونستطيع أن ندرك ذلك جيدًا عندما نعلم أن حزب الله يؤمن بولاية الفقيه، والفقيه الذي يقصدونه هو ذاك القــابع في طهــران، وإن كان حزب الله يؤمن بولاية الفقيه وينسب انتصار المقاومة إلى الخميني ومن بعد الخامئني فما كان له أن يتحرك إلا بإشارة من طهران، وهو أمر صرح به حسين شريعتمداري أحد كبار مساعدي مرشد الجمهورية الإيرانية علي خامنئي ورئيس تحرير صحيفة كيهان حيث كتب في مطلع شهر أغسطس يقول: إن **حزب الله لا يقاتل من أجل السجناء ولا من أجل مزارع شبعا أو حــتى**

القضايا العربية أيا كانت في أي وقت، وإنما من أجل إيران في صراعها الحدودي لمنع الولايات المتحدة من إقامة شرق أوسط أمريكي.

فهذا تصريح كما كنا نود أن يرد عليه حسن نصر الله ورفاقه في لقاءاقم المتكررة التي ما فتئوا يزعمون فيها أن هذه الحرب حرب الأمة المسلمة وحرب المستضعفين في العالم.

وإذا أضفنا إلى هذا التصريح، تصريحات بشار الأسد عقب وقف إطلاق النار أدركنا أن هذه الحرب لم تكن إلا حرب تحريك قادها حزب الله لصالح أطراف أخرى ليس من بينها لبنان ولا الأمة المسلمة ولا الأمة العربية.

ماذا تحقق للحلفاء؟:

إذا كانت تلك الحرب من أجل تغيير قواعد اللعبة لصالح إيران وسوريا وحزب الله، فهل حققت تلك الأطراف ما تصبو إليه؟، يستطيع الناظر فيما يجرى على الساحة الدبلوماسية العالمية من تصريحات متبادلة بين أطراف الصراع وجود ملامح صفقة بين كافة الأطراف تحقق لكل طرف ما يريده، خاصة إذا أدركنا أن التصريحات المعلنة تكون دومًا أقل مما يجرى من خلف الكواليس.

فإذا بدأنا بإيران، نجد أن طهران نجت من العقوبات الدولية والتي كان موضوع لها موعدًا لمناقشتها هو ٣١ أغسطس غير أنه شهر مر حتى الآن ولم يحدث شيء بل تؤكد المؤشرات أن واشنطن تركت الملف الإيراني لحلفائها الأوروبيين والمعروف أنهم يفضلون حلا دبلوماسيًا على بقية الحلول.

وإذا تتبعنا التصريحات الصادرة من الجانبين (طهران وواشنطن) عقب تلك الحرب نستطيع أن نلمس هذا الاعتدال وخفة الحدة التي ميزت تصريحات الجانبين، فالرئيس الإيراني صاحب التصريحات المشهورة يؤكد أن بلاده لا تمثل تهديدًا لإسرائيل.

وبوش في خطابه أمام الأمم المتحدة يستخدم عبارات لينة عندما يتحدث عن إيران ويشير إلى أن أمريكا وإيران يمكنهما التحول إلى "صديقتين وشريكتين تعملان سوياً لتعزيز السلام"، بل ويؤكد بوش أن المسئولين الأمريكيين "لا يعارضون سعي إيران للحصول على برنامج سلمي حقاً للطاقة النووية"، ثم تكشف لنا صحيفة واشنطن تايمز يوم ٢٠٠٦/٩/٢٦ أن إيران تقترب من التوصل لاتفاق يتضمن تعليقا مؤقتا لتخصيب اليورانيوم ويمهد الطريق أمام

محادثات نووية لكن طهران تريد إبقاء الاتفاق سريا (**كما تذكر الصحيفة، ولنا أن نتساءل كم هي الاتفاقيات السرية بين طهران وواشنطن؟**).

أما على الصعيد السوري فمنذ انتهاء الحرب، وسوريا تتبادل مع إسرائيل التصريحات عن السلام، حتى ارتفعت الدعوات داخل إسرائيل باستغلال تلك الفرصة والبدء في مفاوضات سلام مع سوريا، ودعا وزير الدفاع الصهيوني إلى إبقاء الباب مفتوحًا أمام الدعوات السورية، هذا ما أعلن به الجانبان ولا ندرى ما يدرى خلف كواليس السياسة.

هل يكون رئيس الوزراء اللبناني القادم شيعيًا؟

أما إذا توجهنا إلى لبنان لنرى ما حققه حزب الله من وراء تلك الحرب، فأول ما نلاحظه أن الحزب صمت لقرابة شهر ما بين لقاء أمينه مع فضائية "New TV" وما بين مهرجان الاحتفال، ويبدو أن هذا الصمت كان لمنح الفرصة للحلفاء من أجل ضبط واقعهم والتوصل إلى اتفاق مع أمريكا وإسرائيل.

وإذا تابعنا خطاب "حسن نصر الله" في مهرجان الاحتفال رأينا ما يريده الحزب في المرحلة القادمة، والذي يتمثل في محورين اثنين هما:

١- الدعوة إلى حكومة وحدة وطنية:

حيث دعا نصر الله إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية معتبرا أن الحكومة الحالية لا تشكل حكومة حماية ولا حكومة إعادة إعمار ولا حكومة توحيد للبنان.

وهاجم نصر الله بشدة حكومة فؤاد السنيورة، وأكد أن حزبه سوف يعمل على تشكيل حكومة جديدة، قائلاً: إذاً بناء دولة عادلة قوية قادرة يبدأ أولاً من حكومة وحدة وطنية جديدة وأنا هنا لا أرفع شعاراً للاستهلاك فليسمعوني جيداً، أنا هنا لا أرفع الشعار للاستهلاك ولا لتضييع الوقت ولا استرضاء لحلفاء أو لأصدقاء هذا مشروع جدي الذي سنعمل له بكل قوة في المرحلة المقبلة والأمر الثاني في بناء الدولة العادلة القوية المقتدرة يبدأ من و ضع قانون للانتخاب منصف تشعر فيه كل الطوائف وكل التيارات السياسية بأنها أمامها فرصة واقعية للتمثيل الحقيقي ولا تشعر فيه أي طائفة أنها باتت تابعة لطائفة أخرى.

وكان نصر الله قد طالب في مقابلته مع الجزيرة بأن تضم حكومة المرحلة القادمة قوى سياسية لها وزنها في الشارع اللبناني، مثل التيار الوطني الحر بزعامة ميشال عون والنائب المسيحي السابق سليمان فرنجية.

وعلق حسين رحال المسئول الإعلامي بحزب الله على تلك التصريحات بقوله: نحن أصحاب مشروع بناء الدولة الحقيقية هذا أمر واضح من خلال كثير من تحركاتنا وأدائنا من خلال ورقة التفاهم الموجودة مع التيار الوطني الحر، دعونا بشكل واضح إلى مشروع بناء دولة واليوم سماحة السيد تحدث عن هذا الأمر بشكل واضح وبديهي، لم تُبنى دولة منذ العام ١٩٤٣.

والناظر في هذه التصريحات يدرك أن نقمة نصر الله ورفاقه منصبة على سنة لبنان وليس غيرهم، فنصر الله عند حديثه عن الدولة القوية لم يجرؤ مثلا على الدعوة إلى تغيير رئيس الدولة الماروني، كما أنه بالتأكيد ما كان ليدعو إلى تغيير رئيس البرلمان الشيعي، بل كان جل نقدها موجه تجاه الحكومة السنية والتي جاء بها صناديق الانتخاب و لم تأتي تعيينًا أو فرضًا من أحد.

فلماذا هذا الحنق الموجه ضد أهل السنة، ولماذا عندما أراد نصر الله أن يرشح أسماء لحكومته المقترحة لم يجد سوى أسماء مسيحية؟، أليس في هذه التصريحات والمواقف دافعًا للتساؤل: هل سيصبح فؤاد السنيورة آخر رئيس وزراء سني للبنان.

إن الناظر في حديث نصر الله عن الحكومة وعن قانون انتخاب جديد "لا تشعر فيه أي طائفة أنها باتت تابعة لطائفة أخرى" يدرك أن نصر الله إنما يقصد بذلك الطائفة السنية، ويبدو أن الشيعة الذين لم يرضوا عن اتفاق الطائف لأنه حجّم من طموحاتهم يرون أن الفرصة سانحة ليحققوا حلمهم في جعل لبنان دولة شيعية أو على الأقل يكون الصوت الأعلى فيها للشيعة، ولما لا ونصر الله يتحالف مع عون وفرنجية ليصنع بذلك خريطة سياسية جديدة للبنان يخرج منها أهل السنة.

٢- نزع سلاح حزب الله:

أكد نصر الله في خطابه رفضه لنزع سلاح حزبه، غير أنه قدم مبررًا جديدًا لهذا الأمر، فقد كان حديث حزب الله دومًا عن سلاحه باعتبار سلاح مقاومة وتحرير وفي لقاءات الحوار الوطني قبل "الوعد الصادق" كان مبرر نصر الله الرافض لنزع سلاح الحزب هو المقاومة والتحرير، غير أن نصر الله في حديثه مع "New TV" أشار إلى أن تلك الحرب هي آخر

الحروب مع إسرائيل، وبذلك أسقط مبرر الاحتفاظ بذلك السلاح، إلا إنــه خــرج علينــا في مهرجان الانتصار بمبرر جديد هو حماية لبنان، وهو مبرر يوسع من وجود حزب الله ومهامــه، فبعد أن كانت مهمته مقتصرة على المقاومة في الجنوب، صار يرى نفسه ملزمًا بحماية لبنــان في كافة أنحائها، يقول حسين رحال: ".. هذا السلاح له مسبباته وهي عدم وجود دولة قوية قادرة على حماية لبنان .. بما أن الدولة لا تقوم بأحد وظائفها المهمة تجاه شعبها وهي وظيفة الحمايــة فمن حق هذا الشعب أن يقوم بهذه المهمة وهذا أمر طبيعي وبديهي .. ".

وهذا التصريح يفقد الدولة أهم مقوم من مقوماته هو الاعتراف بشرعيتها، فحــزب الله لا يعترف بشرعية تلك الدولة ولا يعمل على تقوية تلك الشرعية، بل على النقيض من ذلك هو يعمل على نزع شرعيتها، كل ذلك من أجل أن يبرر حزب الله احتفاظه بالسلاح الذي ما عــاد له ضرورة بعد آخر الحروب مع إسرائيل.

أين إسرائيل من كل هذا؟:

أما موقع "إسرائيل" من كل هذه الحسابات، فمن الواضح أن إسرائيل ومــن ورائهــا أمريكا تدركان من واقع التجربة التاريخية والواقعية أن المشروع الشيعي الممتد من إيران إلى لبنان مارًا بسوريا يبقي أفضل كثيرًا من المشروع السني إن استطاع أن يوجد لنفسه موطئ قدم، لذلك رأينا ما جرى في العراق من اتفاقات بين طهران وواشنطن، وعلمنا بما خفي عنا مــن تفاهمــات نيسان بين حزب الله وإسرائيل، ويبقي "حزب الله" على الرغم من الوعد الصادق أكثر مرونــة واتزانًا من حماس وبقية حركات المقاومة الفلسطينية، ويكفيه (حزب الله) شهادة وزير الــدفاع الصهيوني له بعدم وجود أي مقاتل لحزب الله على الحدود بعد وقف إطلاق النار.

لذلك نستطيع أن نصف ما جرى فيما مضى وما يجرى فيما يستقبل، بأنه لقــاء بــين هلال شيعي وثقب أسود يدعى "إسرائيل"، وبين هذا الهلال وذاك الثقب ضاع القمر السني.

نظرات في خطابات نصر الله عقب وقف الحرب:

أثناء الحرب الفائتة ألقي حسن نصر الله عددًا من الخطب والتصريحات، وعقد العديد من اللقاءات، في إطار الترويج الإعلامي لهذه الحرب، ويعرف نصر الله ببلاغة أسلوبه وقوة تعابيره الأمر الذي قد يخدع الكثير من المسلمين الطيبين، لذلك اخترنا خطابين ألقاهما نصر الله عقب الحرب للتعليق عليهما، وبيان كيف أن نصر الله ورفاقه يخدعون المسلمين الطيبين.

ولا بد أن نشير هنا إلى اهتمام حزب الله بالعملية الإعلامية بشكل كبير، حتى اعتبره الكثير من المراقبين فائزًا في الحرب الإعلامية خاسرًا فيما سواها، "فالصورة المرسومة والمغروسة في أذهان الناس عن حزب الله لم يكن لها أن تنطبع بهذه الحدة والقوة لولا هذا الطابور الإعلامي الذي جنده الحزب خلفه؛ فمنهم المصور ومنهم المتحدث والخطيب، وفيهم الكاتب والصحفي، ومن جريدة إلى مجلة وصولاً إلى شبكة الإنترنت بعدة مواقع، ولا عجب أن الحزب قد استخدم حتى النائحة والثكلى في هذا الطابور الإعلامي لرسم صورة واضحة شفافة نقية لا تشوبها شائبة.

ولا شك أن الوسائل الإعلامية هذه تعمل في ترويج «كل» الحزب: عقائده، أفكاره، سياسته، أفراده، وفي غالب الأحيان يكون هذا الترويج مصحوباً بمساحيق وأدوات تجميل، فلا يظهر من الحزب وعقيدته وتوجهه إلا ما هو حسن أو «مُحَسّن»، كما سعى الحزب إلى غزو الوسائل الإعلامية العامة غير التابعة له، من محطات فضائية وصحف ومجلات ودوريات"[1].

يقول وضاح شرارة: "تتوسل الحركة الخمينية إلى الدعوة والتعبئة بنشاط إعلامي كثيف ومنظم، ويتناول النشاط هذا وجوهاً مختلفة تترجح بين أداء بعض الشعائر وبين نشر الخطب والأدعية والبيانات، فتحرص هيئة المسجد على ألا تخلو تظاهرة من "لطمة حسينية" تؤديها "فرقة لطيمة"، وتردد أناشيد جنائزية وحربية، ويحرص المسجد ــ بإمامه وهيئته ــ والحركة الإسلامية الخمينية من ورائهما، على أن تتصل التظاهرة بمأتم أو تأبين فالاحتفال الأبلغ، والأعمق وقعاً، والأقوى تعبئة واستنهاضاً، هو الاحتفال بدفن أحد القتلى، أو بذكرى أسبوعه، أو أربعينه، أو بالذكرى السنوية، ولا يغفل أصحاب الشأن أبداً عن مثل هذه الاحتفالات التي تمد القول والخطبة بمادة «المصائب» التي حض صاحب الحكومة الإسلامية الخميني على التوسل بها والكلام عليها، من غير كلل ولا ملل.

١- حقيقة المقاومة الأستاذ عبد المنعم شفيق، ١٥٣.

كذلك فهم لا يغفلون عن دعوة الصحف، والمصورين خاصة إلى مهرجاناهم وتآبينهم وعروضهم العسكرية أو المدنية، فإذا اعتدلت الصحف في نقل الوقائع وتصويرها، أو في تقدير عدد المشاركين، أصلتها الصحافة التابعة لحزب الله حرباً كلامية سليطة!!، فوصفتها بالإعلام اليزيدي المتلفز، لتجاهلها «المسيرات الحسينية المذهلة في ضخامتها والمرعبة للأعداء من حيث مدلولاتها».

وإذا كان تصوير "لطمة حسينية" في مقدم مأتم أمراً لا يرتب على المصورين خطراً، لا يخلو تصوير عملية على موقع عسكري، من الخطر، إلا أن حرص الخمينيين على الصورة والصوت الحيين، وتعويلهم على فعلهما، يحملانهم على تجشم الصعاب وركبها، فأشركت دعاوة «المقاومة الإسلامية» بعض العاملين في التصوير السينمائي في تصوير بعض مواقعها، وتولى أمينها العام الحالي، حسن نصر الله، القيام ببعض أعمال التصوير هذه.

ولعل الدور الذي اضطلعت به خطب خميني المسجلة على أشرطة، إبان الثورة الإيرانية، هو المثال الذي احتذاه أنصار الفقيه وتلامذته"[١].

نصر الله .. عندما يعترف

أكد الأمين عام لحزب الله 'حسن نصر الله' في مقابلة تليفزيونية مع فضائية " New TV" - أنه لو علم أن عملية خطف جنديين 'إسرائيليين' الشهر الماضي كانت ستؤدي إلى جولة العنف التي استمرت ٣٤ يومًا 'لما قمنا بها قطعًا'.

وصرّح 'نصر الله' أنه 'لا جولة ثانية من الحرب مع إسرائيل'، معتبرًا أن قيام حرب ثانية مع 'إسرائيل' 'يخدم إسرائيل بالدرجة الأولى'.

التعليق

طوال ٣٤ يومًا والمصلحون من أبناء أمتنا يجاهدون لتبيان الحقيقة وبذل النصيحة، ولا يلاقون إلا تهم الخيانة والعمالة وهم على ذلك صابرون، غير أنهم كانوا على يقين بأنه ما أن تضع الحزب أوزارها حتى تنكشف الحقائق أمام أعين الناس، وبدلاً من كثرة المقالات جاء "حسن

٢- وضاح شرارة دولة حزب الله ص ٢٤٠، نقلاً عن المصدر السابق.

نصر الله" ليقدم لنا حديثه عن الحرب بمثابة اعتراف يهدم كل خطبه الرنانة وتصريحاته النارية ليس طوال الأيام الماضية فحسب بل طوال السنوات الماضية كلها.

اعتراف تأخر طويلاً:

استهل "نصر الله" كلامه بالكشف عن جهل سياسي وعسكري سبق عملية "الوعد الصادق"، حيث قال "لم تتوقع ولو واحدا بالمائة أن عملية الأسر ستؤدي إلى حرب بهذه السعة وبهذا الحجم، لأنه وبتاريخ الحروب هذا لم يحصل.. لو علمت أن عملية الأسر كانت ستقود إلى هذه النتيجة لما قمنا بها قطعا"، وبالتأكيد فإن نصر الله أراد من هذا التصريح الظهور في صورة بطل يخشى على وطنه، غير أن تصريحه ذلك لم يكن سوى صفعة قوية للمهللين له والمدافعين عنه، أولئك الذين انتقدوا وصف "الوعد الصادق" بأنه مغامرة غير محسوبة، أولئك الذين رفضوا الحديث عن نوايا "حزب الله" وأغراضه الحقيقية من "الوعد الصادق"، ترى ماذا يقولون الآن؟، ترى هل يكذبون "نصر الله" فيما قال؟، هل يتهمونه بالخيانة لقضايا أمته؟، أم ترى يستمرون في غيهم ويصفقون لبطولة "نصر الله" المزعومة؟.

ولكن أية بطولة تلك وهو بهذا القدر من الجهل السياسي والعسكري؟، أية بطولة تلك وقد قدم لبنان لقمة سائغة لعدو متربص؟، أية بطولة تلك بعد دمار لبنان؟، حقيقة لم يحقق حزب الله سوى بطولة واحدة من وراء تلك المعركة، لقد نجح في استعادة ذكرى هزائم تاريخية يخرج منها المنهزمُ منتصرًا، لا لشيء إلا لأنه حافظ على قيادة حزبه وإن ضحى بلبنان في المقابل.

ولكن أليس لنا أن نتساءل: هل كان حزب الله يجهل حقًا حجم رد الفعل "الإسرائيلي" المتوقع، أما تراه كان يعلم وتعمد ذلك، كما أشار نصر الله إلى أنه كان يعلم بوجود مخطط لضرب حزب الله، فهل كان يعلم نصر الله وتعمد ذلك لتشمل الضربة لبنان كلها لا حزبه فحسب، ولتكون تلك الضربة كفيلة بإرباك أية مشاريع سياسية سنية تحاول أن تظهر في الخريطة السياسية اللبنانية.

أيًا كان الأمر، فقد قدم نصر الله في تصريحاته تلك هدية لكل من جاهدوا لإثبات أن "الوعد الصادق" لم يكن سوى "وهم كاذب".

وعد نصر الله:

يحمل تاريخ الصراع العربي – الإسرائيلي أسماء وعود كثيرة من أقدمها "وعد بلفور"، ونستطيع أن نقول أن من أحدثها "وعد نصر الله"، حيث شدد نصر الله على أنه "لا جولة ثانية من الحرب مع إسرائيل"؛ أهكذا تنتهي "آخر الحروب"، أهكذا تذهب هتافات "حزب الله يا حبيب دمر دمر تل أبيب" أدراج الرياح، أهكذا تنتهي الآمال والأحلام التي صنعها حزب الله بالتعاون مع جوقة من أجهزة الإعلام، أين ذهبت وعود حزب الله ومن ورائه راعيته طهران بتحرير القدس وتدمير إسرائيل؟.

غير أنه يجب علينا أن نشكر "نصر الله" لأنه ما فتئ يوفر علينا عناء التأكيد على أنه وحزبه لم يسعيان في يوم من الأيام من أجل تحرير فلسطين، حاول الكثيرون أن يثبتوا ذلك، وها هو الآن "نصر الله" ذاته يؤكد للجميع تلك الحقيقة، غير أنه بدلاً أن يكتفي بإخراج نفسه وحزبه من دائرة المقاومة، سعى إلى إدانة أية حرب مستقبلية لتحرير فلسطين، بزعمه أن أية حرب ثانية مع إسرائيل سوف تخدمها، أليس في ذلك اعتراف بإسرائيل؟.

ولنا أن نتساءل عن السر وراء اقتران وعد "نصر الله" مع تأكيد الرئيس الإيراني "أحمدي نجاد" على أن بلاده لا تمثل تهديدًا لإسرائيل، فلم يفصل بين التصريحين سوى يوم واحد، ألا يشير ذلك إلى صفقة إسرائيلية إيرانية ترتب في الخفاء؟.

محاولة يائسة لاسترداد شعبية مفقودة:

حاول "نصر الله" استرداد شعبية حزبه المفقودة، فزعم أنه لم يرغب في المشاركة بجلسة الحوار الوطني لأنه مستهدف ويخشى على المشاركين في هذا الحوار، ولكن ألا تكن تلك محاولة من نصر الله للهروب من المحاسبة والمساءلة التي تنتظره في جلسة الحوار الوطني؟، أليست تلك محاولة أخرى لإظهار نفسه في صورة البطل الذي يخشى على الآخرين؟، ألم يعد "نصر الله" جنبلاط وغيره بعدم القيام بأي فعل قبل عملية "الوعد الصادق" ثم نكث وعده؟، فلماذا لا يهرب "نصر الله" منهم اليوم، ولماذا لا يظهر في صورة البطل؟، لماذا لا يفعل ذلك وهو يعلم أن من ورائه فضائيات سوف تصفق لبطولته الموهومة، وتغنى لشجاعته المعدومة؟

بين مقاومة السنة ومقاومة الشيعة:

وفي الختام يجب علينا أن نشكر "نصر الله" مرة أخرى، لأنه قدم لنا الفرق الواضح بين مقاومة السنة، ومقاومة الشيعة، حيث قال: "القيادات المعروفة من الحزب بألف خير، كذلك

الكادر السياسي التنفيذي، التنظيمي والإعلامي والقيادات الأمنية، فعلى المستويين التنظيمي الأول والثاني لا شهداء .."، وهذا هو الفرق قادة السنة لا يتأخرون عن التضحية بحياتهم من أجل أمتهم، أما قادة الشيعة فيقدمون صغارهم قبل كبارهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، ففي فلسطين لا تسل عما قدمت حماس والجهاد من قادة وزعماء، وفي الشيشان في أشهر معدودة يسقط كبار القادة والرؤساء شهداء، وفي أفغانستان ضحت طالبان بالمنصب والحكم من أجل الحفاظ على البلاد والعباد، الأمثلة كثيرة في صفوف السنة، ولكن أين أمثلة الشيعة، لن تجد، هذا هو الفرق بين مقاومة سنية في سبيل الله، ومقاومة شيعية في سبيل السياسة.

لمن تصقل سيفك يا نصر الله؟

في مهرجان عقده حزب الله بمناسبة أكد الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله أن المقاومة تملك أكثر من عشرين ألف صاروخ وأن حزبه أقوى حاليا من منه في السابق مشددا على أن لبنان صار عبر جمهور المقاومة "قوة عظمى في الشرق الأوسط".

وقال خلال احتفال بمناسبة "النصر الإلهي" في ضاحية بيروت الجنوبية إن المقاومة "وهي خارجة من حرب ضروس استعادت كامل قوēا وراكمت عزما جديدا"، مشددا على أنها "أقوى مما كانت عليه عشية ١٢ يوليو وأنها قدمت نموذجا للتحرير والصمود الأسطوري".

تعليق:

مرة أخرى يأبي "حسن نصر الله" إلا أن يدفعنا للحديث عنه.

مرة أخرى يطل علينا "حسن نصر الله" ليستعيد عقودًا من الخطب الرنانة والتصريحات الطنانة التي ما فتئت الأمة المسلمة تسمعها ليلاً ونهارًا، غير أنه إذا ما تلفتت لم تر طحينًا.

مرة أخرى يراهن "حسن نصر الله" على ذاكرة الشعوب الضعيفة، وعلى عواطف المسلمين المستعرة ليمحو اعترافاته التي لم يمر عليها شهر.

"نصر الله":

أول ما يطالعنا في مهرجان "نصر الله" حديثه عن "النصر الإلهي" الذي تحقق في حربه الأخيرة مع "إسرائيل"، ويبدو أن "نصر الله" لم يكفيه الحديث نيابة عن أهل الأرض، فأراد أن يتحدث نيابة عن "أهل السماء"، ترى هل رأى "نصر الله" الملائكة وهي تقاتل بجانبه عندما كان مختبئًا في قصر "إميل لحود" كما قال البعض أو في السفارة الإيرانية كما قال آخرون.

"الصمود الأسطوري":

بعد أن تحدث "نصر الله" نيابة عن "أهل السماء"، عاد وارتدى زى زعماء ما فتئوا يحدثون الأمة عن انتصاراتهم الأسطورية وبطولاتهم الخارقة، والتي ما أن تمر الأيام حتى ينقشع الغبار ونرى أن مطية الأمة لم تكن سوى حمار هزيل جبان.

عاد "نصر الله" ليتحدث عن "نموذج التحرير"، ولكن أي تحرير يا نصر الله؟، هل حررت الجنوب اللبناني من الوجود "الإسرائيلي"، أم أنك حررت الجنوب اللبناني بوجود أجنبي جديد؟.

أي تحرير ذلك يا نصر الله ودبابات فرنسا وألمانيا واليونفيل تخطو على أرض لبنان، ولا تكلف نفسك سوى أن تطالبها بعدم التدخل في الشأن اللبناني، أي شأن لبناني لا تتدخل فيه، وقد أدخلتها وأقامتها في لبنان؟.

أي تحرير ذلك يا نصر الله، وقد تحدثت التقارير عن نقلك لمقار قيادة حزب الله من الجنوب اللبناني إلى منطقة البقاع، فأي تحرير ذلك يا نصر الله.

لقد سئمنا يا نصر الله تلك البطولات الأسطورية، وهي أسطورية بحق فلا يقبلها عقل، لا يقبل عقل أن يمر "البطل" بين أشلاء شعبه وبقايا وطنه ويصر مع ذلك على رفع علامة النصر.

لمن تصقل سيفك يا نصر الله:

يجد "حسن نصر الله" الفرصة سانحة للحديث مجددًا عن سلاح حزبه، ذلك السلاح الذي ما عاد يستخدم في ميدان المعارك، ولكن يستخدم في ميدان الخطب فقط.

لقد قال نصر الله إن حزبه يملك عشرين ألف صاروخ، ولنا أن نعيد السؤال الذي سألناه من قبل لماذا لم يستخدم حزب الله هذه الصواريخ؟، وأي نصر حققه حزب الله إذا كان عاجزًا عن استخدام أسلحته وصواريخه؟.

لنا أن نتساءل لمن هذه الصواريخ يا نصر الله وقد قلت في خطابك الماضي أنك لن تخوض حربًا أخرى مع "إسرائيل"، معتبرًا أن من يفكر في ذلك فهو يخدم "إسرائيل".

لمن هذه الصواريخ يا نصر الله؟.

"لمن تصقل سيفك يا عباس؟

لوقت الشدة

إذا، اصقل سيفك يا عباس"[١].

إن حديث "نصر الله" عن صواريخ حزبه، يعيد لنا التذكير مرة أخرى بالفارق بين مقاومة السنة ومقاومة الشيعة، فالمقاومة الفلسطينية على ضعفها لم تتوان عن ضرب "إسرائيل" بالصواريخ ليل نهار رغم ما عرض عليها لإيقاف هذه الصواريخ، والمقاومة الشيعية في لبنان لم تتوان عن تكويم تلك الصواريخ و لم تستخدمها إلا في ميدان السياسة، فشتان بين من يقاتل من أجل التحرير وبين من يقاتل من أجل صفقات السياسة وألاعيبها.

١- من قصيدة للشاعر أحمد مطر.

الحرب الأهلية:

وقال نصر الله في خطابه إن حربًا أهلية جديدة لن تشهدها لبنان، وقد صدق نصر الله، وذلك لأن الحروب الأهلية لا تندلع إلا بين جهتين متساويتين في القوة ومختلفتين في المصلحة، وقد اجتمع المشروعان الشيعي والأمريكي على إجهاض القوى السنية في لبنان حتى صار سنة لبنان ما بين قوى مهيضة الجناح، وما بين قوى مرتبطة بمشروع أمريكي، وصفا الجو أمام الشيعة ليجعلوا من لبنان "قوة عظمى في الشرق الأوسط"، ولكن لصالح المشروع الإيراني.

خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري

فلسطين بين "نصر الله" و"صلاح الدين"

في ظل الأحداث المتصاعدة التي تشهدها لبنان، تعلقت قلوب بعض المسلمين بحزب الله، وانهالت بعض وسائل الإعلام في إسباغ المديح والثناء على الأمين العام لحزب الله "حسن نصر الله" حتى وصفه البعض بأنه "صلاح الدين" الأمة، وبعيدًا عن التحليلات السياسية، نود أن نتساءل هل حقا يرقى "حسن نصر الله" أن يكون مثل "صلاح الدين الأيوبي"؟، والإجابة عن هذا السؤال تدور حول محورين؛ الأول: بيان موقف الشيعة قديمًا وحديثُا من صلاح الدين الأيوبي، والثاني: بيان ما قدمه كل منهما لفلسطين.

موقف الشيعة من صلاح الدين قديمًا وحديثًا:

ظهر "صلاح الدين الأيوبي" في عهد كثرت فيه دول الشيعة واستعلنت بقوتها، ومن أبرز تلك الدول الشيعية والتي احتك بها "صلاح الدين الأيوبي" الدولة الفاطمية[1] العبيدية في مصر، ولما ضعفت دولتهم في أيام آخر خلفائهم العاضد وصارت الأمور إلى الوزراء، وتنافس شاور وضرغام، فكر شاور في أن يثبت ملكه ويقوي نفوذه، فاستعان بنور الدين محمود؛ فأعانه ولما خلا له الجو لم يف له بما وعد، بل أرسل إلى أملريك ملك الفرنجة في بيت المقدس يستمده، ويخوفه من نور الدين محمود إن ملك الديار المصرية، فسارع إلى إجابة طلبه، وأرسل له حملة أرغمت نور الدين على العودة بجيشه إلى الشام، ولكن سرعان ما عاود نور الدين المحاولة في عام ٥٦٢هـ، فاستنجد شاور بالفرنجة مرة ثانية وكاتبهم، وجاءت جيوشهم خشية أن يستولي نور الدين على مصر ويضمها إلى بلاد الشام فيهدد مركزهم في بيت المقدس.

ولما وصلت عساكر الفرنجة إلى مصر انضمت جيوش شاور والمصريين إليها والتقت بجيوش نور الدين بمكان يعرف بالبابين (قرب المنيا) فكان النصر حليف عسكر نور الدين محمود، ثم سار بعدها إلى الإسكندرية، وكانت الجيوش الصليبية تحاصرها من البحر وجيوش شاور وفرنجة بيت المقدس من البر، ولم يكن لدى صلاح الدين — القائد من قبل نور الدين — من الجند

١- يثني الشيعة المعاصرون على الدولة الفاطمية، ويعتبروها عصرًا ذهبيًا بالنسبة لهم، يقول محمد جواد مغنية: "وإذا لم يكن الفاطميون على المذهب الاثني عشري فإن هذا المذهب قد اشتد أزره ووجد منطلقاً في عهدهم فقد عظم نفوذه ونشط دعاته... ذلك أن الاثني عشرية والإسماعيلية وإن اختلفوا من جهات، فإنهم يلتقون في هذه الشعائر بخاصة في تدريس علوم آل البيت والتفقه بها وحمل الناس عليها [الشيعة في الميزان: ص ١٦٣].

ما يمكنه من رفع الحصار عنها، فاستنجد بأسد الدين شيركوه فســارع إلى نجدتــه، و لم يلبــث الفرنجة وشيعة شاور إلى أن طلبوا الصلح من صلاح الدين فأجابهم إليه شريطة ألا يقيم الفرنجة في البلاد المصرية، غير أن الفرنجة لم تغادر مصر عملاً بهذا الصلح بل عقدت مع شاور معاهدة كان من أهم شروطها وجود حامية صليبية بالقاهرة، وتكون أبوابها بيد فرسانهم، وما أن ذهب الفرنجة في هذا العام حتى عادوا مرة أخرى عام ٥٦٤هـــ، حتى دخل صلاح الدين الأيوبي مصر ونجـــح بعد سنوات من إنهاء الدولة الفاطمية الشيعية، غير أن هذا الأمر لم يرض فلول النظام الشيعي في مصر الذين حاولوا اغتيال "صلاح الدين" أكثر من مرة و لم يجدوا حرجًا في الاستعانة بالصــليبين للقضاء على "صلاح الدين"، ونذكر هنا بعضًا من تلك المحاولات.

- كانت أولى هذه المؤامرات في عام ٥٦٤ هـــ عندما شغل "صـــلاح الـــدين" منصب الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد، وكان يقود هذه المـــؤامرة مـــؤتمن الخليفـــة العاضـــد (المسئول الأول في القصر) واعتمدت الخطة على قدوم الصليبين لغزو دميـــاط وإذا مـــا خـــرج "صلاح الدين" لمقاتلتهم انقلب عليه مؤتمن الخليفة ومن معه من بقايا الشيعة، غـــير أن الله ســـلم وانكشفت هذه المؤامرة[١].

- ثانية هذه المحاولات كانت في عام ٥٦٩ هـــ بعد وفاة العاضد حيث تجمعـــت مجموعة من بقايا الشيعة ووضعوا خطة مماثلة للخطة الأولى عبر الاستعانة بالصليبيين، غير أن هذه الخطة فشلت كسابقتها، يقول المقريزي: "وفيها اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجـــل من أولاد العاضد، وأن يفتكوا بصلاح الدين، وكاتبوا الفرنج، منهم القاضي المفضل ضياء الدين نصر الله بن عبد الله بن كامل القاضي، والشريف الجليس ، ونجاح الحمامي، والفقيه عمارة بـــن علي اليماني، وعبد الصمد الكاتب ، والقاضي الأعز سلامة العوريس متولي ديـــوان النظـــر ثم القضاء، وداعي الدعاة عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى والواعظ زين الدين بن نجا، فوشى ابن نجا بخبرهم إلى السلطان .. فأحيط بم وشنقوا في يوم السبت ثـــاني شـــهر رمضـــان بـــين القصرين"[٢].

١- راجع في تفاصيل هذه المحاولة الكامل (١٠٣/٩)، والبداية والنهاية (٢٥٧/١٢).

٢- السلوك لمعرفة دول الملوك (٥٠/١-٥١)، وراجع الكامل (١٢٣/٩).

- وشهد عام ٥٧٠ هـ المحاولة الثالثة والتي قادها أحد قادة الشيعة من أجل القضاء على صلاح الدين وإزالة الحكم السني، يقول المقريزي: "وفيها جمع كتر الدولة والي أسوان العرب والسودان وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة الفاطمية، وأنفق في جموعه أموالاً جزيلة، وانضم إليه جماعة ممن يهوى هواهم، فقتل عدة من أمراء صلاح الدين، وخرج في قرية طود رجل يعرف بعباس بن شادي، وأخذ بلاد قوص، وانتهب أموالها؛ فجهز السلطان صلاح الدين أخاه الملك العادل في جيش كثيف ومعه الخطير مهذب بن مماتي فسار وأوقع بشادي وبدد جموعه وقتله؛ ثم سار فلقيه كتر الدولة بناحية طود، وكانت بينهما حروب فر منها كتر الدولة بعد ما قتل أكثر عسكره، ثم قتل كتر الدولة في سابع صفر، وقدم العادل إلى القاهرة "[1].

- وفي سنة ٥٧١هـ، كانت محاولة أخرى لاغتيال صلاح الدين الأيوبي أثناء حصاره لحصن عزاز، يقول المقريزي: "وفي سنة ٥٧١هـ في رابع عشر ذي الحجة، وثب عدة من الإسماعيلية على السلطان صلاح الدين فظفر بهم بعدما جرحوا عدة أمراء والخواص .."[2]

- وقد تكررت هذه المحاولة مرة أخرى أثناء حصار السلطان صلاح الدين الأيوبي لحلب[3].

- "وفي سنة ٥٨٤هـ بعد تحرير المسجد الأقصى من أيدي الصليبين "ثار اثنا عشر رجلاً من الشيعة في الليل ينادون: يال علي! يال علي! وسلكوا الدروب وهم ينادون كذلك ظنًا منهم أن رعية البلد يلبون دعوتهم، ويقومون في إعادة الدولة الفاطمية فيخرجون من في الحبوس ويملكون البلد فلما لم يجبهم أحد تفرقوا"[4] .

هذه بعض المحاولات التي قام بها الشيعة في القديم للقضاء على صلاح الدين الأيوبي، أما شيعة اليوم فإنهم وإن فشلوا في اغتيال "صلاح الدين" جسديًا، فإنهم يسعون إلى تشويه تاريخه واغتياله معنويًا، فما من نقيصة إلا وألحقوها بصلاح الدين، وأوضح مثال على ذلك كتاب

٣- السلوك لمعرفة دولة الملوك (١/٥٧، ٥٨).

٤- السلوك لمعرفة دول الملوك (١/٦١).

٥- راجع في تفاصيل محاولتي اغتيال صلاح الدين على أيدي الحشاشين في حلب وعزاز الروضتين في أخبار الدولتين الجزء الأول، القسم الثاني، ص ٦٥٩-٦٦١.

٦- السلوك لمعرفة دول الملوك (١/١٠١).

"**صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين)** لحسن الأمين[١] أحد مؤرخي الشيعة ومنظري حزب الله في لبنان.

والقارئ لهذا الكتاب المذكور يخرج منه بالنتائج التالية عن "صلاح الدين الأيوبي":

- جميع من ترجم لصلاح الدين وأشاد بأعماله وأخلاقه إنما خدرتهم انتصاراته.
- صلاح الدين الأيوبي طالب للسلطة والملك، وقد حازهما بكل خسة ونذالة، وطامح لمجد شخصي ناله بالغدر والخيانة.
- صلاح الدين الأيوبي خائن ومستسلم.
- صلاح الدين الأيوبي متعطش للدماء ونهاب للأموال.
- صلاح الدين الأيوبي رجل سكير ومدمن للخمر.
- والأخطر أن صلاح الدين الأيوبي كان ميالاً للنصرانية واليهودية.

إلى غير ذلك من الدعاوى الباطلة[٢] التي اعتمد المؤلف في ذكرها على مصادر غربية أو يهودية أو شيعية أو روايات مرسلة لا سند لها، فضلاً عن منهجه في لي الحقائق وطمس الواضحات وتضخيم الصغائر ولا أدل على منهجه الفاسد من أن نعلم أن هذا المؤلف ذاته ذهب في كتابه "موسوعة المعارف الإسلامية الشيعية" إلى إنكار وجود بنات آخريات لرسول الله صلى الله عليه وسلم سوى فاطمة رضي الله عنها وما ذلك إلا لدعم فكرة الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية.

ويدافع المرجع الشيعي العراقي "ناصر الأسدي" عن كتاب "حسن الأمين" زاعمًا أنه لم يأت بشيء من عنده إنما هي المصادر والوقائع التاريخية، الأمر الذي يؤكد أن هذا الموقف من صلاح الدين الأيوبي ليس موقفًا منفردًا، بل هو موقف جماعي لدى الشيعة.

١- حسن الأمين هو نجل أحد "محسن الأمين" مراجع الشيعة المعاصرين، وقد توفى حسن الأمين في عام ١٤٢٣ هـ ونعاه مرشد الثورة الإيرانية "على الخامئني" وشارك قادة حزب الله في تشييع جنازته، وقال الخامئني في نعيه للأمين: "إن البحوث العلمية والآثار القيمة التي خلفها السيد الأمين في المجالات المختلفة والتاريخ الإسلامي خاصة وأهل البيت عليهم السلام تشكل صفحات ذهبية أخري لمفاخر جبل عامل"، وبالتأكيد فإن من بين هذه الأبحاث العلمية "الذهبية" كتابه المذكور عن صلاح الدين الأيوبي.

٢- رد الدكتور "شاكر مصطفى" على هذا الكتاب ردًا ماتعًا في كتابه "صلاح الدين الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى عليه" طبعة دار القلم.

ونرى كاتبًا آخر من كتاب الشيعة، وهو الشيعي المصري "صالح الورداني" يعتبر صلاح الدين الأيوبي " هو واحد من أولئك الذين غطت السيوف على انحرافاتهم وحجبت عن أعيننا مساوئهم وغمرت بالدماء التي أسالتها جسد الحقيقة"[١]، ثم يفيض في السب والهجاء لصلاح الدين الأيوبي حتى يصوره لنا مجرمًا سفاكًا لدماء المسلمين متساهلاً مع اليهود والنصارى، محاربًا للعلم والعلماء.

وهكذا نرى أن الشيعة المعاصرين لم يبقوا شيئًا لصلاح الدين الأيوبي حتى أنهم شككوا في إسلامه وألمحوا إلى ردته، وليس ذلك بمستغرب على من تطاول على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أمهات المؤمنين.

ماذا قدمه الشيعة لفلسطين؟:

ما قدمه "صلاح الدين الأيوبي" لفلسطين أمر لا ينكره إلا جاهل أو مكابر، وما كنا نتصور أن يأتي يوم ندافع فيه عن "صلاح الدين" ذلك البطل الذي صار رمز الأمة غير أن سعى الشيعة الدؤوب لهدم رموز الأمة لم يترك لأحد مقالاً، غير أنه بدلاً من الدفاع عن "صلاح الدين" نتساءل ما قدمه الشيعة لفلسطين، لقد سقطت فلسطين إبان وجود الدولة الفاطمية في مصر وكانت أقوى دولة موجودة في ذلك الوقت على الساحة العربية، فماذا فعلت لفلسطين.

ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في حوادث عام ٤٩١هـ أنه لما بدأ الصليبيون في التوجه نحو بيت المقدس، ولما رأى "أصحاب مصر من العلويين قوة الدولة السلجوقية، وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم، خافوا، وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين المسلمين"[٢].

هكذا كان موقف الفاطميين الاتفاق على تسليم بلاد المسلمين للصليبيين[٣]، غير أنه لما سقطت بيت المقدس في أيدي الصليبين وما تبع ذلك من دوى هائل في الشعوب المسلمة، كان لابد من الدولة الفاطمية من عمل تحفظ به ماء وجهها، وقد كان، حيث يذكر ابن الأثير في

٣- الشيعة في مصر ص ٥٣.

١- الكامل في التاريخ (١٨٦/٨).

٢- وفي العصر الحديث وجدنا طهران زعيمة التشيع في العالم تساعد أمريكا في احتلال أفغانستان والعراق، وهو ما اعترف به مراجعهم ولم يجدوا حرجًا في ذكره والتفاخر به.

حوادث عام ٤٩٢ هـ "في هذه السنة، في رمضان، كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج، وسببها أن المصريين لما بلغهم ما تم على أهل القدس، جمع الأفضل أمير الجيوش العساكر، وحشد، وسار إلى عسقلان، وأرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا، ويتهددهم، – شجب واستنكار ولا مزيد – فأعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على أثره، وطلعوا على المصريين، عقيب وصول الرسول، ولم يكن عند المصريين خبر من وصولهم، ولا من حركتهم، ولم يكونوا على أهبة القتال، فنادوا إلى ركوب خيولهم، ولبسوا أسلحتهم، وأعجلهم الفرنج، فهزموهم، وقتلوا منهم من قتل .."[١]، وهكذا نرى أن ما فعله الفاطميون لا يعدو الاستعراض الإعلامي لذلك لم يعدوا للأمر عدته ولم يستعدوا لهذه الحرب استعداد من يرغب في التحرير والنصر، لذلك لم يكن غريبًا أن تتسع الإمارات الصليبية في بلاد الشام على الرغم من قرب الدولة الفاطمية وقوتها في ذلك الوقت؛ يقول ابن كثير في البداية والنهاية: "وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالا، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بأكمله، حتى أخذوا القدس ونابلس، وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وأنطاكية، وجميع ما والي ذلك إلى بلاد إياس وسيس واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين... وبلاد شتى، وقتلوا من المسلمين خلقًا وأممًا لا يحصيهم إلا الله، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها، وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف...

وحين زالت أيامهم – يعني الفاطميين – وانتقض إبرامهم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته"[٢] .

٣- الكامل (١٩١/٨).

١- البداية والنهاية (٢٦٧/١٢).

وقد أشرنا في المحور الأول إلى محاولات الفاطميين الاستعانة بالصليبيين للقضاء على صلاح الدين الأيوبي والذي كان يعمل في ذلك الوقت على توحيد الجبهة المسلمة من أجل تحرير فلسطين.

أما في العصر الحديث فإن ما قدمه الشيعة لفلسطين فلا يزيد عن تلك الخطب الرنانة والتصريحات سواء من طهران أو جبل عامل أما على أرض الواقع فالحقائق تنطق بغير ذلك، ودلائل ذلك كثيرة نحصرها فيما يلي:

- في عام ١٩٨٢ ومع الاجتياح الإسرائيلي للبنان يعلم الجميع أن حركة أمل الشيعية تعاونت مع اليهود في القضاء على منظمة فتح الفلسطينية، وعن ذلك قالت صحيفة (الجروزاليم بوست) في عدد لها بتاريخ ١٩٨٥/٥/٢٣: " **إنه لا ينبغي تجاهل تلاقي مصالح أمل وإسرائيل، التي تقوم على أساس الرغبة المشتركة في الحفاظ على منطقة جنوب لبنان وجعلها منطقة آمنة خالية من أي هجمات ضد إسرائيل..**".

- وفي مذكراته اعترف "أرييل شارون" قائلاً: "**ومن دون الدخول في أي تفاصيل، لم أرَ يوماً في الشيعة أعداء إسرائيل على المدى البعيد**" (مذكرات أرييل شارون ص : ٥٨٣-٥٨٤).

- وبعد عام ١٩٨٢ ونشوء "حزب الله" لم نسمع عن عملية عسكرية واحدة نفذها تلك الحركة في فلسطين بل كانت جل عملياتها تدور على أرض لبنان.

- وبعد الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان في عام ٢٠٠٠ عمل "حزب الله" كما شهد بذلك أمينه الأول "صبحي الطفيلي" حارس حدود لحماية إسرائيل من أية هجمات تأتي من جهات غير منضبطة، ولا تتحرك وفقًا لقواعد اللعبة بين الطرفين، يقول الطفيلي في حواره مع الشرق الأوسط: "**إن العمليات الفولكلورية التي تحصل بين حين وآخر لا جدوى منها لأن الإسرائيلي مرتاح، وهل هناك فرق بين الإسرائيلي في مزارع شبعا والإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة؟، هذا اعتراف بالاحتلال .. وما يؤلمني أن المقاومة التي عاهدني شبابها على الموت في سبيل تحرير الأراضي العربية المحتلة، تقف الآن حارس حدود للمستوطنات الإسرائيلية، ومن يحاول القيام بأي عمل ضد الإسرائيليين يلقون القبض عليه ويسام أنواع التعذيب في السجون**".

– ويقول سلطان أبو العينين وهو أمين سر حركة فتح في لبنان :' لقد أحبط حزب الله أربع عمليات للفلسطينيين خلال أسبوع ، وقدمهم للمحاكمة ، إننا نعيش في جحيم منذ ثلاث سنوات ومللنا الشعارات والجعجعة'.

– وقبل الوعد الصادق بأيام، اعتبرت هأرتز الإسرائيلية حزب الله حزبًا منضبطًا لا يتحرك إلا وفق قواعد للعبة، وهو يبدو ما لم يتغير حتى بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان.

– وحتى عملية "الوعد الصادق" التي اندلعت بسببها الحرب الدائرة الآن في جنوب لبنان فيكاد يجمع المراقبون أنها لم تكن لفلسطين بل كانت من أجل قواعد جديدة للعبة بين حزب الله وإسرائيل، بل إن هذه العملية ما أعقبها من أحداث عتمت تمامًا على ما يجرى في فلسطين حتى أفقدت عملية "الوهم المبدد" بريقها والهدف منها، كما أشارت إلى ذلك تصريحات حماس التي طالبت بالتوازن الإعلامي بين ما يجرى في فلسطين ولبنان.

– وإذا كان هناك من يرى في "نصر الله" صلاح الدين الجديد، فلنا أن نتساءل ما الذي ينتظره "نصر الله" حتى يضرب "تل أبيب" وقد استباحت إسرائيل لبنان كلها من شمالها إلى جنوبها، وهل ما يتردد عن امتناع حزب الله عن ضرب تل أبيب وضرب الكيمياويات في حيفا إنما هو خضوعًا لأوامر إيرانية بعدم تخطى هذا الحاجز، وإلا فما الذي ينتظره حزب الله، ونكاد نجزم أن إسرائيل لم تقدم على مذبحة قانا الثانية هي وتعلم أنها في أمان من صواريخ حزب الله.

هذا ما قدمه الشيعة لفلسطين، وهذا موقف الشيعة من صلاح الدين، فكيف يوصف "نصر الله" بهذا البطل المجاهد "صلاح الدين الأيوبي" رحمه الله، بل إننا نؤكد أنه لن يحرر فلسطين من يطعن في صلاح الدين ويسب عمر أمير المؤمنين.

الموقف الشرعي مما جرى

بعد أن وقفنا على الدوافع والخلفية السياسة لما جرى في لبنان من حرب بين حزب الله وإسرائيل، يرد هنا تساؤل هام ما هو الموقف الشرعي مما جرى، وهل لنا أن نؤيد حزب الله في حربه مع الصهاينة؟، أم نقف على الحياد؟.

وقبل الإجابة على هذا السؤال يجب أن نؤكد أننا نؤمن بأن "إسرائيل" ليست إلا كياناً صهيونياً دخيلاً في منطقتنا العربية والإسلامية، وهذا الدخيل ينبغي أن يقاوَم بكل السبل الممكنة، حتى تحرير فلسطين العربية المسلمة.

وهذا الكيان الصهيوني، ليس إلا خليةً سرطانيةً زرعها الغرب في قلب العالَم العربي والإسلامي، لتحقيق أهدافه في استمرار التجزئة والفرقة والتشتّت والاحتقان، والحيلولة دون بروز دولةٍ موحَّدةٍ قويةٍ حضاريةٍ مدنيةٍ ذات مرجعيةٍ إسلامية.

ونؤكد كذلك أن كل ما يصيب الكيان الصهيوني من مصائب، وكل ما ينال جنودَه المغتَصِبين من أذىً وسوء، كل ذلك يُفرِحنا ويُرضينا، وإن أي ضرر يلحق باليهود في رجاله وعتاده يفرحنا بلا شك، لكنه لا يغرنا وينسينا ثوابتنا، وننساق مع عواطفنا لنقول: إن من يضرب اليهود فهو أخونا ولينا، بل نفرق بين من يجاهد في سبيل الله تعالى ويريد نشر التوحيد والسنة كإخواننا المجاهدين في فلسطين فهذا نتولاه ونفرح بنصره، وأما من كان على غير التوحيد وعنده أهداف مبيتة، فلا نتولاه ولا ننصره، وإن كنا نفرح بضربه للعدو حتى يضعف، كما نفرح بضرب العدو له حتى لا يتمكن وينشر الشرك والرفض في الأرض، ولسان حالنا يقول: اللهم أهلك الظالمين بالظالمين وأخرج الموحدين من بينهم سالمين، وإذا قلنا: إننا نفرح بضرب العدو للرافضة؛ فإننا نقصد رموزهم ومواقعهم ولا نقصد العامة من المسلمين من الأطفال والنساء والأبرياء، فإن هذا يحزننا ولا يفرحنا؛ ولقد اتخذنا تلك القناعة بناء على عدة نقاط نجملها فيما يلي:

١- قواعد شرعية في فهم الأحداث السياسية:

نقدم لحديثنا عن الأسباب التي دفعتنا للاتخاذ هذا الموقع الشرعي من حزب الله بعدد من القواعد الشرعية التي نراها مفيدة في تحديد الموقف الشرعي الملائم من حزب الله وحروبه.

مسجد الضرار .. والنظرة التحليلية الشمولية:

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨].

يقول ابن كثير في تفسيره: "سبب نزول هذه الآيات الكريمات؛ أنه كان بالمدينة قبل مَقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها رجل من الخزرج يقال له: "أبو عامر الراهبُ"، وكان قد تَنَصَّر في الجاهلية وقرأ علْم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قَدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مهاجرًا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شَرِق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة، وظاهر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش فألَّبهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله، وكانت العاقبة للمتقين.

ولما فرغ الناس من أحد، ورأى أمر الرسول، صلوات الله وسلامه عليه في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل، ملك الروم، يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم، فوعده ومَنَّاه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويُمنَّيهم أنه سيقدمُ بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له مَعقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كُتُبه ويكونَ مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته، عليه السلام، فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: "إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله" .

فلما قفل، عليه السلام راجعًا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضِّرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة

المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء، الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هَدَمه قبل مقدمه المدينة .. "[١].

تلك قصة مسجد الضرار، وهذا خبره، رأينا كيف أن الله عز وجل وصف المسجد الذي هو أفضل البنايات على الأرض وبنائه أعظم القرب، كيف أن الله وصفه بالضرار واتهم أصحابه بالمحاربة لله ورسوله، وفي ذلك دليل على أن العمل قد يكون فاضلاً في ظاهره وهو في حقيقة الأمر في قمة السوء والباطل، ولما لا، وهذا عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ويدعو الناس إلى طاعته مع ما في قلبه من كفر ونفاق، فليس كل عمل حسن في الظاهر، هو حسن كذلك في الباطن.

النظرة التحليلية:

إن في قصة مسجد الضرار دعوة للمسلمين بانتهاج المنهج التحليلي لمعرفة الدوافع والأسباب والتنبه لبواطن الأمور، وعدم الانخداع بظواهر الأمور، وتلك هي القاعدة الأولى في فهم الأحداث السياسية، وهي تحليل الأسباب والدوافع وراء الفعل ووراء منفذيه.

وقد يقول البعض أننا بذلك نفتح الباب للشك والطعن في نيات الناس، إلا إن ذلك غير صحيح، فإننا نفرق بين فعلين، فعل لا يتعد تأثيره نطاق صاحبه فهو فعل فردي شخصي فنكله أمره وأمر صاحبه ونيته إلى الله عز وجل، وفعل آخر هو فعل يؤثر على الآخرين فهذا الفعل يجب أن نحاكم صاحبه وننظر في أسبابه ودوافعه وهل كان صدق النية أم أنه يجر الأمة إلى مهالكه من أجل تحقيق أغراضه وأهدافه.

النظرة الشمولية:

وقد يقول البعض وأن لنا أن نعرف دوافع الناس ونياتهم، وما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسجد الضرار إلا وحيًا من الله عز وجل؟، نقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان مؤيدًا بالوحي من ربه فإن الله أيدنا الأمة من بعده بالعلماء الصادقين، وأيدهم بأسباب النظر والتفكير التي لو عملوا بها لبان لهم بإذن الله الحق من الباطل، وتتلخص أسباب النظر تلك في النظرة الشمولية للحدث، فلا يصح للمسلم أن يقتطع الحدث من تاريخ فاعليه وأفكارهم ليحكم به عليهم، بل إن الحدث يجب أن يتم إلى نظرائه من مواقف فاعليه الآخرين.

١- تفسير ابن كثير (١٤٨/٤) بتصرف واختصار.

وبعبارة أخرى نستطيع أن نعرف دوافع فاعلي الحدث ومنفذيه من خلال النظر في ثلاثة أمور:

١- **النظر في عقيدة صاحب الحدث وفكره**: فإذا كانت عقيدته مخالفة لعقيدة الإسلام علمنا أنه لم يرد خيرًا من وراء ذلك الحدث (وسوف يتضح معنا أن الشيعة على دين آخر مغاير لدين الإسلام).

٢- **النظر في تاريخ صاحب الحدث وسلوكه**: فإذا كانت الأحداث السابقة تناقض تصريحاته علمنا حقيقة دوافعه ونياته، ولقد أوضحنا فيما سبق من الكتاب أن حزب الله لم يكن يقاوم من أجل تحرير فلسطين بل من أجل مكاسب سياسية وأجندة خاصة به وبمؤسسيه، فلو كان لفعاليات الحزب صفة الديمومة كالمقاومة العراقية وشقيقتها الفلسطينية؛ لو عرف لماذا تبدأ حينما تبدأ، ولماذا تنطفئ، لو أنها حق مباح لكامل الطيف اللبناني الذي يتوق إلى المقاومة؛ لو أنها تتحرك بقرار يشترك فيه الآخرون المعنيون، وليست مفاجآت تصلهم من المذياع؛ لو أنها هذه وتلك، لهانت الأموال والأنفس والبنى التحتية والاقتصاد، ولما نبس أحد ببنت شفة، كما هو حادث في العراق وفلسطين، اللتان لا يعزّ فيهما شيء ما دامت الأرض تحت الاحتلال، لكنها فعاليات متقطعة، تنطق باسم اللبنانيين وهم ممنوعون منها ومحجوبون عنها، وفلسطين ليست على أجندتها (الإستراتيجية وليس الإعلامية)، وواقع الحال يشير إلى أنها فعاليات حدود شريطية، لا تأتي إلا متزامنة مع ظروف سياسية، ومع الحاجة إلى أوراق جديدة لفك أزمة أو تحريك جمود في المواقف.

٣- **النظر في موقف صاحب الحدث من القضايا المماثلة**: فإذا كان مؤيدًا للقضايا المماثلة، أو يخفى تأييده لأسباب نعلمها، علمنا صدقه وإخلاصه، أما إذا كان يدين تلك القضايا علمنا أن مواقفه كاذبة مفتعلة، وإذا نظرنا إلى موقف "حزب الله" من المقاومة العراقية تبين لنا حقيقة مقاومة حزب الله، فحسن نصر الله لم يجد غضاضة في أن يصنف المقاومة العراقية إلى

فريقين: فريق الجنرالات الصداميين التكفيريين الذين يريدون العودة بالبلاد إلى الحكم السابق، وفريق عملاء الأمريكيين، بل إنه أقام علاقة وثيقة بين الاثنين، دون ذكر ولو بكلمة واحدة للمقاومة الحقيقية، التي وضعت العصي في دواليب المشروع الأمريكي، وقلبت النظريات العسكرية، وابتدعت فنوناً جديدة في حروب المقاومة، وهي تواجه أكبر جيوش الأرض، وهي المحاصرة براً وبحراً وجواً، وهاجم بشدة مقاطعة الانتخابات، وتبنى جميع العناوين التي يسوّقها الاحتلال الأمريكي، مرسخاً بحرفية خط السيستاني.

فكيف يستقيم لنصر الله، وكيف يستقيم للشيعة محاربة إسرائيل في لبنان ومداهنة أمريكا في العراق؟، ما لم يكن الأمر يخفى ورائه خطط سياسية وحسابات مصلحية ليس من بينها مقاومة الأعداء أو تحرير البلاد.

من خلال تلك الرؤى يتأكد لدينا أن حرب "الوعد الصادق" لم تكن لتحرير فلسطين أو تحرير الجنوب اللبناني الذي بات خاضعًا لاحتلال دولي معترف به، بعد أن كان خاضعًا لاحتلال إسرائيلي غير مرضي عنه.

آية الروم .. واعتبار المصالح والمفاسد:

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: " **الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)" الروم.**

استشهد البعض بآيات سورة الروم، وفرح المسلمين بنصر الروم على الفرس كدليل على جواز تأييد حزب الله في حربه مع إسرائيل.

غير أنه لابد أن نشير هنا إلى أمور، أولها: أن فرح المسلمين بنصر الروم على الفرس لم يغير شيئًا من موقف المسلمين العقائدي ضد الروم و لم يدفعهم إلى الدعاء لهم، بل إنه لم تمض سنوات معدودة حتى كان الروم على موعد مع المسلمين في غزوتي مؤتة وتبوك، وكان اللقاء العسكري بين الروم والمسلمين أسبق للمعارك التي دارت بين المسلمين والفرس.

الأمر الثاني: أن مثل تلك الحروب التي تقع بين طرفين لا تتفق مصالحهما مع مصالح المسلمين فإنها تخضع لقضية المصالح والمفاسد والنظر في أيهما الأصلح للمسلمين مع التأكيد على النقاط التالية:

١- أعظم مصلحة ينظر إليها؛ مصلحة الحفاظ على الدين:

فإن أعظم المصالح في الوجود مصلحة الحفاظ على الدين، ويليها الحفاظ على باقي الضروريات كالنفس والعقل والعرض والمال، فالمصلحة الشرعية المعتبرة تحفظ للمسلمين دينهم ودنياهم، فإن خيف على دينهم فيحفظ ولو كان هذا بزوال دنياهم، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله[١]: "إن المنافع الحاصلة للمكلف مشوبة بالمضار عادة، كما أن المضار محفوفة ببعض المنافع، كما نقول: إن النفوس محترمة محفوظة ومطلوبة الإحياء، بحيث إذا دار الأمر بين إحيائها وإتلاف المال عليها، أو إتلافها وإحياء المال؛ كان إحياؤها أولى، فإن عارض إحياؤها إماتة الدين؛ كان إحياء الدين أولى وإن أدى إلى إماتتها، كما جاء في جهاد الكفار، وقتل المرتد، وغير ذلك"، وقال أيضاً [٢]: "والمصالح والمفاسد الأخروية مقدمة في الاعتبار على المصالح والمفاسد الدنيوية باتفاق؛ إذ لا يصح اعتبار مصلحة دنيوية تخل بمصالح الآخرة، فمعلوم أن ما يخل بمصالح الآخرة غير موافق لمقصود الشارع؛ فكان باطلاً " .

ويدخل في ذلك الباب ما قد يسببه التأييد لحزب الله ولإيران من انتشار للمذهب الشيعي بين المسلمين السنة، وهو أخطر على المسلمين من ضياع أرواحهم، لأن المذهب الشيعي الإمامي كما سيتضح هو دين آخر مغاير لدين الإسلام، لذا فلا يصلح أن يكون التأييد لحزب الله على حساب الجانب العقائدي، أو أن تكون عبر التمييع لهذا الخلاف والزعم أنه غير مؤثر.

٢- المصالح الشرعية المعتبرة ليست منوطة بأهواء الناس وشهواتهم:

فهي مبنية على النظر الشرعي الصحيح القائم على الأدلة، والنظر إلى اليوم الآخر، وإلا لاضطرب الناس في تقدير المصالح لاختلاف أهوائهم؛ يقول شيخ الإسلام رحمه الله[٣]: "اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على إتباع النصوص لم يعدل

١- الموافقات : ٢/.٦٤.

٢- الموافقات : ٣/١٢٤ .

١- الفتاوى : ٢٨ / ١٢٩ .

عنها، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالتها على الأحكام".

ويقول الشاطبي رحمه الله[١]: "إن المصالح إنما اعتبرت من حيث وضعها الشارع كذلك، لا من حيث إدراك المكلف؛ إذ المصالح تختلف عند ذلك بالنسب والإضافات".

٣- النظر في المآلات معتبر شرعًا:

يقول الإمام الشاطبي: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة... وهو مجال للمجتهد صعب المورد إلا أنه حلو المذاق، محمود الغب (العاقبة)، جار على مقاصد الشريعة"[٢]، فلابد من النظر في مآلات الأفعال وما تؤدى إليه، وعند النظر في الدعوة إلى تأييد حزب الله ونصرته سنجد أن تؤدى إلى تقوية شوكته وتسلطه على المسلمين السنة، وهو ما ظهر جليًا بعد الحرب حيث دعا حسن نصر الله إلى تشكيل حكومة لبنانية جديدة تضمه وحليفه النصراني الماروني ميشيل عون.

كما أننا رأينا أن تلك الحرب لم تنتهي على شيء، فلم تنتهي بانتصار للمسلمين ولا تحرير لفلسطين، بل انتهت باحتلال جديد لبلاد المسلمين، وتسلط للشيعة على رقاب المؤمنين.

آراء العلماء القدامى في الأحداث[٣]:

ولقد ناقش علماؤنا قضية الاستعانة بأهل الأهواء والبدع في قضايا الجهاد، فقال المرداوي في الإنصاف في الفقه الحنبلي: وَتَحْرُمُ الِاسْتِعَانَةُ بِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّ فِيهِ أَعْظَمَ الضَّرَرِ، وَلِأَنَّهُمْ دُعَاةٌ (أي إلى باطلهم)، بِخِلَافِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، نَصَّ عَلَى ذَلِكَ.

وقال البهوتي في كشاف القناع عن متن الإقناع: "(وَيَحْرُمُ أَنْ يَسْتَعِينَ) مُسْلِمٌ (بِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ) كَالرَّافِضَةِ (فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَزْوٍ ، وَعِمَالَةٍ ، وَكِتَابَةٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ)؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ ضَرَرًا، لِكَوْنِهِمْ دُعَاةً، بِخِلَافِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ..".

٢- الموافقات ٤٢/٥ .

٣-الموافقات (١٩٤/٤).

٤- استفدنا في تلك النقطة من برنامج جامع الفقه الإسلامي إنتاج شركة حرف.

أما إذا وقعت الحرب بين أهل الأهواء والبدع وبين الكفار فجاء في مطالب أولى النهي: "(وَتَحْرُمُ تَوْلِيَتُهُمْ)، أَيْ : الْكُفَّارِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ (الْوِلَايَاتِ مِنْ دَوَاوِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَ) تَحْرُمُ (إعَانَتُهُمْ)، أَيْ: أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَالْكُفَّارِ عَلَى عَدُوِّهِمْ مِنْ جِنْسِهِمْ، فَإِنْ كَانَ عَدُوُّهُمْ مِنَّا فَنَجْتَمِعُ عَلَى قِتَالِهِمْ، **وَإِنْ كَانَ عَدُوُّ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ كَافِرًا حَرْبِيًّا، فَلَا تَحْرُمُ إعَانَتُهُمْ عَلَيْهِ لِإِسْلَامِهِمْ (إلَّا خَوْفًا) مِنْ شَرِّهِمْ**".

ويقول السرخسي في شرح السير الكبير: " .. ولَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَاتِلَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعَدْلِ أَحَدًا مِنْ الْخَوَارِجِ، مَعَ قَوْمٍ آخَرِينَ مِنْ الْخَوَارِجِ، إذَا كَانَ حُكْمُ الْخَوَارِجِ هُوَ الظَّاهِرُ . لِأَنَّ إبَاحَةَ الْقِتَالِ مَعَ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إنْ رَجَعُوا إلَى أَمْرِ اللَّهِ وَلَا يَحْصُلُ هَذَا الْمَقْصُودُ بِهَذَا الْقِتَالِ إذَا كَانَ حُكْمُ الْخَوَارِجِ هُوَ الظَّاهِرُ "، ويدخل في حكم الخوارج أهل الأهواء والبدع، وما بالك بمن أعظم منهم بدعةً الشيعة الروافض، الذين أجاز العلماء المشاركة مع الخوارج في قتالهم لما عليه الشيعة الروافض من باطل وكفر كبيرين.

وقد يقول البعض، وكأنك بذلك تطالبنا بالقعود في موقع المتفرجين ونحن نشاهد جرائم العدو الصهيوني، وجوابنا بالتأكيد على تلك النقطة ما سبق وذكرناه في أول هذا الفصل، وهو أننا لا ندعو إلى القعود بل ندعو إلى التنبه إلى حقيقة الأمور، وعدم الاغترار بالأحداث الظاهرة التي تصب في مصلحة طرف على حساب طرف، فلا يصح أن نستبدل مشروعًا رافضيًا طائفيًا بمشروع صهيوني أمريكي، وقد رأينا في العراق ما يصبو الشيعة إلى تحقيقه وما يواجهه المسلمون السنة من مذابح وجرائم ماثلت جرائم العدو الصهيوني[١].

إننا ندعو المسلمين إلى النهوض من كبوتهم وإحياء المشروع السني، ودعم المقاومة السنية الباسلة في فلسطين والعراق، والالتفاف حولها ذلك السبيل لمواجهة المشروعين الشيعي والصهيوني.

١– أعلن السيد قاسم محمد مدير مركز حقوق الإنسان والدراسات الديمقراطية بالعراق أن عدد من قتل من الفلسطينيين في العراق على يد جيش المهدي وفيلق بدر خلال عامي ٢٠٠٥، و٢٠٠٦ يفوق عدد قتلاهم على يد اليهود في فلسطين خلال الفترة نفسها، وكان الشيخ حارث الضاري الأمين العام لهيئة علماء المسلمين السنة بالعراق قد كشف عن مقتل ٢٠٠ ألف سني في العراق منذ الاحتلال، مائة ألف قتلتهم القوات الأمريكية، ومائة ألف قتلتهم إيران عبر ميليشياتها المسلحة.

بيان أن المذهب الشيعي دين آخر مغاير لدين الإسلام

يقوم هذا المذهب على أصول كفرية شركية لم تعد خافية على من له أدنى متابعة لكتب القوم في القديم والحديث، وكذلك من يتابع مواقعهم وما سجل عليهم من الوثائق المسموعة والمرئية في حسينياتهم ومناسباتهم السنوية ومن أخطر أصول هذه النحلة التي ينتمي إليها حسن نصر الله وحزبه ما يلي:

أولا: الإمامة ركن الدين الأعظم:

الإيمان بالإمام جزء من عقيدتهم، وركن أساس من أركان الدين، ومن لم يؤمن عندهم بإمامة علي والاعتقاد بأن الله نص على ذلك فهو كافر، ويرون بطلان إمامة من تقدم عليا رضي الله عنه، وأنه كان الأحق بها نصا، لولا أنها سلبت بمؤامرة دبرها أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما.

ثانيا: غلوهم في أئمتهم إلى درجة الكفر:

يعتقدون في الأئمة أنهم أشخاص غير عاديين، كانوا قبل العالم، أنوارا، ولهم ولاية تكوينية، فالإمام مهيمن على شؤون الكون، ومجرياته، والكل خاضع له، ويعلم أمور الغيب، وهو معصوم من الخطأ، في كل أفعاله، وأقواله، ونتيجة لذلك: فإنهم يسألونه حوائجهم، ويستغيثون به في الكرب.

فاعتقادهم هذا في الأئمة أوقعهم في أعمال شركية، في الدعاء، وعند القبور، كما في النجف وكربلاء، وكما سمع الناس وشاهدوا في القنوات الفضائية، من استغاثة عوام الشيعة المهجرين في لبنان بالحسين وزينب.

ثالثا: قولهم بالتقية:

التقية معناها عندهم: كتمان الحق، وستر الاعتقاد، ومكاتمة المخالفين؛ أي عدم الإفصاح لهم، وهذا المبدأ أساس علاقتهم بأهل السنة بالأخص، وينسبون في ذلك أقوالا مكذوبة لجعفر الصادق، كقولهم: "تسعة أعشار الدين في التقية"، "لا دين لمن لا تقية له"، "من صلى وراء سني تقية، فكأنما صلى وراء نبي".

رابعا: تحريف القرآن:

المعروف عنهم قولهم: أن القرآن محرف، أسقطت منه بعض السور، وكثير من الآيات في فضائل آل البيت، والأمر باتباعهم. وقد اتهموا الصحابة بفعل ذلك، وأن القرآن لم يجمعه كله إلا الأئمة، وأنه مثل هذا القرآن ثلاث مرات، ليس فيه منه حرف واحد، وقد ألف حسين بن محمد النور الطبرسي كتابا سماه: "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب".

وقد يقول قائل: إنهم ينفون ما ينسب إليهم من القول بتحريف القرآن فنقول: إن هـذا مثبت في كتبهم والتي هي مرجعياتهم ككتاب (الكافـي) للكليني وكتاب الطبرسـي (فصـل الخطاب) وهما إمامان معتبران عند الرافضة فإذا كانوا ينفون ما ينسب إليهم فليصرحوا بـبراءتهم ممن يقول بتحريف القرآن الوارد في هذين الكتابين وغيرهما، وليحكموا بكفر من قـال بهـذا.. وهذا ما لم ولن يقولوه.

خامسا: تكفير الصحابة، ورد السنة:

ادعوا على الصحابة: أنهم اغتصبوا الإمامة من علي رضي الله عنه، وعليه فقد نصوا على تكفيرهم إلا جماعة، منهم: علي، وأبو ذر، وسلمان، ومن أعظم العبادات عندهم سب الصحابة رضي الله عنهم والوقيعة فيهم، وخاصة سادتهم وشيوخهم كأبي بكر الصديق وعمر رضـي الله عنهما وكذلك زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم الصديقة عائشة رضي الله عنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سادسا: مخالفتهم لأهل السنة:

هذه المخالفة مسطرة في كتبهم، ويكفي دليلا على أن المخالفة بـين السـنة والشـيعة عقديـــــة، أصـــــلية:

- اتخاذ الشيعة بيوتا للعبادة غير المساجد، سموها بالحسينيات، يضاهون بها بيـوت الله تعـالى.
- واتخاذهم بقعا كالنجف وكربلاء، ضاهوا بها البيت الحرام حرمة، وشرفا، بل زادت، يحجـون إليها، ويتخذونها أعيادا، ومناسك.

وبهذا يتضح أن الخلاف بين السنة والشيعة كبير، وفي الأصول، بـل إن الشـيعة – في حقيقة الأمر — على دين مغاير لدين الإسلام، فالشيعة ليست فرقة من فرق الإسـلام أو رؤيـة مختلفة للإسلام مقابلة للرؤية السنية، بل إنها دين جديد يعارض الإسلام من كل وجه ويسعى إلى هدمه من كل سبيل.

يظهر ذلك جليًا عند حديث قدامي الشيعة عن نشأة الشيعة وزعمهم أن مبدأ التشيع بدأ قبل رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو قول بعضهم إن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه دعا إلى التشيع بالإضافة إلى دعوته إلى توحيد الله عزوجل وإتباعه صلى الله عليه وسلم.

ويتضح ذلك بجلاء عند معرفة موقف الشيعة من القرآن الكريم والسنة النبوية اللذين هما مصدرا التلقي للدين الإسلامي، حيث يتضح بجلاء أن الشيعة لا يعظمون هذين المصدرين بل يقدمون عليهما أقوال أئمتهما وشيوخهما، وبذلك فهما يخالفان الإسلام في مصادر التلقي وأصل الدين، ومما يؤكد على أن الشيعة ليست فرقة من فرق الإسلام بل هي دين مخالف هو أنه جميع الفرق الإسلامية سواء أكانت خوارج أو مرجئة أو أشعرية لم تطعن في مصادر الشريعة المتمثلان في القرآن والسنة وإن حاولت تلك الفرق تفسير هذه المصادر وفقًا لمذهبها، غير أنه لم يرد عن أحد منهم من يطعن في هذين المصدرين إلا غلاة بعض الفرق والذين حكم عليهم علماء الإسلام بالكفر والردة والزندقة.

ويظهر ذلك جليًا عند جعل ولاية علي هي أصل الدين عندهم بدلا من توحيد الله عز وجل وإتباع الرسل، فالتوحيد الذي هو أصل دعوة الرسل.. وجوهر رسالتهم.. هو عندهم ولاية الإمام، فيرون عن أبي جعفر أنه قال: "ما بعث الله نبياً قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا، وذلك قول الله في كتابه: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ}** [النحل، آية: ٢٣]".

ويتضح ذلك من هذا القول الكاذب الملحد: "إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم"[١]، يعني أهل السنة، وفي أصول الكافي سؤال أحد أئمتهم يقول: إذا ".. وجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة (يعني أهل السنة) والآخر مخالفاً لهم بأي الخبرين يؤخذ؟ فقال: ما خالف العامة ففيه الرشاد، فقلت (القائل هو الراوي): جعلت فداك، فإن وافقها الخبران جميعاً؟ قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل حكامهم وقضاهما فيترك ويؤخذ بالآخر، قلت: فإن وافق حكامهم الخبرين جميعاً؟ قال: إذا كان ذلك فارجئه حتى تلقى إمامك، فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات"[٢].

١- بحار الأنوار: ٢٣٣/٢

١- الكليني/ أصول الكافي: ٦٧/١-٦٨، ابن باويه القمي/ من لا يحضره الفقيه: ٥/٣.

فدين الشيعة شيء آخر غير دين الإسلام، بل صار من علامات دينهم مخالفة دين الإسلام وما جاء عن الصحب الكرام، فهل يصح القول بأن الشيعة فرقة من فرق الإسلام، وقد أقر الشيعة بذلك في تعليلهم لهذا الموقف العجيب الذي لا يبحث عن الحق بل يبحث عن المخالفة لأهل السنة أيًا كان قولهم، فيرون عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: "ما أنتم والله على شيء مما هم فيه، ولا هم على شيء مما أنتم فيه، فخالفوهم فما هم من الحنيفية على شيء"[١].

ويوصى الشيعة أتباعهم بالوصية التالية والتي تعمق المخالفة لدين الإسلام، عن علي ابن أسباط قال: قلت للرضا – رضي الله عنه –: يحدث الأمر لا أجد بدّاً من معرفته، وليس في البلد الذي أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك، قال: ائت فقيه البلد، فاستفته عن أمرك، فإذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه، فإن الحق فيه"[٢].

وبهذا المبدأ الباطل خرج الشيعة من دين الإسلام كما قال الألوسي رحمه الله: "فجمعوا مخالفة أهل السنة والجماعة الذين هم على ما كان عليه الرسول وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين أصلاً للنجاة، فصار كلما فعل أهل السنة شيئاً تركوه، وإن تركوا شيئاً فعلوه، فخرجوا بذلك عن الدين رأساً، وذلك هو الضلال المبين باليقين"[٣].

ويتضح لنا أن الدين الشيعي دين آخر غير دين الإسلام من تلونه وتغيره على مر العصور والأيام، فهو شيء آخر غير دين الإسلام الثابت المبادئ والواضح المعالم، أما هذا الدين الشيعي والأحرى بأن يطلق عليه دين الشيعة فهو متلون ومتغير إما بالتقية المزعومة والمكذوبة وإما بما يعن لأئمتهم من نسبته لمهديهم الغائب، فهو دين يتغير ويتطور وفقًا لتغيرات الزمن، حتى أصبح ما يعتبر عند القدامى غلواً هو اليوم من ضرورات المذهب الشيعي، يقول الممقاني – أكبر شيوخهم في علم الرجال –: "إن القدماء – يعني من الشيعة – كانوا يعدون ما نعده اليوم من ضروريات مذهب الشيعة غلواً وارتفاعاً، وكانوا يرمون بذلك أوثق الرجال كما لا يخفى على من أحاط خبراً بكلماتهم"[٤].

٢- وسائل الشيعة: ٨٥/١٨

٣- ابن بابويه/ علل الشرائع: ص ٥٣١، وسائل الشيعة: ٨٢/١٨-٨٣، وبحار الأنوار: ٢٣٣/٢.

٤- الألوسي/ كشف غياهب الجاهلات/ الورقة (٦) نقلاً عن أصول مذهب الشيعة لناصر

٥- تنقيح المقال: ٢٣/٣

والعجيب من أمر الشيعة ردهم لأقوال أئمتهم إذا خالفت معتقدهم الباطل، ويظهر ذلك جليًا في موقفهم من الرجال الذين اعتمدوا عليهم في نقل الأكاذيب المنسوبة لأئمتهم فعلى الرغم من أن أئمتهم طعنوا في هؤلاء الرجال واتهموهم بالكذب، إلا إن شيوخ الشيعة دافعوا عنهم دفاعًا منقطع النظير، فمحمد رضا المظفر – وهو من شيوخهم وآياتهم المعاصرين – يعترف بأن جلّ رواتهم قد ورد فيهم الذم من الأئمة ونقلت ذلك كتب الشيعة نفسها، قال وهو يتحدث عما جاء في هشام بن سالم الجواليقي من ذم قال: "وجاءت فيه مطاعن، كما جاءت في غيره من أجلة أنصار أهل البيت وأصحابهم الثقات والجواب عنها عامة مفهوم"[١] (أي العلة المعروفة السائرة عندهم وهي التقية) ثم قال: "وكيف يصح في أمثال هؤلاء الأعاظم قدح؟ وهل قام دين الحق وظهر أمر أهل البيت إلا بصوارم حججهم"[٢].

فأي دين ذلك الذي يرفض ثوابت الإسلام هربًا إلى أقوال الأئمة المكذوبة، ثم يرفض أقوال الأئمة ويهرب إلى أقوال رجال مجهولين طعن فيهم أئمتهم، بل ثبت أن منهم كافر لا يؤمن بالله ولا بالأنبياء ولا بالبعث والمعاد، ومنهم من كان من النصارى ويعلن بذلك جهاراً وَيَتَزَيّا بزيّهم، و لم يدع صحبتهم، ومنهم من أعلن جعفر الصادق كذبهم ونص على ذلك باعتراف كتب الشيعة وقال: "يروون عنا الأكاذيب ويفترون علينا أهل البيت".

ويقول شيخ الطائفة الطوسي: "إن كثيراً من مصنفي أصحابنا ينتحلون المذاهب الفاسدة – ومع هذا يقول: إن كتبهم معتمدة –"[٣]، فكأن المهم عندهم تشيع الرجل ولا يضر بعد ذلك انتحاله لأي مذهب فاسد.

فهذا دين لا سند له إلا سند الكذابين والمجهولين والمختلقين، فأين عقولهم من هذه الأكاذيب والافتراءات التي بصمات إبليس عليها واضحة وأدوار الزنادقة في اختلاقها ظاهرة، وكيف يقال بعد ذلك أن هؤلاء فرقة من فرق الإسلام.

ويؤكد لنا شيوخ الشيعة أنهم على دين غير دين الإسلام، فهذا شيخهم "نعمة الله الجزائري" يقول في كتابه الأنوار النعمانية: "إنا لا نجتمع معهم — أي مع السنة — على أله و لا

١- محمد الحسين المظفر/ الإمام الصادق: ص ١٧٨.

٢- محمد الحسين المظفر/ الإمام الصادق: ص ١٧٨.

٣- الفهرست: ص ٢٤-٢٥.

على نبي و لا على إمام، و ذلك أنهم يقولون أن ربهم هو الذي كان محمد نبيه و خليفته من بعده أبو بكر، و نحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا"[١].

وبذلك يتضح أن حزب الله بهذه المعتقدات الشركية لو تمكن فإنه سيقيم دولة الرفض والتشيع التي تقوم على الشرك الأكبر وسب الصحابة رضي الله عنهم وتكفير أهل السنة وبالتالي استئصالهم وإبادتهم كما هو الحاصل في العراق اليوم: ((كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ)) (التوبة : ٨).

١- الأنوار النعمانية ج٢ ص ٢٧٨.

السلوك الشيعي عبر التاريخ:

أما من يتتبع أحداث التاريخ فسوف يتضح له عيانًا كيف أن الشيعة كانوا دومًا أخطر معول أتت على الدولة الإسلامية، فهم مع المسلمين في الظاهر، بينما هم من أعظم الأعداء لهم في الباطن، حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أصل كل فتنة وبلية هم الشيعة، ومن انضوى إليهم، وكثير من السيوف التي سلت في الإسلام إنما كان من جهتهم، وبهم تسترت الزنادقة"[١].

ولأنهم يرون أن المسلمين أكفر من اليهود والنصارى، فهم يوالون أعداء الدين الذين يعرف كل أحد معاداتهم من اليهود والنصارى والمشركين، ويعادون أولياء الله الذين هم خيار أهل الدين وسادات المتقين[٢].

وقال شيخ الإسلام: "فقد رأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتلي المسلمون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين"[٣]، ومن أعجب أقوال شيخ الإسلام عن الشيعة والتي تعد فتحًا من الله، قوله: **"وكذلك إذا صار اليهود دولة في العراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائمًا يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى، ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم"**[٤].

وها نحن بعد ٧٠٠ عام من هذا القول، نرى قادتهم يفتخرون بتعاونهم مع اليهود والصليبيين، فيقول الأبطحي نائب الرئيس الإيراني للشؤون القانونية والبرلمانية في ختام مؤتمر الخليج وتحديات المستقبل الذي ينظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية سنويًا

١- منهاج السنة: ٣/.٢٤٣

٢- منهاج السنة: ١١٠/٤، وعن تكفير الشيعة للمسلمين السنة نشير إلى أن الرافضة يعتقدون أنهم هم المؤمنون فقط وأن ما عداهم من المسلمين كفار مرتدون ليس لهم في الإسلام نصيب، أما سبب تكفير الرافضة للمسلمين فلأنهم لم يأتوا (بالولاية) والتي يعتقد الرافضة أنها ركن من أركان الإسلام فكل من لم يأت بالولاية فهو كافر عند الرافضة كالذي ترك الصلاة أو منع الزكاة بل إن الولاية مقدمة عندهم على سائر أركان الإسلام، وقد وردت هذه العقيدة وردت في أمهات الكتب عند القوم. منها ما روى صدر الأئمة أخطب خوارزم بسنده أن الله عز وجل قال لنبيه عن ولاية أئمتهم الأثنى عشر فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدها كان عندي من الكافرين يا محمد لو أن عبداً من عبادي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتهم؛ وفي هذا دليل على أن كل من لم يؤمن بولاية الأئمة الإثنى عشر فهو كافر ولا مغفرة له.

٣- منهاج السنة: ٣٨٠/٣

٤- منهاج السنة ٣٧٨/٣

بإمارة أبو ظبي مساء الثلاثاء (٢٠٠٤/١/١٥): إن بلاده قدمت الكثير من العون للأمــريكيين في حربيهم ضد أفغانستان والعراق، وأكد أنه لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بـــهذه السهولة ... ثم استدرك قائلاً: لكننا بعد أفغانستان حصلنا على مكافأة وأصبحنا ضـــمن محـــور الشر، وبعد العراق نتعرض لهجمة إعلامية أمريكية شرسة.

ونرد هنا بعضًا من خيانات الشيعة للأمة المسلمة على مر التاريخ، لنعلم حزب الله يقف مع أي صف:

١- أرسل بدر الجمالي وزير المستعلي – الفاطمي الشيعي – سنة ٤٩٠هـــ سفارة من قبله إلى قادة الحملة الصليبية الأولى تحمل عرضًا خلاصته أن يتعاون الطرفـــان للقضـــاء علـــى السلاجقة السنة في بلاد الشام، وأن تقسم البلاد بينهما بحيث يكون القسم الشمالي من الشـــام للصليبيين في حين يحتفظ الفاطميون بفلسطين.

٢- وقد كان سقوط بيت المقدس بيد الصليبيين بسبب خيانات الشيعة وما يحدثونه من قلاقل واضطراب تشغل الخليفة والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشـــاه عـــن التفـــرغ لحرب الفرنج ؛ اسمع ما يقوله ابن كثير رحمه الله تعالى:

في سنة ٤٩٤هـــ عظم خطب الباطنية – الشيعة – بأصبهان ونواحيها فقتل الســـلطان منهم خلقًا كثيرًا وأبيحت ديارهم للعامة، ونودي فيهم أن كل من قدرتم عليه فاقتلوه وخـــذوا ماله، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة، وأول قلعة ملكوها في سنة ٤٨٣هـــ، وكان الذي ملكها الحسن بن صباح أحد دعاهم.. ، وفي سنة ٥٠٠هـــ حاصر السلطان محمد بن ملكشـــاه قلاعًا كثيرة من حصون الباطنية فافتتح منها أماكن كثيرة، وقتل منهم خلقًا، واشتد القتال معهم في قلعة حصينة في رأس جبل منيع بأصبهان كان قد بناها السلطان ملكشاه ثم اســـتحوذ عليهـــا رجل من الباطنية يقال له أحمد بن عبد الله بن عطاء، فتعب المسلمون بسبب ذلك، فحاصـــرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تبنًا وقطع رأسه وطاف به في الأقاليم" .

وهكذا كان حصار قلعة من قلاع الباطنية يستهلك من جهد المســـلمين ســـنة كاملـــة والمسجد الأقصى أسير في أيدي الفرنجة؟ إنهم كالخنجر في الظهر.

٣- ذكر ابن كثير في أحداث سنة ٥٦٤ هـ: طغت الفرنج بالديار المصرية وذلك أنهم جعلوا شاور(الوزير الفاطمي الشيعي) شحنة لهم بها (حامية عسكرية) ، وتحكموا في أموالها ومساكنها أفواجًا أفواجًا، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من المسلمين وقد سكنها أكثر شجعانهم فلما سمع الفرنج بذلك أتوا من كل فج وناحية في صحبة ملك عسقلان في جحافل هائلة، فأول ما أخذوا مدينة بلبيس وقتلوا من أهلها خلقًا وأسروا آخرين ونزلوا بها وتركوا أثقالهم موئلاً لهم، ثم تحركوا نحو القاهرة.. فأمر الوزير شاور رجاله بإشعال النار فيها على أن يخرج منها أهلها؛ فهلكت للناس أموال كثيرة، وأنفس، وشاعت الفوضى، واستمرت النيران أربعة وخمسين يومًا، عندئذ بعث العاضد الفاطمي إلى نور الدين بشعور نسائه يقول: أدركني واستنقذ نسائي من الفرنج، والتزم له بثلث خراج مصر، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش لتسييرها إلى مصر، فلما أحس شاور بوصول جيوش نور الدين، أرسل إلى ملك الفرنج يقول: قد عرفت محبتي ومودتي لكم، ولكن العاضد لا يوافقني على تسليم البلد، فاعتذر لهم وصالحهم على ألف ألف دينار وعجل لهم من ذلك ثمانمائة ألف ليرجعوا؛ فانتشروا راجعين خوفًا من عساكر نور الدين وطمعًا في العودة إليها مرة أخرى، وشرع شاور في مطالبة الناس بالذهب الذي صالح به الفرنج وتحصيله وضيق على الناس.

٤- ذكر المقريزي في الخطط والآثار (٢/٢) أن صلاح الدين الأيوبي لما تولى وزارة العاضد الفاطمي وقوى نفوذه في مصر، حنق عليه رجال القصر ودبروا له المكائد، وقد اتفق رأيهم على مكاتبة الفرنجة ودعوتهم إلى مصر فإذا ما خرج صلاح الدين إلى لقائهم قبضوا على من بقي من أصحابه بالقاهرة، وانضموا إلى الفرنجة في محاربتهم والقضاء عليه.

وجاء الفرنجة إلى مصر وحاصروا دمياط في سنة ٥٦٥هـ، وضيقوا على أهلها وقتلوا أممًا كثيرة، وكان من فضل الله أن فشلت هذه الحملة، وانصرف الفرنجة عن دمياط .

٥- ويذكر ابن كثير في أخبار سنة ٦٥٦هـ، دور الوزير الشيعي مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد العلقمي في استيلاء التتار على بغداد، فيقول : (وجيوش بغداد في غاية الضعف ونهاية الذلة، لا يبلغون عشرة آلاف فارس وهم بقية الجيش، فكلهم كانوا قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله، وذلك كله من آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي، وذلك

أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ومحلــة الرافضة، حتى نهبت دور قرابات الوزير، فاشتد حنقه على ذلك، فكان هذا مما أهاجه علـــى أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغـــداد وإلى هذه الأوقات، ولهذا كان أول من برز إلى التتار – أي ابن العلقمي – فخرج بأهله وأصـــحابه وخدمه وحشمه، فاجتمع به السلطان هولاكو خان لعنه الله، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفـــة،.... ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجة نصير الدين الطوسي والوزير ابن العلقمي وغيرهما، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئًا كثيرًا من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفسية، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين علـــى هولاكـــو أن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًـــا أو عـــامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة.

فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله، ويقال: إن الذي أشار بقتله هو الوزير ابن العلقمي والمولى نصير الدين الطوسي، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت وانتزعها من أيدي الإسماعيلية، وكان النصير وزيرًا لشمس الشموس ولأبيـــه قبله علاء الدين بن جلال الدين، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك، فقتلوه رفسًا وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه.... ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنســـاء والولدان والمشايخ، والكهول والشبان .... و لم ينج منهم أحد سوى أهل الذمـــة مـــن اليهـــود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهـــم أمانًا بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم . وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخـــر أيـــام المستنصر قريبًا من مائة ألف مقاتل منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر والأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وطمعهم في الـــبلاد وســـهل عليهم ذلك وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعًا منه أن يزيل

السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين والله غالب على أمره) .

والعجيب أن شيعة اليوم ينظرون بعين التعظيم والإجلال لهذا الوزير الشيعي الخائن وزميله الطوسي ! يقول الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية ص ١٢٨) : (ويشعر الناس بالخسارة أيضاً بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي و أمثاله ممن قدموا خدمات جليلة للإسلام) وهنا نتساءل هل كان الخميني يجهل دوره في تدمير بغداد ؟ ويقول الخميني أيضاً (ص ١٤٢) : (وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحدًا منا بالدخول في ركب السلاطين فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين مثل دخول علي بن يقطين، ونصير الدين الطوسي رحمهما الله)، وهنا نسأل الخميني ما هو النصر الذي حققه الطوسي للمسلمين ؟؟

وإذا تساءلت من هو ابن يقطين ؟

يأتيك الجواب من رواة الشيعة أنفسهم، كالعالم الشيعي الملقب بصدر الحكماء ورئيس العلماء نعمة الله الجزائري في كتابه المعروف (الأنوار النعمانية ٣٠٨/٢ طبعة تبريز بإيران)، ومحسن المعلم في كتابه "النصب والنواصب ص٦٢٢ ط دار الهادي – بيروت" ونصها:

"وفي الروايات أن علي بن يقطين ، وهو وزير هارون الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين، وكان من خواص الشيعة، فأمر غلمانه وهدموا سقف الحبس على المحبوسين فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريبًا، فأرادوا الخلاص من تبعات دمائهم فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم فكتب عليه السلام : بأنك لو كنت تقدمت إلي قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم، وحيث إنك لم تتقدم إليَّ فَكَفِر عن كل رجل قتلته منهم بتيس والتيس خير منه " .

٦- وفي الوقت الذي كان فيه العثمانيون يركزون نشاطهم في شرقي أوروبا والبلقان، ويبذل المماليك في السنوات الأخيرة من عمر دولتهم محاولات مستميتة من أجل التصدي للخطر البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي، كان الشاه إسماعيل الصفوي يسعى إلى استغلال الأوضاع القائمة لتحقيق أطماعه متجاهلاً المصالح الإسلامية، فرسم سياسته التوسعية على أساس التحالف مع البرتغاليين في الخليج العربي والتنسيق مع القوى المعادية للدولة العثمانية ودولة المماليك في مصر والشام، وبعث وفوده إلى أوروبا مفاوضاً ملوكها للتحالف ضد سلطان مصر

واقتسام ممتلكاته على أن تكون مصر وفلسطين من نصيبهم، بينما يستحوذ هو على بقية بـــلاد الشام، وقد تزامنت مشاريع الشاه هذه مع سعيه إلى انتزاع الأناضول وإنهاء الدولة العثمانية[١].

٧- ويذكر إحسان إلهي ظهير أن انفصال باكستان الشرقية كان وراءه الكيد الرافضي، حيث قال: "وها هي باكستان الشرقية ذهبت ضحية بخيانة أحد أبناء "قزلباش" الشيعة يحيى خان في أيدي الهندوس"[٢].

وقد عارض شيوخ الشيعة في باكستان تطبيق الشريعة الإسلامية، وقد قال زعيم الشيعة مفتي جعفر حسين في مؤتمر صحفي بأن الشيعة يرفضون تطبيق الحدود الإسلامية لأنها ســتكون على مذهب أهل السنة[٣].

مجزرة صابرا وشاتيلا:

ومن أكبر خيانات الشيعة في العصر الحديث وجرائمهم بحق المسلمين السنة، بعـــد مـــا جرى في أفغانستان والعراق، ما تعرض له الفلسطينيون في لبنان من خيانة على أيـــدي النظـــام النصيري السوري وعلى أيدي منظمة أمل الشيعية التي يرأسها لليوم نبيه بري، وتبـــدأ القصـــة بمجزرة ارتكبها الموارنة النصارى في منطقة الكرنتينا، فهب المسلمون في لبنان للانتقام، وتمكنت القوات الوطنية من احتلال شتورا وزحلة وزغرتا والدامور والسعديات، وسقط معظـــم لبنـــان بأيديهم، وحاصروا الصليبيين في عقر دارهم، وبدأت مدافع جيش لبنان العربي تدك قصر بعبـــدا لولا تدخل منظمة الصاعقة النصيرية وفرار سليمان فرنجيه من قصره، وبات مؤكـــداً أن لبنـــان ستحكم من قبل القوات الوطنية، غير أن الموارنة استنجدوا بالنظام النصيري الذي هب لنجدهم؛ ولحظة دخول الجيش النصيري إلى لبنان استبدل موسى الصدر وجهه الوطني الإســـلامي بوجـــه باطني استعماري، وقام بالدور التالي؛ أمر الضابطَ إبراهيم شاهين فانشق عن الجـــيش العـــربي، وأسس طلائع الجيش اللبناني الموالية لسوريا، كما انشق الرائد أحمد المعماري في شمـــال لبنـــان وانضم للجيش النصيري، وكان جيش لبنان العربي أكبر قوة ترهب الموارنة، فانهار لأنه ما كـــان

١- العراق في التاريخ"، بغداد، دار الحرية، ١٩٨٢م، (٥٦٤ ــ ٥٦٨).

٢- الشيعة والسنة: ص١١.

٣- الأنباء الكويتية في ١/٥/١٩٧٩م.

يتوقع أن يأتيه الخطر من داخله، وأمر الصدر منظمة أمل فتخلت عن القوات الوطنية وانضم معظم عناصرها لجيش الغزاة.

وبدأ الصدر بمهاجمة منظمة التحرير، بحجة اتهام المنظمة بالعمل على قلب النظم العربية الحاكمة وعلى رأسها النظام اللبناني، ودعا الأنظمة إلى مواجهة الخطر الفلسطيني، وكانت ضربة الصدر للفلسطينيين مؤلمة مما جعل ممثل المنظمة في القاهرة يصدر تصريحاً يندد فيه بمؤامرة الصدر على الشعب الفلسطيني وتآمره مع الموارنة والنظام السوري.

وما من معركة خاضها جيش لبنان العربي والقوات اللبنانية الفلسطينية إلا ووجدوا ظهورهم مكشوفة أمام الشيعة، فمثلاً خاضوا معركة قرب بعلبك والهرمل فاتصل سليمان اليحفوفي المفتي الجعفري هناك بالجيش النصيري وسار أمامه حتى دخل بعلبك فاتحاً على أشلاء المسلمين (مثلما دخلوا بغداد في القديم والحديث يتقدمون جيش الغزاة).

وما اكتفى الصدر بهذا القدر من الأعمال بل أوعز إلى قيادة أمل بأن لا يقاوموا الموارنة في حي النبعة والشياح، وهذا يعني أنه سلم مناطق الشيعة في بيروت للموارنة، وتركهم يقتلون ويأسرون كيفما يشاؤون.

وما اكتفى موسى الصدر وشيعته بالتعاون مع حكام سوريا، وإنما أخذوا يطالبون بوقف العمل الفدائي وإخراج الفلسطينيين من الجنوب، ومن أجل ذلك وقعت مصادمات ونظم الشيعة إضراباً عاماً في صيدا وطالبوا بإخراج المنظمات المسلحة من الجنوب، كانت تلك هي الخيانة الأولى للشيعة في لبنان.

أما الخيانة الثانية؛ فقام بها تلاميذ الصدر، وعلى رأسهم نبيه بري الذي قدمه حزب الله ليتفاوض باسمه في الحرب الأخيرة، وبدأت الخيانة في شهر رمضان المبارك من عام ١٤٠٥هـ حيث أعلنت منظمة أمل الشيعية حرباً على سكان المخيمات الفلسطينية في بيروت، واستخدموا في عدوانهم كافة الأسلحة، واستمر عدوانهم شهراً كاملاً، ولم يتوقف إلا بعد استجابة الفلسطينيين ورضوخهم لكل ما يريده الحاكم بأمره في دمشق – حافظ الأسد – ووكيل أعماله في بيروت نبيه بري.

كانت البداية أول ليلة في رمضان ليلة الاثنين ١٩٨٥/٥/٢٠م اقتحمت ميلشيات أمل مخيمي صبرا وشاتيلا، وقامت باعتقال جميع العاملين في مستشفى غزة، وساقوهم مرفوعي الأيدي

إلى مكتب أمل في أرض جلول، ومنعت القوات الشيعية الهلال والصليب الأحمر وسيارات الأجهزة الطبية من دخول المخيمات، وقطعوا إمدادات المياه والكهرباء عن المستشفيات الفلسطينية.

وفي الساعة الخامسة من فجر الاثنين ١٩٨٥/٥/٢٠م بدأ مخيم صبرا يتعرض للقصف المركز بمدافع الهاون والأسلحة المباشرة من عيار ١٠٦ملم، وفي الساعة السابعة من اليوم نفسه تعرض مخيم برج البراجنة لقصف عنيف بقذائف الهاون، وانطلقت حرب أمل المسعورة تحصد الرجال والنساء والأطفال، وأصدر المجرم نبيه بري أوامره لقادة اللواء السادس في الجيش اللبناني لخوض المعركة وليشارك قوات أمل في ذبح المسلمين السنة في لبنان، و لم تمض ساعات إلا واللواء السادس يشارك بكامل طاقاته في المعركة وقام بقصف مخيم برج البراجنة من عدة جهات.

ومن الجدير بالذكر أن أفراد اللواء السادس كلهم من الشيعة، وشاركت القوات الكتائبية المخيمات الفلسطينية بالقذائف المدفعية والصاروخية، وبادرت قيادة الجيش اللبناني ممثلة في ميشيل عون ولأول مرة منذ شهر شباط ١٩٨٤م إلى إمداد اللواء السادس بالأسلحة والذخائر.

وفي ١٩٨٥/٦/١٨م خرج الفلسطينيون من حرب المخيمات التي شنتها أمل، خرجوا من المخابئ بعد شهر كامل من الخوف والرعب والجوع، والذي دفعهم لأكل القطط والكلاب، خرجوا ليشهدوا أطلال بيوقم التي تهدم ٩٠% منها و ٣١٠٠ بين قتيل وجريح و١٥ ألف من المهجرين أي ٤٠% من سكان المخيمات.

إن الفظائع التي ارتكبتها أمل بحق الفلسطينيين الآمنين في مخيماتهم يندى لها الجبين عاراً، ويعجز القلم عن وصفها، أما وقد آن أوان كشف الأسرار، فإليك بعضها منها:

١- قتل المعاقين الفلسطينيين كما ذكر مراسل صحيفة ريبوبليكا الإيطالية وقال: إنها الفظاعة بعينها.

٢- قتل عدد من الفلسطينيين في مستشفيات بيروت، وقال مراسل صحيفة صندي تلغراف في ١٩٨٥/٥/٢٧م إن مجموعة من الجثث الفلسطينية ذبح أصحابها من الأعناق.

٣- نسفوا أحد الملاجئ يوم ١٩٨٥/٥/٢٦م وكان يوجد به مئات الشيوخ والأطفال والنساء في عملية بربرية دنيئة.

٤- ذبحوا ممرضة فلسطينية في مستشفى غزة؛ لأنها احتجت على قتل جريح أمامها.

٥- وذكرت وكالة (أسوشيتد برس) عن اثنين من الشهود أن ميلشيات أمل جمعت العشرات من الجرحى والمدنيين خلال ثمانية أيام من القتال في المخيمات الثلاثة وقتلتهم.

٦- وقال الشاهدان أنهما رأيا أفراد أمل واللواء السادس يقتلون أكثر من ٤٥ فلسطينياً بينهم جرحى في مستشفى غزة وحوله.

٧- وتصيح سيدة فلسطينية وهي تتفحص صف الجثث الطويل (اليهود أفضل منهم)، وأخرى تغطي بعضاً من وجهها وتبحث في قافلة القتلى عن شقيقها تستدير فجأة وتصرخ: إنه هو ولكن الديدان تنخر في جسده .. وجثث وجثث يرتع فيها الذباب.

٨- وذكرت وكالات الأنباء الكويتية في ١٩٨٥/٦/٤م والوطن في ١٩٨٥/٦/٣م أن قوات أمل اقترفت جريمة بشعة، حيث قامت باغتصاب ٢٥ فتاة فلسطينية من أهالي مخيم صبرا و على مرأى من أهالي المخيم.

هؤلاء هم الشيعة، وذلك ما فعلوه بأهل السنة في لبنان، فهلا يفيق أبناء أمتي قبل أن تطالهم سيوف الشيعة وأحقادهم.

ومن كلمات شيخ الإسلام ابن تيمية (الخالدة) والمهمة في هذا الموضوع، والتي إذا طبقتها على الواقع، وإذا استقرأت من خلالها وقائع التاريخ رأيت صدقها كالشمس قوله – رحمه الله –: "**فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتناً وشراً، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة**"[١].

١- منهاج السنة: ٢٤٣/٣.

سنة لبنان .. إلى أين المصير؟

في عام ١٩٧٨، وصف صحفي مصري لبنان فقال: " .. إن لبنان يُعد لكي يكون الحفرة التي يساق إليها العرب جميعًا برجالهم أو أموالهم أو بخلافاتهم، إنما الحفرة التي يراد منها أن ينسى العرب ما قبلها، فالإنسان لا ينسى كارثة بكارثة تتلوها يراد بها أن تكون دمارًا يضحى فيها بلبنان، ولكن أيضًا لكي ينسى العرب فلسطين ..".

هكذا كانت لبنان في ١٩٧٨، وفي ٢٠٠٦ عادت لبنان إلى الواجهة من الجديد ولكن لا لتكن الحفرة التي يساق إليها العرب، ولكن لتكن نموذجًا مصغرًا لما يجرى في المنطقة الأوسع، ولتكن ساحة يعاد فيها رسم المسارات السياسية فيما حولها من دول.

إن ما يجرى في لبنان هو التنازع بين المشروع الصليبي الغربي القادم من وراء البحار، والمشروع الشيعي الفارسي القادم من طهران، وما بين المشروعين يقف المشروع السني، إما أن يسقط في يد أحد منهما، أو يسقط صريعا بينهما، أو تكون الثالثة التي نرجوها أن يستعيد المشروع السني دوره وتاريخه.

ولتزيد الصورة وضوحًا، فنقول: أصبح من نافلة الحديث الإشارة إلى المشروع الأمريكي الغربي الذي يعيث فسادًا في المنطقة العربية والإسلامية، فهو مشروع يجهر أصحابه به ولا يخفوه، أما المشروع الآخر القادم من طهران، فلا ينكر أحد وجوده، وإن كان هناك خلاف حول أهدافه ومراميه، بين من يرى أنه يخدم المشروع الإسلامي، وبين ما يرى أن ما حدث في أفغانستان والعراق من تواطؤ مع الاحتلال الأمريكي يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المشروع الإيراني لا يخدم سوى المشروع الصفوي الفارسي.

التاريخ يقول كلمته:

ومن الجيد هنا أن نستدعى التاريخ لنرى ماذا يقول في هذا الظرف المعقد، ولن نرحل بعيدًا في أغوار التاريخ بل سنذهب إلى الدولة الصفوية[١]، يقول الدكتور محمد عبد اللطيف هريدي في كتابه "الحروب العثمانية الفارسية" عند ذكر أسباب ضعف الدولة العثمانية: "أما أهم

١- والدولة الصفوية لمن لا يعلم ساهم في تأسيسها ووضع أسسها العلمية "المحقق الكركي" وهو أحد رجال الدين الشيعة من جبل عامل بلبنان، كما أن علماء الدولة الصفوية هم من أعادوا كتابة المذهب الشيعي الإمامي ويأتي على رأسهم "المجلسي" صاحب موسوعة "بحار الأنوار".

العوامل قاطبة فهو الحروب العثمانية الإيرانية، إذ كانت هذه الحروب من الضراوة وطول الأمـــد ما يكفي لإنهاك العثمانيين وضعفهم ومن ثَمّ عدم قدرتهم على الصمود في الجبهة الأوروبية ممـــا يعني انحسار المد الإسلامي عن أوروبا .."

ويقول في موضع آخر: "وهكذا بدلاً من أن يضع الصفويون يدهم في يـــد العثمـــانيين لحماية الحرمين الشريفين من التهديد البرتغالي ولتطهير البحار الإسلامية منهم وضعوا أنفسهم في خدمة الأسطول البرتغالي، لطعن الدولة العثمانية من الخلف، ورغم انتصار العثمانيين عليهم فإن الحروب معهم كانت استنزافاً لجهود العثمانيين على الساحة الأوروبية وعرقلة للفتوح الإسلامية"

.

وتنقل كتب التاريخ عن "بوسيك سفير" فرديناند في بلاط السلطان محمد الفاتح قولـــه: **"إن ظهور الصفويين قد حال بيننا (الأوروبيين) وبين التهلكة (علـــى أيـــدي العثمـــانيين)"؛** ونتساءل ماذا لو جعلنا تلك العبارة على النحو التالي: "إن ظهور "فرق الموت" قد حـــال بيننـــا (الاحتلال الأمريكي) وبين التهلكة (على أيدي المقاومة)"، أليس تكون وصفًا صحيحًا لما يجرى في العراق؟.

ولقد شهد التاريخ كثيراً من مؤامرات الصفويين ضد العثمانيين، خاصة في عهد إسماعيل الصفوي، فبعد الهزيمة المرة التي لحقت به في موقعة جالديران أمام السلطان سليم تحرك للتحـــالف مع البرتغاليين فأقام العلاقات معهم ووجدوها هم فرصة سانحة لهم ولأوروبا التي فرحت بظهور الدولة الصفوية من أجل تخفيف الضغط العثماني عليهم؛ ولذلك سعت الـــدول الأوروبيـــة إلى إسماعيل تعرض عليه تثبيت عُرى الصداقة والمودة لحضه على إيجاد علاقات سياسية واقتصادية.

وأما البرتغاليون فقد تمت اتفاقية بين الشاه إسماعيل والبوكرك، الحاكم البرتغالي في الهند نصت على أربع نقاط هي:

١. تصاحب قوة بحرية برتغالية حملة إيران على البحرين والقطيف

٢. تتعاون البرتغال مع إيران في إخماد حركات التمرد في بلوجستان ومكران .

٣. تتحد الدولتان في مواجهة الدولة العثمانية .

٤. تصرف حكومة إيران النظر عن جزيرة هرمز ، وتوافق على أن يبقى حاكمها تابعـــاً للبرتغال وأن لا تتدخل في أمورها الداخلية

وهي بنود لا تحتاج إلى تعليق، فهي ناطقة بالتعاون الصفوي مع الغرب ضد الدولة العثمانية السنية، كما اتفق الصفويون مع جمهورية فينيسيا "البندقية" على الدولة العثمانية، حيث أرسل الشاه إسماعيل السفراء إلى بلاط فينيسيا طالباً الهجوم على العثمانيين عن طريق البحر، وأن يقوم هو بالهجوم من ناحية البر، كما قدم الشاه عباس عروضا للأسبان عن طريق البندقية لكي يتقاسما أراضي الدولة العثمانية فتحصل الأولى على الجزء الأوروبي وتستأثر الثانية بالآسيوي و لم يكن هذا العرض سوى واحد من عروض كثيرة حملها سفراء إيرانيون كانوا يقطعون المسافة بين أوروبا وإيران جيئة وذهابا (الحروب العثمانية الفارسية: ٧٢).

وإذا غصنا في التاريخ كثيرًا، وجدنا أن هذا المنهج الصفوي في التعاون مع الدول الغربية ضد أهل السنة سمة للدول الشيعية، فيذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في حوادث عام ٤٩١هـ: أنه لما بدأ الصليبيون في التوجه نحو بيت المقدس، ولما رأى "أصحاب مصر من العلويين قوة الدولة السلجوقية، وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة، و لم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم، خافوا، وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين المسلمين" (الكامل:١٨٦/٨).

غير أنه لما سقطت بيت المقدس في أيدي الصليبيين وما تبع ذلك من دوى هائل في الشعوب المسلمة، كان لابد من الدولة الفاطمية من عمل تحفظ به ماء وجهها، وقد كان، حيث يذكر ابن الأثير في حوادث عام ٤٩٢ هـ "في هذه السنة، في رمضان، كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج، وسببها أن المصريين لما بلغهم ما تم على أهل القدس، جمع الأفضل أمير الجيوش العساكر، وحشد، وسار إلى عسقلان، وأرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا، ويتهددهم، – شجب واستنكار ولا مزيد – فأعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على أثره، وطلعوا على المصريين، عقيب وصول الرسول، و لم يكن عند المصريين خبر من وصولهم، ولا من حركتهم، و لم يكونوا على أهبة القتال، فنادوا إلى ركوب خيولهم، ولبسوا أسلحتهم، وأعجلهم الفرنج، فهزموهم، وقتلوا منهم من قتل .."(الكامل:١٩١/٨)، وهكذا نرى أن ما فعله الفاطميون لا يعدو الاستعراض الإعلامي؛ وإن الشيعة وإن اشتبكوا مع الصليبيين في معارك إلا إنها كانت **معارك إستراتيجية،** أي سياسية الهدف من ورائها تحقيق مكاسب سياسية، وقد كان فها هو

حزب الله يطالب الآن بإسقاط حكومة السنيورة الذي كان يومًا ما من أعضائها وأركانها، إلا إنه يراها بعد حربه مع إسرائيل أقل من طموحاته السياسية.

وهكذا، نرى أن التاريخ دومًا يعيد نفسه، وإن ما فعلته الدولة الصفوية بالأمس، أعادته دولة الملالي اليوم حتى فخرت بأنه لولاها ما سقطت كابول ولا بغداد، وما حدث بين الفاطميين وبين الصليبيين، حدث مثيله بين حزب الله وإسرائيل؛ وبعد تلك الإطالة التاريخية التي كان لابد منها ندلف إلى موضوعنا، وهو واقع سنة لبنان بين هذين المشروعين.

من هم الأكثرية؟:

قبل العدوان الأمريكي على العراق، كثر الحديث وكثرت المزاعم عن أن الأكثرية الشيعية المضطهدة من الأقلية السنية، غير أنه اتضح لاحقًا كذب دعوى الأغلبية الشيعية في العراق، وبان للجميع عبر الدراسات الإحصائية وعبر الواقع أن الأغلبية للسنة وليس للشيعة، والآن مع محاولات تغيير الأوضاع في لبنان عاد الحديث مجددًا عن الأكثرية وما فتئ حزب الله يشكك في حكومة فؤاد السنيورة بدعوى أنها لا تمثل الأكثرية الحقيقية، حتى ظن كثير من المسلمين أن السنة أقلية في لبنان، بل قدمت إحصاءات تزعم أن الأكثرية للشيعة، غير أن دراسة إحصائية قام بها الباحث "يوسف الدويهي" أثبتت أن الطائفة السنية هي أكثر الطوائف اللبنانية عددًا حيث تمثل (٢٩.٦%)، يليها الطائفة الشيعية (٢٩.٥%)، ثم الموارنة، وبذلك تكون الغلبة والأكثرية للسنة، وليس كما يظن البعض للموارنة أو للشيعة.

سنة لبنان .. عقود من الاضطهاد:

منذ الحروب الصليبية، وتعد منطقة الشام هدفًا للمشروع الصليبي القديم، ومع عودة المشروع الصليبي في القرن العشرين، كانت منطقة الشام محورًا أساسيًا فيه، وكانت اتفاقية "سايكس – بيكو"، وصارت لبنان من نصيب فرنسا التي لم تخرج منها إلا وقد مكنت للموارنة الحكم، وبعد ضغوط من المسلمين والدول المجاورة، شارك المسلمون في الحكم مناصفة مع الموارنة، لتكون لبنان أول دولة مسلمة تحكم بهذا الشكل، و لم ترضى الدول الغربية بهذا الوضع فعملت على إضعاف السنة كلما قويت شوكتهم، فبعد سنوات قليلة من الاستقلال اغتيل رياض الصلح رئيس الوزراء السني في عام ١٩٥٧ وكان زعيمًا سنيًا قويًا، بعدها بسنوات كان موسى الصدر الشيعي الإيراني قد وصل إلى لبنان وبعد فترة قليلة حصل على الجنسية اللبنانية وبتدخل

من الرئاسة المارونية، وقام الصدر بدوره المنوط به حيث دعا إلى إنشاء المجلس الشيعي الأعلى، وبذلك انقسم المسلمون إلى سنة وشيعة، وكان ذلك إضعاف جديد للمسلمين في لبنان أمام الموارنة.

واندلعت حرب لبنان بين السنة من جهة والموارنة من جهة، وتدخلت القوات السورية لما رأت الكفة تميل لصالح السنة ووقفت بجوار الموارنة وقامت حركة أمل بزعامة نبيه بري، وكان من بين أعضائها حسن نصر الله، بدورها في إيقاع أبشع المجازر باللاجئين الفلسطينيين.

وانتهت حرب لبنان على عدة حقائق تمثلت فيما يلي:

١- **إضعاف السنة**، وتم ذلك عبر العديد من الأمور نجملها في النقاط الآتية:

- إخراج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، وتحجيم دور اللاجئين الفلسطينيين داخل مخيماتهم.
- القضاء على حركة "المرابطون"، وكانت حركة سنية مسلحة، كما قامت قوات الفجر التابعة للإخوان المسلمين بتسليم أسلحتها، وبذلك نزع سلاح الطائفة السنية.
- اغتيال زعماء السنة البارزين، حيث اغتيل في تلك الحرب، الشيخين صبحي الصالح وحسن خالد مفتي لبنان، واغتيل رشيد كرامي رئيس الوزراء السني.

وبذلك أضعفت الطائفة السنية، إضافة إلى الدور الذي قامت به القوات السورية في مطاردة أي نشاط سني والعمل على تحجيم قدرات السنة.

٢- **بروز "حزب الله" كقوة مقاومة في الجنوب اللبناني**، وصاحب ذلك فتور في شهرة حركة أمل، وكان خروج "حزب الله" من رحم حركة "أمل" محاولة للابتعاد عن المجازر التي ارتكبتها أمل بحق الفلسطينيين، وقام "حزب الله" باحتكار الجنوب اللبناني ومنع أية حركة سنية مقاومة من العمل هناك، وساعده في ذلك الوجود السوري.

وبعد سنين من التدخل السوري في لبنان، أرادت أمريكا إعادة رسم الأوضاع من جديد فكان اغتيال الحريري وما تبعه، وعادت لبنان إلى الواجهة، وتأزم الوضع حتى كثر

الحديث عن إمكانية اندلاع حرب أهلية، ولكنها هذه المرة ستكون إذا شبت، وهو أمر مستبعد، بين السنة من جهة وبين الشيعة من جهة، وعلى الجهتين تنقسم الطائفة المسيحية، وبذلك يكون السنة هي الطائفة المستباحة في لبنان، ففي القديم يشتبك معها النصارى، وفي الحديث يشتبك معها الشيعة، فكل من أراد أن يزيد من نفوذه لم يجد إلا السنة.

مشاكل السنة السياسية:

قبل الحديث عن مشاكل السنة في لبنان، نستعرض القوي السنية اللبنانية، والتي نستطيع تقسيمها اللبنانية إلى ثلاث تيارات كبيرة، يندرج تحتها عدد من الفاعلين السياسيين:

١– العائلات السياسية:

تتميز الساحة السياسية اللبنانية بالتأثير القوي للعائلات، حيث تورث العائلات لأبنائها العمل السياسي والأنصار، ويوجد بين السنة عدد من تلك العائلات، من أبرزها آل الصلح وسلام وكرامي، وانضم إليها مؤخرًا عائلة الحريري، وتحتكر هذه العائلات في الغالب العمل السياسي.

٢– الحركات الإسلامية:

والمقصود بها التيارات الإسلامية المستقلة، ويأتي على رأسها "الإخوان المسلمون" المتمثلة في الجماعة الإسلامية بلبنان، ثم التيارات السلفية، وهناك بعض المتأثرين بفكر تنظيم القاعدة، ويتباين موقف هذه الحركات من الأوضاع السياسية في لبنان بشكل لافت.

٣– دار الإفتاء:

في المجتمعات الطائفية، يكون لعلماء الدين دور بارز في توجيه أبناء الطائفة، ومثل بقية الطوائف، تحتل دار الإفتاء موقعًا هامًا عند السنة، ويتميز علماء الدين اللبنانيين بدرجة عالية من الوعي، كما أخرجت دار الإفتاء عددًا من الزعماء البارزين مثل الشيخ صبحي الصالح، والمفتي حسن خالد، إلا إنه تم إضعاف دورها عقب الحرب الأهلية.

هذه أهم القوي السنية الفاعلة في الساحة اللبنانية، أما المشاكل التي يعاني منها السنة في لبنان، وتسببت في ضعفهم وقلة فاعليتهم فتتمثل في النقاط التالية:

- **تمزق السنة:** يعاني السنة من تمزق واضح في المواقف السياسية، فالجماعة الإسلامية تميل لموقف حزب الله، وأغلب العائلات السياسية ترفض ما تقوم به عائلة الحريري،

وهكذا، فإن السنة لم يستطيعوا في تشكيل موقف سياسي موحد لهم، وذلك مقارنة بالطائفة الشيعية والتي نحت خلافاتها جانبًا وقام حزب الله وأمل بتشكيل غرفة عمليات مشتركة منذ الحرب، وانضم نبيه بري إلى المعارضة رغم موقعه كرئيس للبرلمان، فهذا التوحد في الموقف الشيعي، لا نجد مثيله في الموقف السني.

- **ضعف القيادة الدينية:** منذ استشهاد المفتي حسن خالد، وهناك إصرار على إضعاف دور القيادة الدينية السنية في لبنان، وقد تحقق ذلك عبر جعل مفتي الجمهورية اللبنانية موظفًا لدي الدولة اللبنانية، ورفض الدعوات التي طالبت بتأمين وضع مالي مستقل للقيادة الدينية الرسمية يكفل لها الاستقلال السياسي والشرعي، ولعل من دلائل ذلك الضعف أن منصب مفتي طرابلس شمال لبنان لا يزال شاغرًا منذ سنتين.
- **إضعاف الزعامات السنية:** عمل الوجود السوري على إضعاف الزعامات السنية، غير أن نظام العائلات السياسية تسبب كذلك في ضعف الزعامات السنية، حيث عملت كل عائلة على تحقيق مصالحها وأهدافها بالدرجة الأولى واحتكار العمل السياسي، وأقرب الأمثلة على ذلك ما تفعله عائلة الحريري مع بقية زعماء السنة أمثال سليم الحص وعمر كرامي وتمام سلام، فهم وإن كانوا على خلاف مع عائلة الحريري إلا إن من أكبر الخطأ إقصائهم عن العمل السياسي، بل وتقديم "سمير جعجع" قاتل رشيد كرامي عليهم، مما يسبب تمزق الطائفة السنية.
- **الفشل في صياغة موقف مستقل:** ومن أكبر مشاكل السنة فشلهم في صياغة موقف مستقل، فهم ما بين الميل لحزب الله تحت شعار تحرير فلسطين (الجماعة الإسلامية)، وما بين الميل للمشروع الأمريكي تحت شعار تحرير لبنان من الوجود السوري (عائلة الحريري)، ولا سبيل للخروج من هذه المعضلة سوى بصياغة مشروع سني مستقل يجمع بين مقاومة الاحتلال الصهيوني، ومقاومة الغزو الفارسي الشيعي.

لا تنتظروا أحدًا:

أما السبيل للخروج من المأزق الذي يعيشه السنة في لبنان، فإننا نقول لهم ونقول لكل السنة في العالم المسلم: "لا تنتظروا أحدًا، فلن يأتي أحد".

نعم لا تنتظروا حزب الله فلحزب الله أجندته وأهدافه وها هو يصرح بعداوته لكم وينقل معاركه من الجنوب إلى بيروت، ويرسل مقاتليها إلى العراق لقتل إخوانكم السنة هناك.

لا تنتظروا إيران فأهدافها صارت واضحة لكل ذي عينيين وها هي بعد أن ساعدت الأمريكيين على احتلال أفغانستان والعراق، وارتكب أتباعه أبشع المجازر بحق أهل السنة، ها هي تتحرك استجابة لتوصية لجنة بيكر لمناقشة الوضع في العراق.

ولا تنتظروا سوريا فجرائمها في حقكم معروفة مشهورة.

وبالطبع لا تنتظروا أمريكا أو إسرائيل، فأهدافهما معروفة وجرائهما مشهودة.

وليكن كلامنا مفيدًا، نقول إن على سنة لبنان تأسيس مجلس إسلامي أعلى يضم علماء الدين وقادة السياسة من أجل بناء موقف سياسي موحد، ولا يحق لأحد الخروج عن مرجعيته، ويكون هذا المجلس شاملاً لكافة التيارات السنية حتى يكون قراره موحدًا ومستقلاً، ولمن يرى في كلامنا هذا خيالاً نذكره بأن الشيعة في لبنان لم تصل إلى ما فيه من قوة إلا ببداية مثل تلك عندما أنشئ المجلس الشيعي الأعلى، فيجب على أهل السنة توحيد موقفهم وصياغة موقف مستقل موحد.

شهادات وملاحق

بعد ما عرضناه في هذا الكتاب من حقائق ومعلومات قد تكون خافية على كثير من الناس والمسلمين الطيبين، نرد هنا بعضًا من الشهادات التي تثبت لنا ما توصلنا إليه في هذا الكتاب وما كشفناه من حقيقة الشيعة وخطرهم على الأمة المسلمة.

صبحي الطفيلي:

أول الشهادات التي نستحضرها في هذا الكتاب، شهادات صبحي الطفيلي الأمين العام الأول لحزب الله، الذي شهد تأسيسه والذي على الرغم من خروجه منه يعلم من أموره ما لا نعلم، وقد أجرى الطفيلي حوارات كثيرة مع وسائل الإعلام نختار منها حواراته مع صحيفة "الشرق الأوسط"، وقناتي الجزيرة والعربية.

ونشير هنا إلى أن صبحي الطفيلي ولد في منطقة بريتان عام ١٩٤٧ ودرس العلوم الدينية في العراق وهرب منه بسبب ملاحقة النظام البعثي له، بعدها تابع دراسته في قم في إيران وشارك في الثورة الإسلامية ضد نظام الشاه.

في عام ٨٢ شارك في تأسيس حزب الله.

عام ٨٩ انتخب كأول أمين عام لحزب الله.

عام ٩١ ونتيجة لخلافاته مع قيادات الحزب خرج أو تم إخراجه من منصب الأمين العام.

في العام ٩٧ وبعد إعلانه لثورة الجياع والعصيان على الدولة اللبنانية تم فصله من عضوية مجلس الشورى بحزب الله.

حوار صبحي الطفيلي مع الشرق الأوسط في عام ٢٠٠٣:

الشرق الأوسط: إذا، تعتبر أن المقاومة انتهت؟

الطفيلي: وهل ذلك موضع نقاش؟ لقد بدأت نهاية هذه المقاومة مذ دخلت قيادتها في صفقات كتفاهم يوليو (تموز) ١٩٩٤ وتفاهم ابريل (نيسان) ١٩٩٦الذي أسبغ حماية على المستوطنات الإسرائيلية وذلك بموافقة وزير خارجية إيران.

الشرق الأوسط: لكن هذا التفاهم اعتبر انتصاراً للبنان لأنه حيد المدنيين اللبنانيين أيضا واعترف بشرعية المقاومة، مع إن عمليات للمقاومة تحصل في مزارع شبعا بين الحين والآخر؟.

الطفيلي: هذا التفاهم الهدف الأساسي منه تحييد المقاومة وإدخالها في اتفاقات مع الإسرائيليين، كما أن العمليات الفولكلورية التي تحصل بين حين وآخر لا جدوى منها لأن الإسرائيلي مرتاح، وهل هناك فرق بين الإسرائيلي في مزارع شبعا والإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة؟ هذا اعتراف بالاحتلال، **وما يؤلمني أن المقاومة التي عاهدني شبابها على الموت في سبيل تحرير الأراضي العربية المحتلة، تقف الآن حارس حدود للمستوطنات الإسرائيلية، ومن يحاول القيام بأي عمل ضد الإسرائيليين يلقون القبض عليه ويسام أنواع التعذيب في السجون.**

الشرق الأوسط: أية سجون؟

لقد حدثت أكثر من حالة، وقد سلم الذين قاموا بمحاولاتهم إلى السلطات اللبنانية التي أخضعتهم للتحقيق والتصنيف.

الشرق الأوسط: متى كانت لحظة التحول في الموقف الإيراني حيالك، وهل كان لإيران دور في إبعادك عن مركز القرار في الحزب؟

رغم كل ما حصل معي، كنت حريصاً على إبعاد وضعي الشخصي عن الوضع العام ... لكن بعد التحول الذي حصل في الموقف من المقاومة وتحول إيران الى منسق للشئون الأمريكية في المنطقة رأيت أن اخرج عن صمتي.

الشرق الأوسط: لكن الحزب تميز بعدك بنغمة لبنانية.

من يقول في لبنان أن إيران لا تتدخل كاذب، القرار ليس في بيروت وإنما في طهران.

الشرق الأوسط: حتى خلال ولايتك؟

نعم، حتى خلال ولايتي كان لـ(القيادة) المركزية في إيران موقعها في القرار، لكن حينها كان هناك انسجام في المواقف والقرارات، ولم نكن نعتبر أن القرارات تملى علينا، بل هي قناعاتنا، وحين يأتي أمر من الإمام الخميني أو غيره ممن يعينهم يقول لنا قاتلوا إسرائيل، فنحن لا نعتبره أمراً بل هو من قناعاتنا.

الشرق الأوسط: ألا ترى تعارضاً في ما تتحدث به عن التواطؤ الإيراني وبين الضغوط التي تمارس أمريكياً وغربيا على إيران؟

حتى لا نخدع أنفسنا، أقول لا شك في أن هناك حواراً أمريكياً – إيرانياً بدأ قبل غزو العراق، وإن وفداً من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية المؤيد لإيران زار واشنطن لهذه الغاية، والتيارات الإيرانية في العراق هي جزء من التركيبة التي تضعها الولايات المتحدة في العراق، حتى إن أحد كبار خطباء الجمعة في العاصمة الإيرانية قال في خطبة صلاة الجمعة إنه لولا إيران لغرقت أمريكا في وحل أفغانستان، فالإيرانيون سهلوا للأمريكيين دخول أفغانستان ويسهلون بقاءهم الآن، **أما القول عن اعتقال سفير سابق هنا أو حديث عن سلاح نووي هناك فهو يدخل من باب السعي الأمريكي لتحسين شروط التعاون الإيراني،** التشيع يستخدم الآن في إيران لدعم المشروع الأمريكي في أفغانستان.

مقتطفات من حوار صبحي الطفيلي مع الجزيرة:

والذى كان بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٣

سامي كليب: نعم بس شيخ صبحي الطفيلي يعني هناك التخوين لحزب الله يعني في بعض التصريحات إنك حتى قلت إنه تفاهمات حدود ١٩٩٤..

صبحي الطفيلي: هلا خونت أه قلت خيانة لأهلنا نعم.

سامي كليب: طب يعني في تخوين حتى في الصراع مع إسرائيل إنه حتى قلت إنه اتفاق نيسان ١٩٩٦..

صبحي الطفيلي: هذا موضوع آخر.

سامي كليب: إنه كان نهاية المقاومة وشرعية للمستوطنات وحماية للحدود الإسرائيلية.

صبحي الطفيلي: نعم صحيح.

سامي كليب: على إنه حزب الله وكأنك تتهم حزب الله وكأنه يحمي حدود إسرائيل.

صبحي الطفيلي: نعم مش أهم وهل هناك من يشك بذلك، **الإسرائيليون من بعد ما انتزعوا ما عرف بتفاهم نيسان اللي اعترف حزب الله من جهته أنه بمنأى بالامتناع عن ضرب الأهداف الفلسطينية اليهودية في فلسطين إنه هو مقاومة لبنانية داخل الأرض اللبنانية إذا هناك جنود إسرائيليون في لبنان هو له حق أن يقاتلهم أما ليس له حق أن يقاتل داخل فلسطين يعني موضوع تحرير فلسطين وما شابه ذلك موضوع شطب من الخريطة** وهنا كانت المصيبة يعني هنا كانت الكارثة، أراد الإسرائيلي أن ينسحب من لبنان من سنة ١٩٩٦ قبل ذلك كان هو طرح هذا الأمر بطرق معينة بالثمانينات ورفضناه.

سامي كليب: طرح عليكم كحزب؟

صبحي الطفيلي: مو مباشرة من خلال بعض القنوات.

سامي كليب: بأي شروط؟

صبحي الطفيلي: لا، لا جاء بعض الناس يعني تحت عنوان صحفيين وغير صحفيين وما شابه ذلك أنه يا أخي يمكن أن ينسحب الإسرائيليون إذا أخذوا ضمانات أنكم إذا وصلتم للحدود ما يسير في مشاكل بينكم وبينهم وكان جوابنا في حينها أنه حينما دخلوا لم يستأذنوا أحدا وعليهم أن يخرجوا دون استئذان من أحد أو تفاهم مع أحد واليوم باستثناء مزارع شبعة من الحدود للمياه منطقة محروسة آمنة أكثر من الحدود الفلسطينية المصرية والحدود الأردنية الفلسطينية والحدود السورية الفلسطينية وهذا ما يشكر عليه الأميركيون حزب الله.

سامي كليب: من يسمع كلامك اليوم عن حزب الله يبدو له الأمر وكأنك تضع حزب الله في مرتبة الذين يقدمون خدمات لأميركا ومن خلالها لإسرائيل أيضا من خلال حماية الحدود يعني هل وصل الأمر فعلا إلى هذه الدرجة؟

صبحي الطفيلي: هي الحقيقة.

سامي كليب: طيب الحزب حين يسأل عن هذا الأمر يقول إنه قدم تضحيات كبيرة لأنه حتى أمين عام الحزب الحالي الشيخ نصر الله يعني قدم ابنه هادي في سبيل المقاومة وحرر لبنان وطبق القرار٤٢٥ بقيت مزارع شبعة يقاوم فيها ما هو المطلوب أكثر؟

صبحي الطفيلي: .. حزب الله اليوم يقول أنا مقاومة في حدود لبنان أنا ملتزم بتفاهم نيسان الذي يمنعني من قتال العدو الإسرائيلي داخل أرض فلسطين، حزب الله يقول أنا أضرب في

مزارع شبعا في بعض الأحيان حينما يضرب لأنها أرض لبنانية يقول له الإسرائيلي هذه أرض سورية ليس لك حق أن تضرب فيها حتى ليست فلسطينية ويعتبر لأنها سورية ليس له حق أن يضرب ضمن التفاهم فهناك تفاهم هل ينفي هذا أحد وحزب الله يقول أنا ألتزم به هل ينفي هذا أحد هذا التفاهم يقول يمنع على حزب الله أن يضرب في الأرض الفلسطينية ما معنى هذا هل هناك فلسفة معينة لإخراج الأمور من دائرتها الطبيعية متجهة نحو حماية الحدود الشمالية لفلسطين يعني أنا إذا أنا أو أنت أو إنسان يحمل البندقية ويريد أن يقاتل العدو الإسرائيلي اليوم يذهب إلى الحدود من يمسكه من يعتقله أليس شبابنا الطيبون الطاهرون المساكين.

سامي كليب: حصلت حالات؟

صبحي الطفيلي: كثير.

سامي كليب: شيخ صبحي اسمعني يعني هناك تمييز بين رغبة قيادات الحزب ومقاومي الحزب بالاستمرار يعني لا أشك ولا لي لحظة ربما يعني الشيخ نصر الله يريد المقاومة حتى تحرير القدس ولكن هل هو مالكا لقراره؟

صبحي الطفيلي: وأنا كذلك وأنا مثلك لكن هذه الرغبة كم أقدر على الحفاظ عليها كم أقدر على الائتمان عليها هذا موضوع آخر، الحزب قد لا يستطيع الاستمرار وأنا قلت إذا لا تستطيعون الاستمرار ربما لو كنت مكانهم لا أستطيع الاستمرار ربما أنا مثلا أخير ما بين حرب داخلية مثلا أو وقف المقاومة مثلا، انسحبوا لتكن مهمة حراسة الحدود على يد غيركم وليس على يدكم هنا المشكلة هنا الداء وبالمناسبة لو أن غير شباب حزب الله هم اللي على الحدود كانت كان الأمر مختلف كان كثير من الناس يستطيعون اختراق الحدود والقيام بعمليات ضد العدو الإسرائيلي لكن الحزب بما لديه من كفاءة ومن إمكانيات وسمعة وكذا إلى النهاية هو الأقدر على الحماية هنا المصيبة وهنا الكارثة ابتعدوا عن الحدود قليلا ولو خمسمائة متر لا شأن لكم بمن يدخل ويخرج نحن جاهزون لقتال العدو الإسرائيلي حينما نستطيع أن نقاتل دون أن نزج في فتن داخلية ممكن يكون هذا صواب وممكن أصفق لهم وأرحب بهذا الأمر لكن اليوم الأمر ليس كذلك اليوم نحن نحمي الحدود نحن نحرس وهذه هي المشكلة.

سامي كليب: طيب بمعني آخر أنه إيران هي التي ضغطت على حزب الله ليتلبنن ليصبح أكثر عقلانية؟

صبحي الطفيلي: نعم أكثر.. لا عاقل كان حزب الله ليصبح أقل عقلانية ليصبح يعني أقل نقاء.

حوار صبحي الطفيلي مع قناة العربية (الخميس ٢٠٠٦/٥/٤):

جيزال خوري: كيف علاقتك اليوم بقيادة حزب الله الحالية لاسيما بالأمين العام السيد حسن نصر الله؟.

صبحي الطفيلي: ما في علاقة يعني منذ ٩٧ ما في علاقة.

جيزال خوري: ليش؟ ما هو الخلاف الأساسي؟.

صبحي الطفيلي: هم حينما دعوتهم للدفاع عن شعبنا رفضوا وقالوا اذهب ونحن سنقف ضدك وهكذا كان.

جيزال خوري: ما هو السبب؟.

صبحي الطفيلي: هم ملتزمون بالسياسة الإيرانية.

جيزال خوري: وليش إيران ما بدها يعني تهتم بشباب شيعة إذا بتسمح وخاصة في منطقة بعلبك ليش إيران هي ضد؟.

صبحي الطفيلي:.. أنا قلت أن الشيعة في لبنان هم مزرعة لإيران بهذا المعنى أنه جيّرت المقاومة لأمور غير المقاومة اليوم ما عندنا مقاومة للأسف الشديد، وبدل أن تكون هذه المؤسسات والإمكانيات في خدمة الدفاع عن قيام نظام عادل محترم في لبنان، في خدمة الدفاع عن حقوق الناس وبناء مؤسسات اجتماعية وإنسانية وخدماتية صحيحة وسليمة لكل الناس، نحن للأسف في لبنان في أسوأ أحوالنا وهذه الجهة تتحمّل مسؤولية أساسية لا يعني هذا أن غيرها لا يتحمل هي تتحمل وغيرها يتحمل.

جيزال خوري: شو الحل لسلاح المقاومة؟ فيه سلاح مع حزب الله واليوم فيه طاولة حوار شو الحل؟.

صبحي الطفيلي: .. نحن اليوم أمام أزمة حقيقية، أمام صراع دموي داخلي، وأنا مؤمن لن يقبل أحد أن تكون في لبنان طائفة مسلحة والآخرون عُزل هذا أمر مستحيل القبول به، ولن

يصل إلى نتيجة نعم سيوصلنا إلى حرب أهلية، لهذا يحزنني جداً أن يتحول هذا السلاح إلى سلاح شعار فتنة قادمة، وأعتقد أن السبب هو إيقاف المقاومة، وأعتقد أن السبب هو القبول بالتفاهم الذي فُرض على اللبنانيين وفرض على المقاومة، لهذا أنا لا أستطيع أن أفهم المسألة من خلال هذه الصيغة، حرس هذه ليست وظيفة يؤهل لها، يعني اليوم في أنه نحن نريد نحمي الجنوب نحن نريد أن نحمي الحدود، يعني وظيفة حزب الله وظيفة المقاومة اليوم حرس حدود، هذه الوظيفة جداً سيئة، أقبح وظيفة أشنع وظيفة يمكن أن يكلف بها شباب المقاومة، لا أقبل ولا بأي صيغة ولا تحت أي عذر أن تكون وظيفة شباب المقاومة حماية وحراسة، لأنه الحراسة يعني حراسة العدو قبل أن تكون حراسة الشعب.

جيزال خوري: سماحة الشيخ صبحي الطفيلي الكلام اللي قلته يعني قبل ما نعطي الكلمة للإعلان خطير لأنه كأنك تقول أن هناك يعني تفاهم إستراتيجي بين إسرائيل وحزب الله؟.

صبحي الطفيلي: فيه تفاهم، في تفاهم عقد سنة ٩٦ ومشهور.

جيزال خوري: تفاهم نيسان.

صبحي الطفيلي: إيه تفاهم نيسان.

جيزال خوري: هذا مش تفاهم إستراتيجي إنه يعني المقاومة تفتخر بأنها لم تقتل المدنيين وحررت الجنوب.

صبحي الطفيلي: ليس دور هذه .. ليس دور المقاومة أن تصل إلى الحدود، نحن بالثمانينات هذا العرض عُرض علينا ورفضناه، وقلنا نحن مشروعنا ليس أن نحرر بنت جبيل والخيام نحن نريد القدس.

جيزال خوري: حزب الله هو ولاءه لإيران لسوريا أم للبنان؟ حزب الله الحالي طبعاً.

صبحي الطفيلي: أكيد حزب الله هو حريص جداً على علاقته مع السوريين، لكن قيادته هي ولاية الفقيه، وولاية الفقيه يعني سيادة الخامنئي.

المفتي محمد على الجوزو

مفتى السنة في لبنان

أما الشهادة الثانية، فهي للشيخ "محمد على الجوزو" مفتى السنة في جبل لبنان، وشهادته الأولى عبارة عن استغاثة صرخ بها الشيخ للاستيلاء عناصر حزب الله علـى مسـاجد السنة في لبنان، وقد نشر تلك الاستغاثة في مجلة الفرقان — العدد ٢٨٤ — ١٥ مارس ٢٠٠٤.

تعاون بين حزب الله وأمل للسيطرة على مساجد السنة في لبنان !!

أغرب من الخيال... وشيء لا يصدق... هو ما يقوم به حـزب الله في هـذا الوقـت بالذات... حيث يقف أهل السنة والجماعة في الأقطار العربية كافة وراء حزب الله، يشـجعونه ويصفقون له بعد انتصاره في قرى الجنوب على الجيش الإسرائيلي.

هذا الانتصار على ما يبدو دفع بعض شباب حزب الله لمحاولة السيطرة على مساجد أهل السنة والجماعة في الجنوب وفي جبل لبنان، فقد تكررت المحاولات، وآخرها محاولة السيطرة على مسجد النبي يونس في الجية.

وفي بلدة الجية يتعاون حزب الله مع حركة أمل، مع الشيخ عبد الأمـير قـبلان علـى اغتصاب أوقاف السنة، حيث أصدر المجلس الشيعي الأعلى قراراً بتأليف لجنة لأوقاف الشيعة في الجية، ثم ادّعت هذه اللجنة على المديرية العامة للأوقاف الإسلامية السنية في بيروت بأنها صاحبة حق في أوقاف الجية.

والقضية تعرض أمام القضاء اللبناني، في الوقت الحاضر، حيث وضعت إشارة على هذه العقارات، ومن خلال هذه الإشارة يحاول المتعصبون من المنتمين إلى اللجنة الشيعية إيذاء أهـل السنة في أوقافهم وفي مسجدهم، حيث كان أهل السنة يعملون على ترميم مسجدهم وبنائه من جديد، فرفع هؤلاء قضية بحجة تخريب المسجد، وعملوا على إيقاف عمليات الترميم.

وهكذا تحولت القضية إلى قضية مذهبية لجأ فيها شيعة الجية إلى استفزاز أهـل السـنة والجماعة بوضع مكبرات الصوت على سطح المسجد، وإعلان الأذان الذي يتضمن كلمـة "وأن علياً بالحق ولي الله" لأول مرة في تلك البلدة تجاوزوا حدود اللياقة والأدب في تناول مركز الإفتاء

والأوقاف، وأخذوا يكيلون الألفاظ البذيئة ويعبرون عن مشاعر الحقد والكراهية بأسلوب سوقي يعمل على إثارة الفتنة والضغينة بين المسلمين.

حوار مع الشيخ محمد علي الجوزو يكشف حقائق الأزمة اللبنانية

أما الشهادة الثانية للشيخ الجوزو فهي حوار أجرته معه مجلة آخـــر ســـاعة المصـــرية ونشرته بتاريخ ٣٠-٨-١٤٢٧هـــ أي بعد توقف حرب لبنان، وفيما يلي بعضًا من فقرات هذا الحوار:

سماحة الشيخ محمد علي الجوزو: هل تعطينا رؤية عن الموقف في لبنـــان بعـــد قـــرار (١٧٠١)؟

المعركة في لبنان لم تكن معركة حزب الله فقط، هذه المعركة أصبح لها زمن طويل، عدة مرات هاجمت إسرائيل لبنان وانتصرت لبنان بإذن الله، دخلت إسرائيل عام ٨٢ إلي قلب بيروت وحاصرتها ٧٠ يوماً ثم انتصرت لبنان، و لم يكن حزب الله علي الساحة، لبنان بأكمله يستطيع أن يقول كل فرد إنه وقف إلي جانب القضية الفلسطينية وقدم الكثير من أجل هذه القضية وواجـــه إسرائيل بجبروتها وجرائمها واعتداءاتها ودفع الثمن غاليا في كل مرة .

ولقد سألوني عدة مرات لماذا كان حزب الله الذي يحمل هوية شيعية وحده يقاتل علي الساحة و لم يكن لأهل السنة دور إلا المساندة والاحتضان كما تعرف.

وكنت أجيب الكثير من الإخوة الذين لا يعرفون حقيقة ما يدور علي الساحة اللبنانيـــة بأن الشقيقة سوريا تحالفت مع الجانب الشيعي وأسست له جيشاً أو أكثر من جيش ومكنتـــهم من التسلح بالاتفاق مع إيران، بينما حرمت البقية من أبناء الشعب اللبناني من هذا الشرف، يعني منعتنا من أن نتسلح، بل وألقت الكثير من أبنائنا في السجون واضطهدتهم وعاملتهم أسوأ معاملة.

ونحن نعرف كيف أن حافظ الأسد عندما دخل لبنان عام ١٩٧٦ دخل مـــن أجـــل ضرب الحركة الوطنية والثورة الفلسطينية علي أرض لبنان، وكان هذا بالاتفاق مع أمريكـــا وإسرائيل، وقد واجه مقاومة شديدة من قبل جميع الأطراف الموجودة علي الســـاحة اللبنانيـــة، وكانت مقاومة شديدة لدخوله في هذا الوقت مما جعله أي حافظ الأسد خصماً للأطراف الـــتي قاومته، وعلي رأسها أهل السنة والفلسطينيون، من هنا كان لابد له بعد ذلك أن يتحالف مـــع من؟ مع الشيعة، وهذا أخل بالتوازن علي الساحة اللبنانية وجعل المقاومة مقصورة علي إخواننـــا الشيعة .

ويؤكد الشيخ الجوزو: نريد من الآن فصاعدا أن نتحرر نهائياً من التـأثيرات الخارجية علي شعب لبنان وعلي حكومة لبنان، فالذي أوصلنا لما وصلنا إليه هو هذه التدخلات الخارجية .. سوريا لم تكن مرتاحة لخروجها بهذا الأسلوب، وهددت عدة مرات الشعب اللبناني، وكـان آخر تهديد هو الخطاب الذي سمعناه.

كذلك هناك الامتداد الإيراني الذي تبني حزب الله مادياً وعسكرياً، والذي كمـا قلنـا أخل بالتوازن الطائفي والمذهبي علي أرض لبنان، كل هذه الأمور تجعلنا نقول إن انتصار لبنـان الحقيقي ليس فيما حدث من تهديد لأمن إسرائيل في الداخل، ولكن الانتصـار الحقيقـي في أن يتحرر من التأثيرات المذهبية والعرقية التي تحاول أن تدمر الصيغة اللبنانية .. لا نريد تدخلاً سورياً أو تدخلاً إيرانياً .. نحن دولة عربية ولا نرغب أبدا في أن يتدخل أحد من العـرب في شـئوننا الداخلية ولا من العجم، وهذا شيء طبيعي .. لا توجد دولة تحترم نفسها تسمح بتدخل الآخرين في شئونها الداخلية. يعني لو أن العرب حاولوا أن ينشئوا حزبا لهم في داخـل إيـران، وهنـاك عربستان وهؤلاء عرب في قلب إيران ويمكن أن نستغل هذا.. لو أن الدول العربية حاولت إنشاء حزب تموله وتعطيه السلاح في إيران هل توافق إيران علي ذلك؟

هل يعني ذلك أن هناك محاولة لتهميش السنة في المنطقة؟

هناك محاولة للإبادة وطمس الهوية السنية نهائيا في العراق وعدم إشراكهم داخل الجـيش ولا في الشرطة، فلماذا تحاول إيران أن تتدخل في الشأن العراقي والشأن اللبناني والشأن السوري، تحاول أن تمد يدها لكثير من الدول العربية عن طريق التشيع حتى وصل الأمر للأسف الشديد إلي مصر وعندي كتب الآن تصدر في مصر لكتاب أو باحثين مصريين تشيعوا بالمال يقومون بإصدار كتب تهاجم أهل السنة وتهاجم الصحابة وتتطاول علي عقيدة أهل السنة في عاصـمة الأزهـر الشريف في مصر.

ويضيف مفتي الجبل في لبنان: هذه طبعاً سياسة تخيفنا جميعاً لأنها تنذر بأخطار لا حدود لها .. صفق لنا الجميع وطربنا لهذا التصفيق وأثني علينا الناس جميعاً عندما حقق حـزب الله مـا حققه، ولكننا في نفس الوقت نقول إن هذا النصر يجب أن يكون نصراً لبنانياً محضـا لا يتبنـاه بشار الأسد ولا يتبناه أحمدي نجاد، ثم تنصب الاتهامات علي الدول العربية الأخـرى وتكـون

النتيجة أن نتحول إلي مطبلين ومزمرين لإيران، ونعطي شهادة النصر لها بينما تتهم الدول العربية بأبشع الاتهامات.

ما هو الموقف في رأي سماحتك الآن؟

أنا الآن أتوجه إلي حزب الله والسيد حسن نصر الله بأن يعيد النظر في كل ما حـــدث، فإنه رغم نشوة الانتصار لا شك أنه يتألم كثيراً للدمار والخراب الذي عم لبنان وأصـــاب قـــري بكاملها أكثرها من الشيعة وكثير من السنة.

أعتقد أن من واجبات حزب الله الآن أن يصحح المعادلة، ليس في لبنان فقـــط بـــل في المنطقة العربية ككل، لأن كل العرب صفقوا له، وعندما أقول العرب أعني السنة بشكل خـــاص صفقوا لحزب الله، ورفعوا صورة حسن نصر الله، هذا دليل حسن النية وعدم التعصب أو التملق عند أهل السنة، من هنا فإننا نطالب السيد حسن نصر الله أن يصحح المعادلـــة في لبنـــان، وأن يكون جزءاً من الدولة وليس دولة في داخل الدولة.

وماذا بالنسبة للموقف الإيراني؟.

أما إيران فهي دولة إسلامية وكنا نتمنى أن تكون قوة للمســـلمين لا ســـبباً في تفريـــق صفوفهم وفي تمزيق ديارهم، يعني العمل علي تشييع المسلمين السنة في ســـوريا، في لبنـــان، في مصر، هذا تدخل في العقيدة واعتداء مباشر علي أهل السنة، نحن لا نحاول أبدا أن نؤثر علي أحد من الشيعة لكي يغير مذهبه، لذلك ليس من مصلحة إيران أن تقوم بهذا الدور حتى تظـــل علـــي صلة طيبة مع جيرانها العرب.

ثم بادرني سماحة الشيخ محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان بسؤال: قد تســـألني الآن هل أنت مع المقاومة أم ضد المقاومة؟.

أقول لك: أنا مع المقاومة ومع تسليح المقاومة وليس مع سحب السلاح من المقاومـــة، بشرط أن أشعر بأن هذا السلاح عربي المنطلق، وعربي الهدف، وعربي الهوية، ولا ينتمي إلي أيـــة جهة أخري .. وأنا أدعو الدول العربية أن تتبني المقاومة علي أرض فلسطين بالذات لأن إسرائيل لا تحترم اتفاقية السلام ولا تؤمن بالسلام، وتعمل علي ذبح الشعب العربي كل يوم، ومـــا نـــراه علي أرض فلسطين كل يوم خير دليل علي ذلك.

نحن مع المقاومة، مع تقوية المقاومة، بشرط أن تظل هذه المقاومة محافظة علي هويتنـــا، وألا تكون أداة في يد أي جانب يريد أو يحلم أو يطمح إلي تحصيل مكاسب كبيرة علي ســـاحتنا العربية من منطلق مذهبي أو غير مذهبي .. أنا أحمل العرب مســـئولية تخلـــيهم عـــن المقاومـــة الفلسطينية، لأننا بذلك أتحنا الفرصة للتيارات الدينية التي تدين بالولاء لإيران لتسيطر علي الساحة العربية والفلسطينية، بينما أصبحت الدول العربية لا تأثير لها في ساحة المقاومة .. وأنـــا لســـت مضطرا لأن أخضع للتوجهات الأمريكية التي تمنعني من أن أقدم المال لهذه المقاومة حتى تخرج من يدي وتقع في يد الآخرين.

ما الذي يجعل بعض الفلسطينيين يرتمون في أحضان إيران؟ سمعنا كلام أمريكا بأن المادة (المال) سيذهب إلي الإرهاب، ووقفنا نحن وبدأنا نحارب جماعات المقاومة لصالح إسرائيل وإيران في نفس الوقت، لماذا لا توجد في لبنان مقاومة سنية، لأن الدول العربية السنية تخلت عن الســـنة في لبنان بينما ظلت إيران متمسكة بالمقاومة الشيعية ومولتها ودربتها وسلحتها، فكان ما كان.

ومع ذلك فإننا نشد علي يد السيد حسن نصر الله ونقول له: مبروك النصر، شـــرط أن تحول هذا النصر إلي نصر للشعب اللبناني ووحدة الشعب اللبناني وكرامة الشعب اللبناني والحفاظ علي الهوية العربية واللبنانية بعد هذا النصر، نحن لسنا ضد المقاومة ومع حسن نصـــر الله، لكـــن أعمل لي كعرب .. لا تكن إيرانيا وفارسيا.

سماحتك أخبرتني أن المقاومة في الجنوب اللبناني كانت تضم جزءاً من أهل الســـنة.. ماذا عن ذلك؟

كان هناك قرى سنية فقط، لأن المقاومة لم تكن لتسمح بذلك، لقد ذهبت يوماً لحســـن نصر الله وكان هناك خلاف حول مسجد في جبل لبنان حاول الشيعة السيطرة عليه، وكنت قد كتبت عن هذا مقالاً نشرته في مجلتي "فتح الإسلام"، فأرسل إليّ حسن نصر الله وذهبـــت إليـــه، وقد قلت له: لماذا تنغلقون علي التشيع، السنة يصفقون لكم في كل أنحاء العالم العربي، لمـــاذا لا يكون ضمن عناصر حزب الله سنة .. طبعاً لم يقبل لأنه يريد الحزب شيعياً وبعد ذلك نجـــدهم يتساءلون : لماذا لم يقاتل معنا السنة؟.

فسوريا علوية وإيران شيعية والتحالف سائر وما أطلق عليه الملك عبد الله الهلال الشيعي كنت قد حذرت منه من قبل .. ماذا سنفعل لو سقط الخليج والعراق وتمت محاصرته من إيـــران

وسوريا ولبنان، فأين سيكون الخليج ساعتها، هل سيقاوم الخليج ويحارب عــن نفســه وهــل ستذهب مصر للدفاع عن الخليج، إذا سقط الخليج سقطت الثورة البترولية كلها في يــد إيــران والشيعة.

اليوم يطالبون بتقسيم العراق فسيكون البترول كله في الجنوب وفي يد الشيعة وكركوك تطالب اليوم أن تكون عاصمة للأكراد والأكراد لا شيعة ولا سنة رغم أهم ســنة في الأســاس لكنهم باعوا الاثنين وقالوا إننا أكراد، ثروة العراق كلها ستكون في يــد الأكــراد والشــيعة .. والسنة يشربون من البحر.

ما أود قوله: إن هناك خطراً، وقد ذكرت هذا من قبل حيث قلت: ماذا لــو تحــالفوا: إيران وشيعة العراق وعلويو سوريا وحزب الله، وقد حدث.

هل وُجهت اهامات للسنة في لبنان لاختفائهم من ساحة المقاومة؟

إهم يتهموننا بالخيانة، عدد كبير من الشيعة بعد انتهاء الحرب يرددون أن السنة خونــة، لماذا، لأهم يرون أن إسرائيل ضربت الجنوب و لم تضرب بيروت مثلا، ولكن الكــل يعلــم أن الضاحية الجنوبية لبيروت والتي تعرضت للقصف الإسرائيلي هي خليط بين السنة والشيعة رغــم وجود المركز الاستراتيجي لحزب الله في بيروت بها، ويقولون أيضاً: إن هناك اتفاقا بــين الســنة وإسرائيل وأمريكا حتى لا يتعرضوا للضرب.

أنت من حملت الراية وأعلنت الحرب وأخذت قرارك بنفسك، لذا فإن إسرائيل قــررت ضرب القاعدة الشيعية التي يعتمد عليها، حتى يكرهوا أنفسهم ويكرهوا اليوم الذي ظهــر فيــه حسن نصر الله وهو ما يحدث الآن، طوابير التعويضات التي تقف في الجنوب للحصول علي المال ويتساءلون: لماذا فعل بنا هذا؟.

وقناة الجزيرة لعبت دوراً سيئاً، وكان هدفها مهاجمة الدول العربية والإشادة بحزب الله، تهاجم السعودية لأن السياسة القطرية تكره السعوديين ويخرج وزير الخارجية القطري ويدعي أن الدول العربية تتآمر علي لبنان، كيف هذا وأنت لديك قاعدة أمريكية علي أراضيك.

أصبحنا نحن السنة أمام الناس خونة والشيعة هم الوطنيون الذين حاربوا، فهل طلبنا نحن منه أن يحارب عنا، أو كلفناه بمهاجمة بهذا الشكل، ما فعلته تشكر عليه، ولكن لابــد أن تأخــذ

رأيي، لأنني لست في حاجة لنصر جديد، لقد حررت بلدي واليهود خرجوا، لكنك عدت بهم ثانية وعدت كمان بقوات الأمم المتحدة.

أنا أفهم النصر وهو تحرير الأرض من عدو، ولكننا بدلاً من التحرير عدنا بالعدو وإما تأخذ أرضا من عدوك هذا هو النصر ونحن لم نحرر أرضنا ولم نأخذ أرضا من العدو، ولم نحافظ على انتصار الماضي.. العملية الآن عائمة بين رئيس الجمهورية وحزب الله وسوريا.

لو أنني أدافع عن حكومة مصر أو حكومة السعودية يتهمونني بأنني أمريكاني وإسرائيلي، أنت تصادر رأيي لمجرد أنني أخالفك في الرأي وهذا إرهاب فكري، لصالح من هذا، لصالح الدفاع عن حسن نصر الله، فهل حسن نصر الله يدافع عنك مثلما تدافع عنه! هل هو يدافع عن السنة مثلما تدافع عنه! مرة واحدة فقط ذكر أنه يدافع عن الأمة العربية والصحابة وآل البيت وللأسف فالعاطفة الجياشة لدي المسلمين الذين يتعطشون لانتصار علي إسرائيل تحولت لمبايعة لحسن نصر الله وأطلقوا عليه صلاح الدين وهو لا صلاح الدين[1].

صلاح الدين الأيوبي قامة كبري، لأن الحملات الصليبية كانت تضم كل جيوش الغرب دون استثناء، تجيش الجيوش لتحتل الدول العربية وبقوا (٢٥٠) عاماً في بلاد الشام، واحتلوا القدس (٨٧) عاماً حتى حررها صلاح الدين وحرر معها المنطقة العربية، أما أنت فماذا حررت؟ شريط حدودي .. ذات يوم كنت أحضر مؤتمرا إسلامياً في ساحل العاج تنظمه رابطة العالم الإسلامي وكان بصحبتي في الطائرة رجلان، أحدهما شيعي ينتمي لحزب الله وآخر شيخ سني لكنه متشيع، وقد عرفت أن الشيعة في لبنان حين علموا أنني متجه للمؤتمر قرروا حضوره خشية التأثير على نحو (٧٥) ألف شيعي لبناني يعملون ويقيمون في ساحل العاج، وهناك الجالية الشيعية أقامت حفلاً للاحتفاء بالوفد اللبناني ودعوني لأنني الشخصية اللبنانية الرسمية المدعوة للمؤتمر، فإذا بالشيخ الشيعي يخطب في الحضور بأن الشيعة حرروا الشريط الحدودي، وطردوا اليهود وأن شباب الشيعة أبطال، فقمت وأوضحت لهم أن هذا الشيخ يزيف الحقائق نسي الصحابة الذين فتحوا العالم كله ونشروا الإسلام وتهتفون وتمجدون من حرر شريطاً حدودياً وتسبون الصحابة الذين فتحوا العالم، فإذا بالحضور يهتف إسلامية .. إسلامية، لا شيعية.. لا سنية.

١- وقد أوضحنا في فصل "فلسطين بين نصر الله وصلاح الدين" كيف أن الشيعة يكرهون صلاح الدين ويحقدون عليه.

إننا في عالم كله من السنة، مرة جمعنا بشار الأسد دعا المسلمين كلهم في لبنان لزيارته، وأخذ يمدح أهل السنة ويقول إن تاريخ العرب والمسلمين كله للسنة، قلت لـه إنـي شـهدت الاحتلال الفرنسي للشام ولم يكن هناك حدود بين سوريا ولبنان، ولكن هؤلاء السـنة الـذين تتحدث عنهم حولهم ألغام كثيرة وأخبرته لو أردت التعاون معنا عليك أن تنزع تلـك الألغـام، وكان رفيق الحريري لا يزال علي قيد الحياة، فأخبرت الرئيس بشار أنهم يعاملون الحريري معاملة سيئة وتعاملون رئيس الجمهورية معاملة حسنة، وهذا مسيحي وهذا مسلم سني فعلى الأقـل أن تمتدح السنة، أن تعاملوا رئيس الوزراء السني بشكل طيب ولكنهم قتلوه، قتلوا رئيس الـوزراء وقتلوا مفتي الجمهورية حسن خالد، والدكتور صبحي الصالح أهم علماء لبنان قتلوهم.

هل انتهي دور حسن نصر الله؟

هم الآن يستغلون هذا الانتصار ويقولون إننا نحن الذين انتصرنا وذهب بعضهم أنه يحق للمنتصر أن يفرض علي الدولة شروطه، لكن ما حدث هو تقليم أظافر لحزب الله، ولن تكون له حرية حمل السلاح مثلما كان في الماضي، فالجيش بسط سلطته في الجنوب والقـوات الدوليـة صنعت حاجزاً، واعتقد أن حسن نصر الله عليه أن يشتغل سياسة فقط وسيقل ظهوره حتمـاً في الساحة اللبنانية.

إننا نريد وحدة الصف الإسلامي وننسي خلافات الماضي وننظر إلي المستقبل نريد بنـاء المستقبل .. وإيران في حاجة إلينا أكثر من حاجة العرب إليها.. فعلي إيران أن تصحح أسلوبها في التعامل معنا لا نحن نريد تسنن الشيعة ولا نسمح بتشيع السنة، هذا مرفوض لأنه يعد تـدخلاً في شئون الدول العربية وتهديداً لمصالح الأمة العربية .. وعلي حزب الله تصحيح المسيرة، مـبروك انتصارك ولكن عليك أن تنتصر ثانية بتصحيح المسيرة، السنة صفقوا لك كثيراً وقالوا لا يوجـد أحسن منك.. أنت القائد وأنت الإمام.. لكن أظهر لنا بقيادتك وإمامتك تصـحيح الوضـع في العراق وفي إيران وعدم التدخل بأي شكل من الأشكال وعدم تشيع السنة لها في القرى اللبنانيـة ولا في مصر أو أي دولة أخرى.

القرضاوي .. موقف صدق وقولة حق

ومن الشهادات الهامة التي رصدت بعد توقف الحرب بين حزب الله وإسرائيل، التصريحات التي أدلى بها الدكتور يوسف القرضاوي وحذّر من خطر الشيعة، حيث حذّر الشيخ يوسف القرضاوي من اختراق الشيعة لمصر، منبهاً إلي أنهم يحاولون نشر مذهبهم في مصر لأنها تحب آل البيت وبها مقام الحسين والسيدة زينب.

وتأتي أهمية تلك التصريحات لما عرف عن الشيخ حفظه الله من حرصه على التقريب بين السنة والشيعة، إلا إن من الواضح أن الشيخ أطلع على خفايا المشروع الشيعي الفارسي ما جعله لا يستطيع أن يصمت على هذا الأمر.

وقال القرضاوي في تصريحاته: "أدعو إلي التقريب بين المذاهب، وأؤيد حزب الله في مقاومته، ولكن لا أقبل أن يخترقوا بلادنا"، محذراً من «وقوع مذابح مثل التي تحدث في العراق بين السُنة والشيعة، فإذا حدث اختراق شيعي لمصر فيجب أن نكون علي يقظة».

وقال: «حسن نصر الله لا يختلف عن الشيعة المتعصبين، فهو متمسك بشيعته ومبادئه ويقول: يا «علي» ولا يمكن أن ننكر هذا ولكنه أفضل من غيره من القاعدين والمتخاذلين».

وذكر القرضاوي لقاءه كبار المسئولين في إيران، مشيراً إلي أنه طلب منهم ضرورة الكف عن الكلام بأن القرآن ناقص فأغلبهم يؤمنون بأن القرآن كلام الله ولكن يقولون هذا ليس القرآن كله وقالوا إن مصحف فاطمة كان ضعف هذا المصحف.

وقال القرضاوي: طالبتهم بالتوقف عن سب الصحابة، فهم يتقربون إلي الله بسبهم ولعنهم وأنه لا ينبغي أن يبشر أحدنا بمذهبه في البلاد الخالصة في المذهب الآخر، وأن التقارب ليس معناه أن يتحول السُني إلي شيعي ولكن نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

الخاتمة

حاولنا في هذا الكتاب معالجة الحرب الأخيرة التي شهدهّا لبنان بين حزب الله وإسرائيل من أبعادها الثلاثة؛ الدينية والتاريخية والسياسية، وذلك حتى تكون معالجتنا لتلك الأحداث معالجة منهجية بعيدة عن التشنج العاطفي أو الحماسة الهوجاء.

لقد رأينا في هذا الكتاب ما تعرض له أهل السنة في لبنان من مؤامرات ومذابح على أيدي الشيعة، وما يتوعد به حزب الله السنة في المستقبل، فعلى السنة أن يفيقوا من سباهم، وعليهم أن يعلموا أنه لا نجاة لهم إلا بأيديهم، فلا يرتبطوا بمشروع أمريكي أو غير أمريكي، فلا تنتظروا أحدًا فلن يأتي أحد، ولا نملك إلا أن نرجو من الله أن يحفظ أهل السنة في لبنان ويعيد لهم لبناهم.

ولقد رأينا في هذا الكتاب كيف أن الحرب التي يقودها حزب الله هي حرب ليست من أجل قضايا الإسلام والمسلمين، بل هي حرب من أجل مشروع شيعي خاص يمتد من إيران إلى لبنان مارًا بالعراق وسوريا.

هذا المشروع ونظيره المشروع الصهيوني الأمريكي يلزمان علماء الأمة وقادهّا بالعمل على إحياء المشروع السني الذي كادت أن تغيب معالمه ويخفى رموزه، فصار من ينظر في الساحة لا يرى إلا مشروعًا أمريكيًا يقابله مشروع إيراني وبينهما اختفى المشروع السني، والذي كان هو الأولى لقيادة الأمة المسلمة في هذه الأزمات العصيبة.

إن ما عرضناه في ذلك الكتاب هو جزء من المشروع الشيعي، الذي نحاول أن نبين للناس خطره وضرره، وهذا الكتاب جزء من مشروع أكبر لبيان خطر الشيعة المعاصرة والكشف عن مؤامراهم على أهل السنة، يسر الله نشر بقية أجزاء هذا المشروع.

ونسأل الله عز وجل أن نكون قد وفقنا في بيان الحق في تلك الفتنة الملتبسة على كثير من الناس، والتي لم يسلم منها بعض أهل العلم.

ونسأل الله حسنها عندما تبلغ الروح منتاها، والله تعالى الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل

وليد نور

١٠ ذو القعدة ١٤٢٧/ ١ ديسمبر ٢٠٠٦